أقلام جديدة

مجلة أدبية ثقافية شهرية
تُعنى بالإبداع الشبابي والأدب الجديد
تصدر عن الجامعة الأردنية

العددان العشرون
والواحد والعشرون
2 0 0 8

مستشار التحرير

أ.د. صلاح جرار

رئيسة التحرير المسؤولة

دة. امتنان الصمادي

سكرتير التحرير

محمد جميل خضر

هيئة التحرير

رمزي الغزوي
هيا الحوراني نسرين أبو خاص
أوس أبو صليح حنين جاسر
عمر العطيات

التنفيذ الطباعي

مطبعة الجامعة الأردنية

المراسلات باسم سكرتير التحرير
عنوان المجلة
عمان - الجامعة الأردنية
هاتف: 00962 6 5355000 فرعي: 21075 21076 21077
الرمز البريدي: 11942 عمّان - الأردن
E-mail:aqlamjadida@yahoo.com
mjkhader73@yahoo.com

التصميم والإخراج الفني

يوسف الصرايرة

الاشتركات داخل المملكة
- للأفراد 15 ديناراً
- للمؤسسات 50 ديناراً

خارج الأردن
- للأفراد 70 دولاراً أميركياً
- للمؤسسات 150 دولاراً أميركياً

تسديد الاشتراكات مقدماً بحوالة مصرفية باسم مجلة أقلام جديدة

المحتويات
INDEX

الافتتاحية

أمّا قبل.	رئيسة التحرير	4

ملف عن الشاعر الراحل محمود درويش 6

إبداعـــــات

رحلة صيد بائسة	فواغي القاسمي	57
الحب نبع النور	دة. سعيدة الفارسي	59
كل إشراق بجرح	أشرف علي خليل	61
نصان	رشاد رداد	66
القبر أحلك ظلمة	أوس أبو صليح	71
تتألقين دهوراً	عبد الكريم السعدي	73
صدفة	حياة نصر	78
دم العصفور	أحمد الخطيب	80
تعزية الدم	عصام ترشحاني	83
هذا النبيل من الخطى	غسان تهتموني	87
في ظلال القلب	محمد البشتاوي	91
الوصول	ماريت خضر	94
شوق	أسامة غاوجي	96
ليلٌ معلّق	دة. مها العتوم	98
قصص	مهند صلاحات	100
قصتان	عامر ملكاوي	102
قصتان	فاطمة عبد الرحيم	105

نصّ وتعليق

الصخرة الكبيرة	عثمان مشاورة	108
رأي نقدي	نزيه أبو نضال	111

هيئة أصدقاء المجلة

الهيئة العليا

أ.د شكري عزيز الماضي الأردن
أ.د إبراهيم السعافين الأردن
د. عزت السيد أحمد سوريا
د. مازن عصفور الأردن
أ. زكريا تامر سوريا
أ. عبد الستار ناصر العراق
أ. جريس سماوي الأردن
أ. موسى برهومة الأردن
أ. فخري صالح الأردن
أ. سميحة خريس الأردن
أ. عبدالله رضوان الأردن

هيئة الشباب المبدع

عثمان مشاورة
مناهل العساف
غيث القرشي
محمد طريش
وردة الكتوت
أسامه غاوجي
أحمد عربيات
محمد أبو سعد
محمد سري الكيلاني
حسن بسام
إيمان مرزوق
بنان الصبيحي

6

تطلب المجلة من مختلف المكتبات في محافظات المملكة.

سعر النسخة داخل الأردن دينار وخارج الأردن دولاران.

لوحات العدد للفنان: سهيل بقاعين

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠٠٦/٣١٩٣/د)

أقلام جديدة

العددان العشرون والواحد والعشرون

2008

أدب عالمي

ثلاث قصص من العالم	رامز الحداد	112
الشحرور	ليام أوفلاهرتي	114
قصيدة الهايكو اليابانية	ندى ضمرة	116
متابعات	جهاد أبو حشيش	119
مقالات		
رواية ليست للنشر	محمد جميل خضر	124
هل غزا العرب الأندلس عسكرياً؟	جعفر العقيلي	127
القطيعة مع التراث	هيا صالح	131
إسقاط المتغيرات	معاوية البشتاوي	134
فضاءات		
حوار مع السورية ماجدولين الرفاعي	بسام الطعان	136
الأدب الفرنسي على مائدة نوبل	عمر العطيات	141
إصدارات		144
ثقافة وفنون		
حوار مع الفنان حسين دعيبس	إبراهيم السواعير	151
ناجي العلي ريشة فلسطين	رشا سلامة	155
على هامش معرض عماد حجاج	غسان مفاضلة	161
دوميه فنان الكاريكاتير الفقير	إدريس السعد	165
أخبار		
جائزة العرموطي		169
إعلان الفائزين بجوائز الدولة		171
حكايات الجدة		174
رياض الكلم	ناصر الدين الأسد	176

للنشر في المجلة

- ترسل المواد مطبوعة على الكمبيوتر على قرص مدمج C.D أو على قرص الذاكرة الصغير Flash Memory على عناوين المجلة المختلفة.
- أن لا تكون المواد المرسلة منشورة سابقاً سواء في مطبوعات ورقية أو مواقع الكترونية.
- يُرفق الكاتب نبذة تعريفية وصورة شخصية له لمرة واحدة.
- ضرورة توثيق المواد المترجمة عن اللغات الأجنبية بذكر المصدر والكاتب وتاريخ النشر ومكانه.
- الموضوعات ذات الطابع الفني أو المتعلقة بالشخصيات ونقد الكتب وعروضها ترفق معها الصور المناسبة لها والأغلفة.

ملاحظة:

المواد المنشورة تعبر عن رأي كتّابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

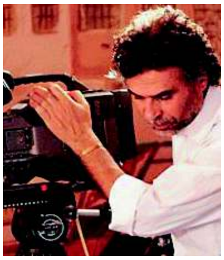

151

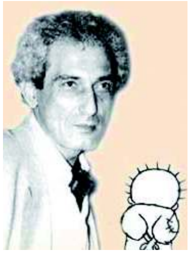

155

176

الافتتاحية

أمـا قبــل،

دة. امتنان الصمادي*

فبهذا العدد المزدوج (العشـرين والحادي والعشرين) تستقبل مجلة أقلام جديدة عاما جديداً من عمرها الموسـوم بالعطاء على صعيد الإبداع الأدبي، وهي على حداثة صدورها، تعد رائدة في مجالها، فرسـالتها خدمـة الحركة الثقافيـة والأدبية العربية ورفدها بالطاقات الشـابة الجديدة التي تنبـىء عن موهبة فذة تستحق الرعاية، إذ لم يسبق أن تبنت جامعة محلية مثل هذا الإصدار، وهي بحسب تصور مؤسسها أ.د صلاح جرار مستشار تحرير المجلة نافذة رحبة للمثقفين والأدباء من شباب الأمة والوطن يطلون منها على العالم، وهي المنبر الحر الذي يعبر الكتّاب من خلاله عن أفكارهم وتطلعاتهم ومشـاعرهم ورؤاهم شعراً، و نثراً، و مقالة، و مسـرحية، وسـائر الأجناس الأدبية، كما تهدف إلى الكشـف عن الطاقات المخبوءة لدى الشباب ورعايتها وتسهيل دخولها إلى ميادين المنافسة على الساحة الأدبية.

ويأتي تبني المجلة من قبل الجامعة الأردنية دليلاً ناصعاً على إدراك الجامعة ممثلة برئيسها الدكتور خالد الكركي حقيقة الدور الذي تضطلع به على الصعيد الثقافي، إيمانا منه بأن الجامعة مكان تشـكل الفرد معرفياً، وعقلياً، وسياسياً، ونفسياً، وثقافياً، وليست معرضاً للصيغ الاستهلاكية المخترقة للمجتمعات، مما يكشـف بـأن دور الجامعة لم يتراجع بوصفها أضخم مؤسسـة وطنية أكاديمية بل أخذت تشـرق من خلال مشـروعها الثقافي الحر. ومجلة أقلام جديدة واحدة من الإشـراقات التي تعددت ألوانها كالأسابيع الثقافية المشـتركة، والمسرح الجامعي، والمنابر الشعرية، وجوائز الإبداع الأدبي، ومعارض الفن، وغيرها من الأنشطة الثقافية البارزة التي أعادت الجامعة إلى موقعها في خدمة المجتمع والثقافة والفكر.

وإذن سـيكون دورنـا مكملاً لما خطه زملاؤنـا من قبل في إطار الرؤى النبيلة التـي ترى أن الإبداع بيت بلا سـقف، وسنسـعى مع فريق التحرير المتجدد روحاً وعطاء لفتح باب المشـاركات لتشمل مرافق التعليم المختلفة: الجامعات والمعاهد والمدارس، كما سـيكون لهيئة أصدقـاء المجلة، الهيئة العليا المكونة من عدد

مــن النقاد والمثقفين والراعين للحراك الثقافي المحلي والعربــي الدور الجاد في متابعة المنجز الإبداعي الذي ينشر على صفحات المجلة نقدا وتوجيها، وهي دعوة مني لأن تتبنى هيئة أصدقاء المجلة أحد الشباب المبدع فيحيطونه بعين الرعاية الحثيثة والمتابعة المباشرة ليصبح علامة في منجز المجلة الحقيقي. كما سنعمل علــى إقامة سلســلة من الندوات الحواريــة بهدف إتاحة الفرصــة لأكبر عدد من الطلبــة المالكين لمهارة المحاورة للوقوف على تجارب كبار المبدعين والفنانين والنقاد من داخل الوطن وخارجه من أجل تنمية وعيهم بقضاياهم وربطهم بمستجدات واقعهم الفكري والثقافي والأدبي العربي والعالمي، وذلك بتنظيم الزيارات والاســتضافات في مقر المجلة. وسنعمل على إضافة عدد من الأبواب الخاصة بالإبداع الموجه لإحياء المكان وإعادة إنتاج ذاكرته في عيون الشــباب، وسنطلق مسابقة أدب الشباب المنشور في أعداد المجلة على مدار عام كامل، لأفضل نص شعري، وأفضل قصة قصيرة، وأفضل مقالة، وأفضل حوار، وغاية الطموح أن تشق المجلة طريقها بفرادة وأن تصبح مرجعا موثوقا للدارسين والمتتبعين لحركة تطور المبدعين.

أما وأن هذا العدد يصدر بهدوء وســكينة ومتأخراً عن موعده بعض الشــيء، فذلك لأن العاطفة العربية مفجوعة برحيل الشاعر الفيلسوف وعميد دراما الشعر العربي الحديث محمود درويش عن مضارب أمته، وكان مــن الوفاء إصدار ملف خاص بالشــاعر الذي وحــد وجداننا العربي ردحا من الزمــن. وقد كثر الراثون واعتلى عدد منهم مجد الكتابة وجادت قرائحهم بشعر منثور يحاكي عبارات الراحل الشعرية في كثير من الأحيان فجاء الملف ليطل على مســيرة الشــاعر الذي قدم تجربة جمالية للشــعر العربي قد لا تتكرر، وليضيء جوانب من مراحله الشــعرية وتحولاته الرؤيوية وتناميها بوصفه شــاعر القضية التي نقلها من إطارها المحدود ببقعة وشــعب ولون، يعتمد الثورية والمكابرة في مقارعــة المحتل والتعبير عن ثبات الهوية، إلى البحث في منطق الأشــياء، وسِّــرها الموضوع في الكون والوجود، ولغز المصير الإنســاني، ووقوفه في مواجهة الموت الذي يتربص بالكينونة البشــرية منذ الأزل بهدوء، وقد أعاد إنتاج فلســفة الموت من خلال الانفتاح على أسئلة الوجود الكبرى، الأمر الذي رده مرة أخرى إلى التجذر والارتباط بالأرض (هوية ومصيراً) من خلال إعادة تشكيل مفهوم المقاومة ونقله من دائرة القتال – إذا جاز لنا التعبير- إلى الجمال، فمعظم أدوات المقاومة لدى درويش كاللوز والرمان والتين والزعتر والدروب القديمة هي نفسها مظاهر صمود درويش في مختلف المراحل. إن درويش ثروة الأمة التي كتبت الشعر فأحبت بالشعر وبكت بالشعر ليس لدوره في مرحلة المقاومة، بل لأن فنيته التي حملت الرؤية الخاصة بالذات الشــاعرة العربية تجاوزت النقد ومســائل التنظير، وتفوقت عليها حداثته الشــعرية وتعبيره الذي فيما أعتقد أنه اســتنفد طاقات اللغة العربية والإمكانات الأسلوبية والبلاغية كما فعل نيتشه الشاعر والفيلسوف الألماني الذي يقال فيه إنه لم يترك شيئا لمن جاء بعده. فهل ترك درويش شيئاً لمن سيأتي بعده؟

* رئيسة التحرير

نعلم أنه لم يزل حاضراً
رغم كل هذا الغياب
وندرك أن كلمات الرثاء
ومستلزمات التأبين
تقع أحياناً في فخ الإيقاع الرتيب
ولكن شاعراً بوزن محمود درويش
ومكانته وأثره الذي لن يموت
يستدعي رحيله بعض أفياء التذكر
وهذا ما فعلناه في الملف
الذي ينحني احتراماً
لعاشق من فلسطين

أسرة التحرير

يا لاعب النرد ...
انهض!

د. أحمد الطيبي *

انهض.. انهض ..

فلسطين كلها والعرب

تحمل قلوبها إليك .. لتنهض ..

حاصر حصارك .. اقهر مرضك

وانهض..

قم من نومك المؤقت ..

انتفض .. وانهض

لا تغادرنا قبل أن ترتوي بقهوة أمك .. وقبل أن تعود أبداً لحيفا..

الجبل ينتظر .. والزيتون

الوديان تصبو .. والسنديان

"وعندما أغلقوا باب قلبي عليّ

وأقاموا الحواجز فيّ ومنع التجول .. صار قلبي حارة

وضلوعي حجارة..

وأطل القرنفل .. وأطل القرنفل"

إذ جاءك الموت قل له:

ليس موعدنا اليوم .. فلتبتعد
وتعال غداً أو بعد غدٍ ..
يا لاعب النرد تسألنا: من أنا؟
أنت نحن .. كلنا
أنت سرمدية الأسطورة
وجمال فلسطين وعبق العروبة
أنت اللانهاية ..أنت نور النفق
يا لاعب النرد ...
تسألني ناتالي الصغيرة:
من سيلقي عليّ الوردة الحمراء بعد اليوم؟
انهض .. انهض محمود
فالحاكورة وشجراتها ... زيتونها وسنديانها تسأل ..
أين رفيق الدرب ..؟
قلت: ما أقساها الحروب.
يموت الجنود ولا يعرفون من انتصر!
فمن سيكتب يا محمود قصيدة النصر غيرك؟
ما أقساك أيها المرض!
تغفو ولا تعرف حجم الدموع
تغيب فجأة ولا تعرف كم هو الحب لك!
أو أنك تعرف يا محمود
انهض واصرخ في وجهنا جميعاً :
غبت قليلاً لكي أعود .. وأعيش
ولتحيا فلسطين..
فألقي عليكم وردتي الحمراء

---
* سياسي فلسطيني

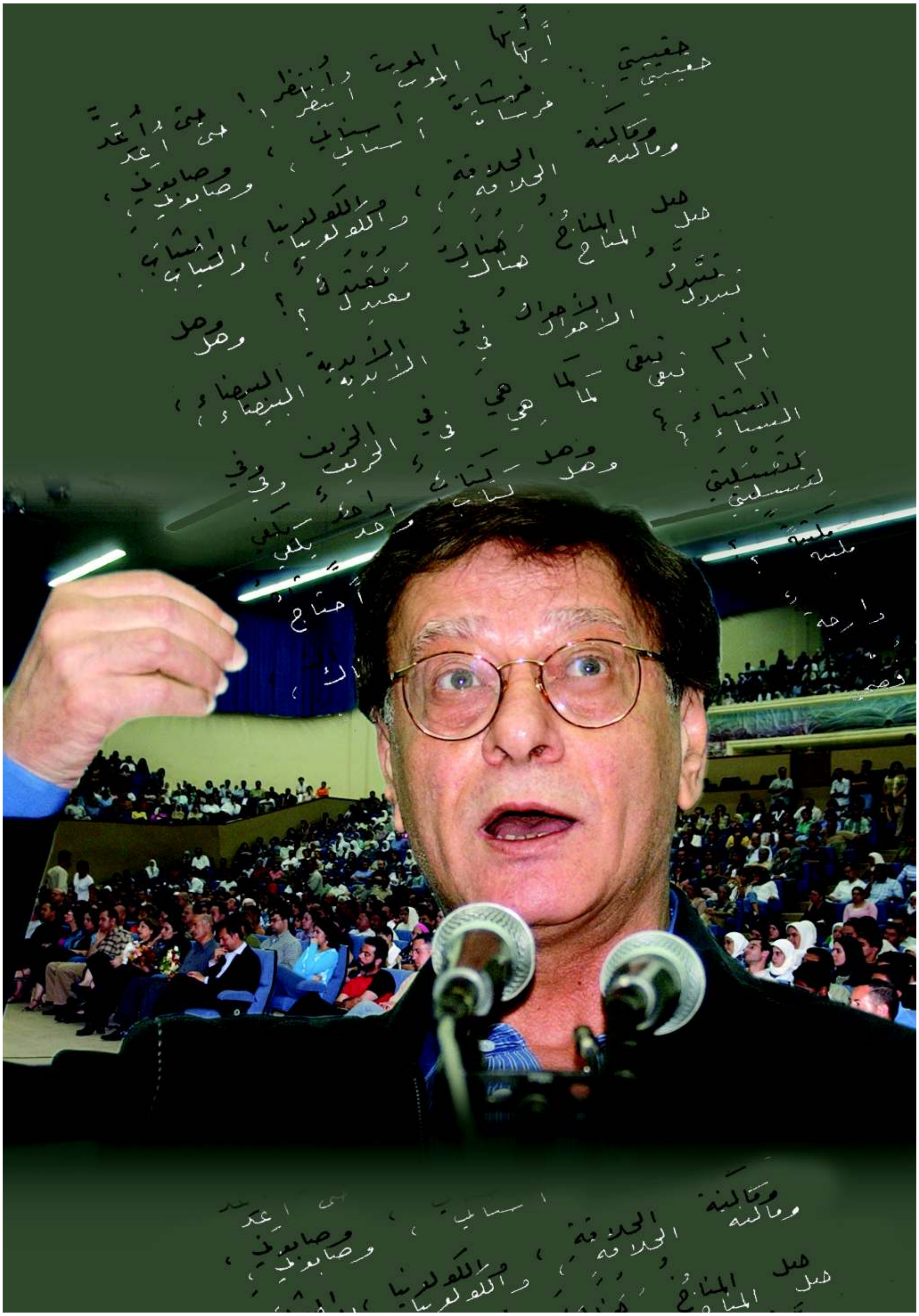

عن محمود درويش
اكتمال الشاعر

المتوكل طه*

لـم يمت تماماً... كان ذلك مجـازاً، أو مقارنةً لحدث الموت المكرور، الذي فَقَدَ دهشـته، وأراد أن يسـتعيد مهابته، فضـربَ أكثرنا مناعةً وحصانةً، ليثبت أن الغياب الناقص لا يكتمل إلا بهذا الحيّ العظيم.

يـا وحدنـا! يـا وردة الكـونِ الكبـرى، التي سـقطت، دونما إنذار، كـأنهـا اختُطفت على حين غرّة! سـيفتقد العاشـقون وسائدهم المعبـأة بالسـحاب، ولن يرى بعـدك الثائرون الحمامَ يطير على أسلاك الحرير .

بلغنا الجُلجلة، وانطفأت الجذوة على سرير القلب المخـذول بأهلـه، الذين ألقـوا أحلامه تحت سـواطيرهم العمياء، ولم يحتمل هذا السـقوط والاقتتـال .. فسَـقط، وراح قتيلاً آخـر للخيبـة، وعلـى طريقته الأسـطورية، احتجاجـاً، غير مباشـر، على حيـاة أَعدمَت ما اجترحـه من عوالـم، اعتقـد أن فيها ما يسـتحق الحياة، وليس فيها كل هذه الرداءة والنكوص والانهيار.

ومن حقّ الجليل أن يحتضن زيتونته وغزاله المكحّل المزيون، وأن يحنو الكرملُ على مُنْشده الأجمل، وأن يحمله علـى جناح النوارس إلى البحـر، كمـا حمله إلـى الدنيا، بسـنديانه وثياب أمهاته، وجدائل بنات المدارس، وطرقاته الوعـرة الصغيرة، وبيوت الذئـاب التي رحلت خوفاً من الجيش.

ومن حقنا أن ننـدب، لأوّل مرّة، كما ينبغي، تعبيراً عـن هذا الغياب الغولـي الهائل. إننا ناقصون إلى حدّ الفراغ! ولم يعد ثمة مَنْ يرمّم صورتنا، ويواجه بأناقة حضارية، تلك الصورة النمطيـة المكـرورة والمجوجـة. إن قصيدة منه خير من ألف مدفع ومارش!

محمـود مغنّي فلسـطين الأمهـر، وخالق الأبجديـة الجديـدة لشـعر الأرض والمقاومة والإنسـانية، وهو الغابة التي لا حدّ لها، التي تمور على ترابها السـاخن الوثير كل الأشجار

الواقفة، المغسولة بالمطر العنيف، ورذاذ الزلازل، وينبع في باطنها صغار البراكين، والخرافات، والأصوات المتداخلة، والصدى الوديع والمخيف. ومهما بلغت نيران الموت من هذه الغابة، فإنها قادرة على هضم ألسنتها وتحويلها إلى ضوء فتيّ باهر، يهزم الموت، ويردّ العدم والخوف على أعقابه .

لم يرتبط درويش بفلسطين القضية ارتباطاً عشائرياً، قدر ما أسس لانتماء إنساني أكثر عمقاً ونفاذاً، جعل غير الفلسطيني يجد نفسه ملتصقاً بهذه القضية.

يقول أشياءنا كأنه تسلل إلى دواخلنا، والتقط تلك الماسة الزاهرة كالجمرة، وراح ينتظمها في عقد يقلّده صدر الوطن. أما البلاد التي كان يحلم بها، فإنها ستستيقظ في مقبل الأيام دون ابنها المُعجز.

عندما يسقط الشاعر ميْتاً يصيح: لقد اكتملت! فيحيطون به من كل صَوْبٍ وجهة، ويرون ملء أعينهم أن الظلام، ومهما كان مُسلّحاً وشديداً، فإن القصائد تقف له بالمرصاد. مثلما تُذكّر الواقفين المحيطين به، بأن استدراكهم، للاحتفاء به، قد تأخّر كثيراً، وكان ينبغي أن يقفوا تحت شجرته الكونية ، وينتبهوا إلى تلك التي نبتت، بعيداً عن مائهم، من بذرة روحه الحمراء.

والآن، ها هم يشربون عصارتها ليعيشوا إلى الأبد. فالشاعر شجرة الحياة التي تُبقي الآخرين خالدين، وإنْ رحل جسده.

محمود الرائي المتعدد الذي يحفر في الأرض الحرام،هو نفسه الناقد الذي وجّه رمحه المتوتر إلى قلب الدريئة، التي تخفي وراءها الفساد والخراب والحروب الأهلية والوجوه الوثنية.

ودرويش هذا الحوت الجبلي، وابن الحورية التي أخرجته من ثياب البحر والسنديان، ظل كائناً غير عادي، قد أدركه مَسّ من السماء، فصارت له هذه القدرة غير المعهودة في خلق الكلام المباغت والماتع والمثير، وربما يكون كلاماً يفوق المتوقَع من بني الإنسان.

ولعل قصيدة درويش تمتلك أن تمنح المتلقي غير مفتاح ومدرج، يولج معه هؤلاء القراء، ليمتح كل منهم ما يريد من النص ذاته، فيشرب الفيلسوف تلك الحكمة المختبئة، وينهل البسيط من أقواس قزحها اللونَ والغيوم.

والخسارة تكمن في أننا سنفتقد الجديد المُدهش، الذي يُطالعنا كسيف الملحمة المُعافى والجليل. فالشاعر لا يموت، فهو هنا بكامل سخريته وكهربائه وحدّته وعطْفه وغنائه، وأسراب خيوله البريّة، وذهب لغته النابضة الحيوية البِكْر، إنه هنا بمعجزته البسيطة المذهلة، وستنسينا، بقوتها وسطوعها، رغماً عنّا، رحيل جسده .. لا غير!

جاء درويش من لغته، التي خلقها، وتبادل معها دور الخالق والمخلوق، أو الصياد والطريدة، وراح يعلّمها لنا، بكل ما فيها من أساور ومناديل وشِباك وشبابيك، تطفح بالجمال والمعرفة والغناء المتعّدد الدرجات والمتداخل . وكان يطلّ علينا كالعرّاف المتبصّر، الذي جمع أُمّة الضاد، بسِحر حساسية أداته الفنية، وبمياه الفكرة التي عملت على وضع كل مستمعيه في بحيرة واحدة، يغسلهم فيها، ويرويهم من مائها، فيخرجون، وقد توحّد فيهم نوره الوهّاج، ما خلق حالة جماعية تمتد من الماء إلى الماء.

لقد شهد محمود درويش موته وراه، وأقام جدارية عنيدة لتصدّ خفافيشه الغامضة، وانتصر درويش على الموت، بأن مكّنه من جسده، لكن الموت لن يبلغ ذرى كلامه البعيد .

كانت القلّة، من المثقفين الحقيقيين يغبطونه على رفْعته واختلافه، وكانت الكثرة الخاتلة التي تدّعي الابتكار، وتطحنها عُقد النقص والصَغار تحسده، وكان ثمة متّسع، في ظلّه، لهؤلاء المساكين، الذين يحسدونه، حتى على موته، وعلى هذا الكرنفال والوفاء البديع من الناس، الذين لا يعرفون آليات التعويض والنمائم الصغيرة وحركات الطواويس.

ربما نسهو ونسير إلى مكتبه، أو نطلب رقم هاتفه، فتجيبنا الآلة أن صاحب هذا الرقم قد مات! فيفور الحزن طازجاً من جديد.

اليوم، أمسى الشِعر يتيماً ! رغم أن ربّه أخرجه من التابوت، وسقاه من ريق قلبه، فتعالى ! ولم يعرف ناقد أن ثمة نقصاً في بيت هذا الجنيّ الساحر، فهو كالرمّانة المكتملة، وصار ثاني اثنين، المتنبي ودرويش، عبر مفازات القرون والأزمان، فأصبح الزمن القادم يتيماً هو الآخر، وأرجو ألاّ يطول يُتْمه !

وفلسطين، أيضاً، يتيمة جداً، فلم يعد لها أسماء ورموز، بعد أن عرفها العَالم من خلال اسمين كبيرين هما ياسر عرفات ومحمود درويش..

ويظل شعر محمود درويش وثيقتنا الوطنية والسسيولوجية والنضالية والإنسانية أيضاً، ويستطيع أي باحث أن يجد في هذه الوثيقة تاريخنا الذي أصّله الشاعر بحروف تليق بالخلود

إن هذا العملاق المنذور للأزرق، هو نفسه الذي جعل قصيدته، غير العمودية، التي لم تسقط في المباشرة والمجانية والخطابية الفجة، قادرة على أن تكون أغنية وشِعاراً ونشيداً يشحذ المواطن، الذي يدفعه ذلك الغناء العالي، إلى أن يهجم على عين البندقية، محمولاً على إيمان عميق، يرنّق مداركه ووجدانه، ويملأ عقله وقلبه، ويظل مصدّقاً ومعتقداً بأن ذلك النشيد الموقّع والمطهم بالأرض والثورة والحرية، هو وثيقة النصر والخلاص، التي يجب أن يمهرها بدمه .

أعطى درويش للمقاومة معنى أكثر اتساعاً من القتال، ليصل المفهوم إلى الانحياز إلى الجمال والحق والخير والعدل، في مواجهة البشاعة والاستغلال والاحتلال ...

ومحمود الذي شكّل الذائقة والسقف الجمالي، وصار صاحب أكبر مدرسة في آخر نصف قرن، حتى أكاد أقول: إن الشعر الفلسطيني، خاصة، والعربي بشكل عام، مع استثناءات ونتوءات مضيئة بادية ومختلفة، هو قصيدة واحدة متنوعة تنتمي إلى مدرسة هذا الشاعر، الذي كتب دراما الروح الجماعية، فيما كتب معظم الآخرين دراما الحدث !

عندما كان بيننا كنا نقول: هذا هو الخارج من جلسة قلبه .. المتوحّد بعيداً وسط الحضور! يبدو آدمياً، ويتراءى للناس كأنه متعالٍ! تراه خاشعاً على مشهدٍ من أناييسِ المعبدِ وعموده! وتلحظه يحفرُ فقحةَ الزهرة الصغيرة، أو تلمحه تمثالاً راكعاً متأملاً في أمّهِ التراب.

كأنّه امرأة تلفُّ أيديها حولَ عُشّاقها

الفتيان، وتسحب شرايينهم بأيديها الكثيرة، ثم ملّت اللعبة فتجمّدت إلهةً صامتة. وقيلَ هو الذي سرقَ النارَ، وَلاكَ الطيرُ كبدَه. وقيل هو الحلمُ الكبير الذي ندور في فلكه، غيرَ أن رأسَه المُتعبة ستلقينا مثل ندم الخيانة في النسيان. وقيل هو الكوبرا التي ظلّلت النبيَّ الأمير، ولمّا نجا أحبّت أن تُهدي قوامها للنساء.

وقيل هو المتخّلع الأنيق الذي لن يتوب ما دامت الأمطار المسحورة تتكوّر كشحاً يعوي. وقيل هو الواقف تحت الشمس الناغرة شاخصاً في يوم القيامة. وقيل هو اليتيم الذي قدَّ أضلاعَه كَمَنجةً مذبوحةً تحت شبابيك الياسمين. وقيل هو ما وجدوه في قعر الكأس المقدسة في ذلك الكهف المغلق منذ الخليقة، فاختلفوا على ما فيه، فمنهم من رآه سُلافة، ومنه مَن تبيّنه ندى السماء الأول، ومنهم مَن قال: هذا عَرَق الروح، وآخرُهم قال: هذا دمع الشهوة أو الاختلاج أو الحنين إلى كل شيء. وما زالوا يجهلونه، أو يتجاهلون شخصه.

غاب فلم يفطنوه! وعاد فلم يحتفوا به.

واتهموه بكل الهنات والخروج . وحينما صاح قالوا: هذا صوتنا المنهوب. وعندما صمت فَرَدوا له النطع الواسع.

ولمّا سافر جرّدوه من حبق أُمّه البعيد. وحَضَر، فلم يحضروا، كانوا يُعدّون له المشنقة.

طلع من لَحده الضيّق - كان مغشيّاً عليه من ريح حامضهم النافث - فوجدهم يُدبّجون له مديحَ الغياب.

وعندما أيقنوا أنه حيٌّ وله عُمرُ نوح، احتشدت صدورُهم وانفجرت، وماتوا غيظاً.

وظلّت المشنقة تتأرجح دون جسدٍ يتدلّى، غيرَ أني أرى مجموعةً جديدةً تهتف لغريب جديد، وكانوا فرحين، فقد تأكدوا أنَّ غايتَهم حاضرة.

ومحمود درويش أسطورة الناس، التي اتفقوا على أن قوامه يحتمل أثقالهم وهواجسهم ورغباتهم، فوضع كل فلسطيني وعربي شيئاً من نفسه في محمود، وأصبح محمود مِلْكاً لكل الناس الطيبين، الذين استجاب لهم، وتماهى معهم، وأصبح وجدانهم وكلام روحهم، وافتُتِنوا بمخلوقهم، وأصبح نجمهم الذي يسعون إليه، ويتلقفون قصائده، ويحفظونها عن ظهر قلب، ما يفسر تلك الجماهيرية والإقبال، منقطع النظير، على أمسياته وقراءاته وكتبه.

ولهذا، فإن كل عربي وإنساني، يحس أنه خسر حصَّته في هذا العملاق الفذّ، وانهدم جزء من رمزه الذي كان يفتخر به ويباهي.

في السجن، كنّا نصدقه، ونردد بحناجر الفولاذ أشعاره، وأغاني مارسيل التي نشرته أُفقاً نارياً، يهدم الجدران ويُصدّع الزنازين، ويُصيب حراس المعتقل بالذعر والهلع، حتى يقفوا وراء مدافع الغاز المسيلة للعار ورشاشاتهم العمياء، ليواجهوا ذلك الصوت الجماعي المزلزل.. وإن قصائده محفورةٌ بالأظافر والدماء، على تلك الجدران، التي لم تكن عائقاً أمام مشاوير الروح، السارحه بعيداً مع اليمام، والعائدة مع الشمس في الليل.

ويبقى محمود وطننا الشعري، الذي جعل فلسطين جرساً في قلوبنا، ترنّ على الشفاه وفي الكفوف، وفي الآفاق، ويظل محمود

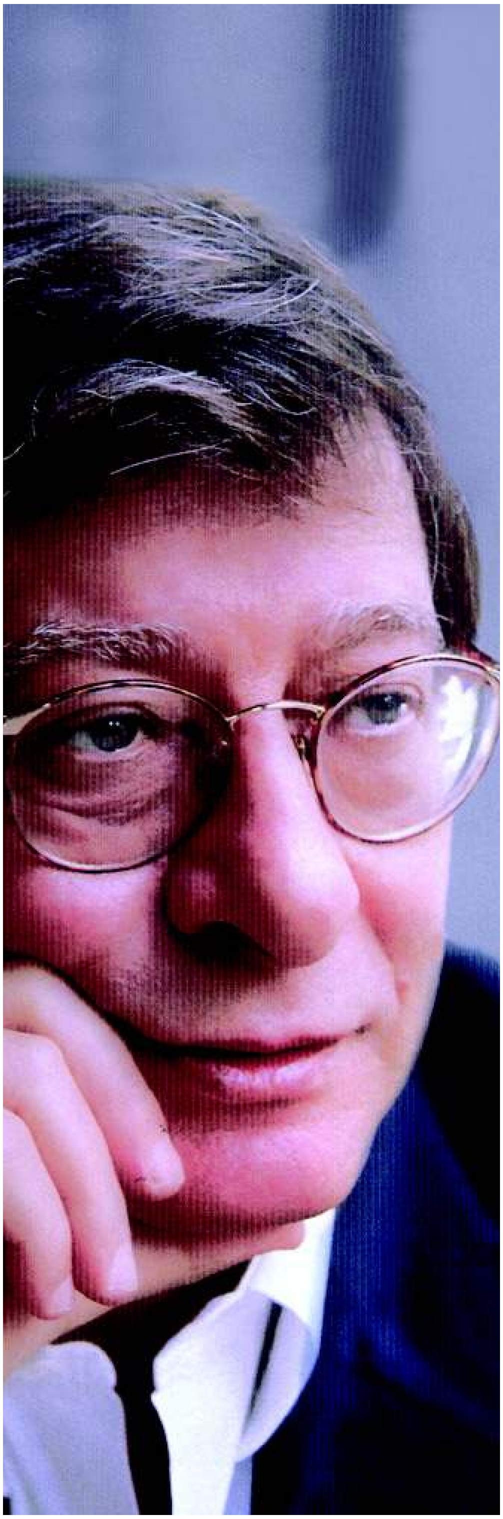

الاســـم الـذي نفـرح بــه فـرحاً تاريـخيــاً، ونـزهـو بأننا عرفناه!

ومحمـود المتـفـرّد يكـون اليوم قد أكمـل زينتـه ورحــل، لكـننـا ما زلنـا في بيـوت العـزاء، أو نقف أســراباً على حـواجـز الجنـود، أو فـي الســجـون، أو في المعـازل أو المخيمـات .. ولـم نمتلك أســباب الزينــة لكـننــا نمتـلــك قـصـيــدة جــاءت مــن السـماء.

درويــش مـثـل المعـابـد والعـواصف والبـحار لا يمـوت، ومـثـل المـوســيقـى والصـلاة وأبناء الأنبـياء الـذيـن يظـلّـون فـي فـضـاء الأيـام وسـاعـاتهـا.

---

* شـاعـر فلسـطـيـنـي

«أنــا شــخـصيا لـــم اســتعمل بعـــد المصطلحات المألوفة التــي تتردد في مثل هـــذه المواقف «كرحمـــه الله» لأني أعتقد أنــه مــازال يعيش معنــا فــي قلوبنا وفي حياتنا اليومية، وبخاصة أنه في الأشــهر الأخيــرة، كان يتردد علينـا كثيراً في المنزل وكأنــه تعويض عن ســنوات الفــراق، كان يخلق جواً مــن الحميمية؛ يداعب الأطفال ويتصل معهم هاتفياً، ويحفظ أسماءهم جميعــاً. إن الزيــارات الأخيــرة كانت إجازة قبــل الموت ومحمود في ســيرة حياته كان له مكانة خاصة في القلب».

أحمد درويش (الأخ الأكبر لمحمود درويش)

السروة انكسرت

موسى برهومة*

ما غاب. كلا. ولن يغيب. هو الآن فقط يراود الأبدية البيضاء كما كان يفعل دائما، ويناجي قبّرة في أعالي الضياء. هو الآن يغمض عينيه اللوزيتين على وسعهما كي يرى ما فات مخيلته من صور وأغان وبازيلاء.

لم يرحل محمود درويش. لقد مضى في قيلولة ليصنع قهوته الأثيرة على ناره الهادئة، ثم ليهمس في أذن الحياة : «سيري ببطءٍ ، يا حياة، لكي أراك بكامل النقصان حولي. كم نسيتك في خضمّك باحثاً عنّي وعنك. وكلّما أدركت سرّاً منك قلت بقسوةٍ: ما أجهلكْ! قلْ للغياب: نقصتني وأنا حضرت ... لأكملكْ!».

فكيف يغيب شاعر نذر روحه كي يكمل الغياب، وهو الذي هتف في وجه الموت «هزمتكَ يا موتُ الفنونُ جميعها، هزمتك يا موت الأغاني في بلاد الرافدين، مسلة المصري، مقبرة الفراعنة، النقوش على حجارة معبدٍ، هزمتْكَ وأفلتَ من كمائنك الخلودُ. فاصنع بنا واصنع بنفسك ما تريدُ».

وأضيفُ: هزمتك يا موتُ قصائد محمود درويش، ومديح الظل العالي وذاكرة النسيان والورد الأقل. هزمك أحد عشر كوكبا. هزمتك الجدارية، والحصان الذي لم يعد وحيدا. ولم تستطع يا موت، رغم صولجانك المعدني، أن تنام على سرير الغريبة.

بهذه الكثافات المغمورة بغلالات من الحب، نسج محمود درويش أسطورته، وراح يدرب الوجدان الجمعي على الحب والحرية، فاتحا في فضاء المخيلة العربية دربا لم يستطع سواه أن يرصعه بالنجوم والكواكب كما فعل، وكما كان يعد التاريخ أن يفعل لو أن قلبه لم يخذله.

كان درويش شاعرا عظيما وإنسانا عظيما، وأذكر قبل سفره إلى أميركا لإجراء العملية الجراحية حوارا هاتفيا دار بيني وبينه، وكان عائدا للتو من رام الله. سألني: ما الذي ذكّرك

بـــي؟ قلـــت «حالـة حصـــار» ورحـــت أتلو على مسامعه: «هنا، عند مرتفعات الدخان، على درج البيـــت، لا وقت للوقـــت، نفعل ما يفعل الصاعدون إلى اللّه: ننسى الألم».

لكنــنـي الآن لا أســـتطيع أن أنســـى الألم. إنـــه يحفر فـــي أعماقـــي وينتـــزع قلبي بكل ما فـــي الغياب الصاعق من قســـوة ورعونة، خصوصا وهو يبلغني أن أسلم على الشاعر بول شـــاؤول. وأوصانـــي: قل لبول أن يســـلم على بيروت. ولأول مرة أحس بالتعب يتسرب من صـــوت درويش الذي كان يستشـــعر أمرا غامضا فـــي ذهابه الاضطراري إلـــى أميركا، خصوصا وهو يبلغنـــي أن العملية هذه المرة حساسة للغاية.

هـــل كان يحدس بالموت. هـــل كان يهجس بالسروة التي انكسرت كمئذنة، «ونامت في الطريق على تقشف ظلها»؟

ســـروة الشـــعر انكســـرت. وســـروة الحـــب انكسرت. وسروة فلسطين انكسرت. وسروة الذائقـــة العربية باتـــت يتيمـــة بعدما رحل الجنائني الذي قلم أظافر المعنى وزرع الدهشة فوق الضفـــاف وأزهر بنـــداه ربيـــعُ القصيدة العربية. رحل الذي أضاء بشـــموس رؤاه أشد المناطـــق عتمة فـــي الروح، وحـــرض الوجدان على الخصوبـــة والمقاومـــة، مقاومة البطش والمحتلين والأشـــرار وتجار الكلام والسماسرة، وانتصر للحب والحياة.

وظـــل حنينـــه يذرف الشـــغف إلـــى بلدته البروة، وبالتحديد إلى شجرة الخروب الواقعة بين الرامة وحيفا. وفي رســـالة أرســـلها من باريس إلى الشـــاعر ســـميح القـــاسم بتاريخ ١٩٨٦/٦/٣ أوصـــى بـــأن يدفـــن بجوار شـــجرة الخـــروب تلـــك التي قـــال إنها «غـــلاف هويتي وهي أيضـــا جلد روحـــي»، مســـتذكرا كيف اختبـــأ في جذعها العمـــلاق المجوف من المطر والأهـــل، عندمـــا كان يلعـــب مع الســـحالي والزيـــز والزواحف ويشـــرب الماء بالطاســـات.

وأوصـــى درويش في جداريتـــه بألا يوضع على قبـــره البنفســـج ، «لأنه زهـــر المحبطين، يذكر الموتى بموت الحب قبل أوانه». وقبل أوانه ارتحل الشـــاعر، لكن المـــوت لم ينتصـــر، وانتصرت القصيـــدة والنشـــيد، وذهب الشـــهداء الى النوم، وظل الشـــاعر صاحيا يحرســـهم من هـــواة الرِّثاء، ويقـــول لهـــم: «تُصبحون على وطن».

محمـود درويش: أكمل غفوتك وتمتع بهواء الأبديـــة البيضـــاء وترفـــق بحبيباتـــك جارات الألـــق، وبأحبائك الطيبين فـــي جهات الأرض وهم يمسدون على جبينك العالي هامسين: «ألا تسمع صوت الماء الآن. إنها تمطر».

---

* كاتب وصحافي أردني

> «لا اعـــرف ماذا فعل بنـــا محمود درويش، أتحدث عن نفســـي، فجّر في هـــذا الرحيل الكثير من الدمـــع والكثير من الحبر. كنت خـــلال ســـنة كاملة لم أكتـــب أي قصيدة جديـــدة. في الأربعين يوما التي مرت كتبت ســـت قصائد، واحـــدة منهـــا أهديتها إلى حورية والدة محمود التي حين رأيت وجهها على التلفزيون شعرت أنني انظر إلى وجه أمي».
>
> زاهي وهبي (شاعر وإعلامي لبناني)

مختارات من درويش

هذا البحر لي
هذا الهواء الرّطْب لي
واسمي
وإن أخطأت لفظ اسمي على التابوت
لي .
أما أنا وقد امتلأت
بكلّ أسباب الرحيل
فلست لي
أنا لست لي
أنا لست لي...

«الجدارية»

الملف

محمود درويش... الذي جعلوه بطلاً!

إبراهيم جابر إبراهيم*

لم تكن حصة محمود درويش من البطولة الشعبية أكبر، ولم تكن أقل، من حصة أي واحد من العشرة ملايين فلسطيني المنتشرين في أربع رياح الأرض!

لكن درويش الذي مثلت وفاته قشعريرة وطنية عارمة، هزت المجتمع العربي، هو محمود درويش الشاعر، الفيلسوف، الرائي، والمثقف الموسوعي، الذي أصيبت الأمة بخسارة معرفية قاصمة فور غيابه. وعليه كان يترتب أن يُقرأ غيابه من هذا الجانب، وليس من جانب الرمزية الوطنية الفلسطينية التي أصيبت في العقد الأخير بضربات متتالية.

ولست أذهب حتماً إلى التقليل من فداحة الخسارة الوطنية، والنضالية، بغيابه، أو الانتقاص من جدارته بحمل لقب «شهيد» وقائد وزعيم، لكن الشعب الذي أنجب أكثر من مليون مقاتل وشهيد وأسير ومطارد قادر على إنجاب الآلاف منهم بعد ساعة ، بينما تحتاج الذروة المعرفية الخلاقة، التي ارتقى إليها درويش إلى عقود طويلة من الشحذ الثقافي والذهني لتتسع لشاعرٍ آخر، يبدأ بعدها من حيث بدأ الشاعر الراحلُ!

وعليه فربما كانت الفورة العاطفية مفهومةً، ومتفهمة، من الكتاب الصحافيين ومن القراء، ومن عموم الناس، لكن المتوقع من النقاد ومن الشعراء ومن الكتاب الكبار، ألا يتعاملوا مع محمود درويش من منطق البطولة، ومن جهة «الفلسطنة»، والمشوار الثوري، فالراحل لم يكن نقيبا أو ملازماً في تنظيم، أو حركة، ولم يكن في باله أن يُختصر في صورةٍ على «بوستر نعي»، فمع الصون العالي أبداً لمقام المقاتلين والشهداء، كان درويش ضلعاً من ضِلعي خارطة فلسطين، ومكوّناً من مكوناتها الثقافية والحضارية والجمالية.

وبعد ما يقرب من نصف قرنٍ من الإخلاص للشعر، بمثابرةٍ نادرةٍ، ووفاءٍ عظيم، كتب محمود درويش اسمه واسم أمته بكل لغة

في ثقافات آسيا الوسطى و أميركا الجنوبية، والمكتبات العامة في أطراف إفريقيا، بل وصل بنشيده العالي وصوته الواثق إلى بلادٍ لم يكد يصلها حبر الترجمة أو شغف الكتابة!

واستطاع، كما يليق بشاعر، أن يتلمس ذلك الإنساني المشترك بين فلاحي المتوسط ومزارعي الريف المغاربي وفقراء الساحل الهندي وجميلات المدن اللعوب وأمهات المقاتلين في غير ثورة وغير بلد، وأن يغادر تلك «الزنزانة الرقيقة» التي أريد له أن يظل أسيرها حين سمي بشاعر المقاومة.

غادرها إلى مناطق أكثر جدلاً وإعمالاً للعقل، واقترب من مساحات خطرة ربما غامر كثيرون قبله بطرقها، إنما ليس بالوثوق ذاته والوضوح ذاته، فلم يسبق لشاعر أن واجه الموت بهذه الندّية والصلابة والصوفية والتسامح.

ولم يذهب محمود درويش الى العالم ضيقاً بنسبه الوطني، أو تبرّماً من بلاد لم تتسع له، بقدر ما رأى أن بلاده فكرة وحضارة وتراث خلاق أكبر من أن تحشر في حدود الجغرافيا.

ولم يلبث الشاعر أن صاغ جدلية فريدة ، بين قضية تحرر وطني وكفاح ضد الاحتلال وبين الإنساني والجمالي والفاتن، وبين الحرب والحب، وبين سرير الغريبة والفقد الدائم لفيء القرية الفقيدة.

فارتقى منصة الشعر في عواصم صافحته بودّ وانحنت له ولشعره، ولقضيته، ولفكرته، وفي عواصم أخرى اضطرت إلى الاعتراف به فنيا وجمالياً ولم تستطع إلا احترامه كمجدّد في الشعر العالمي برمّته.

لذلك كلّه كان محزناً وغير مدهش أبداً، ذلك التناول السهل الذي انتحاه بعض الكتاب في الرثاء والتمجيد والمديح كأنما الحديث عن فتىً عربي حقق ميدالية ذهبية في «أولمبياد بكين»، فضلاً عن الفجاجة التي تنتاب الرثاء العربي دائما فتجعله حديثا عن الراثي وذكرياته لا عن المرثي؛ وعن المواقف التي جمعته بالراحل؛ الذي يجب أن يكون «بطلاً» بأي شكل، ليصير الراثي هنا بدوره بطلاً بالضرورة بحكم صداقته له، أو حتى بحكم مكالمة هاتفية أجراها معه مرة!!

الحري بالقراءة إذاً، وبالدرجة الأولى، هو الجدارة التي حققها محمود درويش لفلسطينيته، وهو الذي بذل جهداً خرافياً في العقد الأخير لتنظيف الشعر الفلسطيني من ركام الشعارات التي علقت به، ومن الخطابة والضجيج، ليخطو به إلى «العادي والبسيط»، وإلى الإنسانية الأكثر اتساعاً ورحابة، وإلى ترجمة أشواق شعبه إلى أكثر من ثلاثين لغة، محققاً بذلك إجابة موضوعية وواضحة على الذين انتقدوا خروجه من «فلسطين»، وظلوا هم منذ أربعين سنة يكتبون القصيدة «باللغة الشعاراتية الصاخبة»، التي لم تغادر السبعينات بعد!

لكن كثيرا من الناس، و من المثقفين أيضاً، للأسف، لا يريدون فهم مقولة محمود درويش التاريخية: «إننا نناضل لنصير شعباً عاديا كباقي الناس»!!

كان محمود درويش يسعى طيلة عمره وشعره، إلى مغادرة المساحة المقدسة والطوباوية، إلى نزق العادي وتفاصيله وأخطائه، كان يحلم بيوم بسيطٍ لشعبه:

إفطار في شرفة المنزل دون أن تراقبه الطائرات ولدٌ لا يقضي مراهقته في المعتقل! أمٌّ تتزين للأب دون أن تفاجأ بجنود الاحتلال في غرفة الماكياج! شارع واحد طويل يتسكع فيه عاشقان دون أن يهيئا الهويتين على الحاجز! عائلة تجتمع بكامل أفرادها في زفاف الابنة الصغرى! بلدٌ بلا وزارة للأسرى أو مقبرة للشهداء!!

.. هكذا هي «فلسطين» التي حلم بها، التي حملها إلى العالم بأكثر صورها وضوحاً وربما كان منجزه وحده في هذا السياق قد تفوق على ما حققته فصائل كثيرة منذ انطلاق العمل الوطني في ستينيات القرن الماضي، ولا أريد أن أبدو هنا بمحلّ المتجرىء على مجمل الإنجاز الوطني للثورة الأكثر تراجيدية وعطاء في القرن الآفل، لكن علينا أن نعترف أيضاً بما تحقق في النهاية على الأرض وبحصيلة ما راكمه الطرفان: السياسي والثقافي!!

ففي حين فشل المستوى السياسي الفلسطيني في السنوات الأخيرة، بتنظيم أجيال عديدة من الشباب لصالح فكرته المترددة وخياره الذي انتابته التحولات في غير مرحلةٍ، ومفصلٍ، استطاعت دواوين الشاعر أن تحشد لفلسطين شعبا كاملاً احتياطياً من مواطنيها في المنافي والذين لم يروها إلا من خلال قصائده، القصائد التي جعلت من «فلسطين» مرضاً شديد العدوى تتناقله الأجيال على تعاقبها.

وحين أصاب الفلسطينيين، والعرب، يأس فادح من تحقق فلسطينهم الكلاسيكية على الأرض، استطاع محمود درويش خلق فلسطين ثانية جديدة لهم، قوامها الوعد والحلم والعناد الجميل الذي جعل اللاجىء المنفيّ الذي لا يجرؤ على التفكير بالعودة إلى نابلس يحلم بعد أمسية من الشعر بالعودة الممكنة إلى الجليل!

وهو الذي أمكنه بقدرة ساحر أن يدفع العجائز السبعينيات إلى حجز مقاعدهن في «قصر الثقافة» ليجلسن جوار كمال أبو ديب وخيري منصور وطاهر رياض، ينتظرن طلّته البهية، يدخل بخيلاء كأنما يجرّ خلفه أمجاد الكنعانيين جميعاً، ويجلسن بأمومة مفرطة يسمعن قصيدة ما بعد الحداثة!

شقيق الفلسطينيين الكبير الذي صرخ أخيراً من فرط صبره « أنا لست لي .. أنا لست لي ..» كان يحاول أن يشرح بتواضعه وطبعه الحيّ لجمهور المصفقين أنه صار جزءاً من مقتنيات هذا الكون الثمينة، وأن له عائلة أخرى كبيرة يدعونا للتعرف إليها، معه.

وإذا كان الشعب الأكثر خبرةً بالموت والموتى قد ارتبك في تنظيم جنازة لائقةٍ للشاعرالعظيم، فإنه صار يليق إذاً بهذا الشاعر القادم لنا من العالم، أن نقرأه بلغة أكثر رحابة وفهماً، في المعنى والمفردات، وألا نتكئ على لغة الهتاف في فهم قصائد، وأن نخرج قليلا من فلسطينيتنا لنراه أوضح!

ورغم حالة الشعور الدامع بالقومية، وبالشقيق يسند قلب القتيل، حين تطير مروحية أردنية كل قليل تنقل شهيداً أو شهيدة من ضفة النهر إلى ضفته، ورغم وثوقي الحزين بأنها آخر المروحيات إذ لم يبق لنا من ننقله، فما زلت متيقناً أننا لسنا بحاجة إلى أبطال، فالوطن العربي ماهر في إنتاجهم أكثر مما تصنع «الصين» من الساعات المقلّدة، لكننا بحاجة الى مفكر وشاعر وفيلسوف بقامة محمود درويش، ذلك الذي صار الآن «كزهر اللوز أو أبعد»!

* كاتب وصحافي أردني مقيم في الإمارات

وداعا للجسد.. مرحباً بالنشيد

د. سلوى عمارين*

نعم يموت الجسد، يفنى، ولكن يبقى النشيد الحر محلقا في شماريخ زهر اللوز الصغيرة والمتجددة كأنها العنقاء التي لا تموت.

نعم قد يتوقف النبض الذاهب نحو شرايين أنهكها الزمن، ولكن نبض التحليق الحر في فضاء الكون أبدا لا يموت.

قد يموت جسد محمود درويش، قد يوارى الثرى جسده، ولكن مئات القصائد والمنجز الشعري الإبداعي الذي ظل يواصل تقدما وريادة مضطردة دونما توقف على مدى نصف قرن من الزمان، ليس لها أن تموت، هي حتى لا تملك أدوات ذلك الموت. فمساحته ومجالات فعله محددة فقط فيما هو قابل للزوال، فيما هو مؤهل للموت، ومنذور له، وحامل في داخله وضمن منظومة بنائه الجواني، أسبابه ومبرراته في لحظة تاريخية حاسمة.

أما المنذور للخلود من إبداع إنساني فذ ومواقف خالدة وفداء نهائي وبسالة مشرفة، وما إلى ذلك من قيم ومعان ونبوغ، فهو خارج ساحة فعل الموت، وخارج احتمالات الفناء.

وما قدمه الشاعر العربي الإنساني القومي الفلسطيني الحيفاوي العكاوي اليافاوي الجليلي الناصري الدمشقي البيروتي العمّاني البغدادي التونسي القاهري العظيم محمود درويش، وما أنجزه بين عتمتين، شكّل وسيظل يشكّل ضوءا ساطعا في سجل شرف الكون. وهو إبداع من النوع الذي لا يليق به سوى الخلود، ويملك أدوات التجدد المتناسل من رحم المعنى، ووهج العبارة، ووجوه التأويل، وعبقرية المفردة، ورمزية الفكرة، ورشاقة الإيقاع، وسلاسة الخلق والصقل والنحت، والإتيان المتواصل بما يدهش الناس، وينفعهم، ويمكث في الأرض.

ولأن زمن النشيد دائم التجدد، ومتعاقب

الغياب والحضور، فإن صاحب النشيد وسيّد الكلمات ونقّاش المعاني، كان هنا بيننا في عمّان أحايين كثيرة، آخرها صباح الأربعاء، جسدا مسجى، ونائما داخل قبضة من تراب الوطن في رام اللّه، بانتظار قيامة للحب والمجد والعنفوان والحرية والاستقلال. ولأنه مر عبر عمان إلى الوطن الحزين، فقد كان من الواجب أن يلاقيه رئيس الجامعة الأردنية المبدع خالد الكركي بكلمات لولا أنها خرجت من القلب ومن عمق الإيمان بخلود المعنى وتناسل المجد الطالع من الحروف، لما كانت وداعية الكركي بكل هذا الصدق والوجع النبيل «أبدأ بسلام يمتد من عمّان إلى القدس، ومن الكرك إلى الخليل، ومن السلط إلى نابلس، أبدأ بالسلام على روح محمود درويش، وعلى أهلنا الأحياء والشهداء على أرض فلسطين». وبعد السلام يؤكد الكركي لدرويش أن الكلام «في حضرة الغياب» المدجج بحضور أنيق ورشيق مثل صاحبه يغدو واجبا «ولكن أنّى لنا أن نتركك دون أن نقول شيئا عنك وعن بلادك الحزينة، وأغانيها التي في البال، أو ندعك تعود هكذا إلى البيت من غير أن ندّعي حِصّة فيك، أو نسألك لماذا تركت الزمان وحيدا... فقد كان عمرك مثلما تهب اللئام، ولا نعرف من سيؤنس الآن الشعر بعدك».

ينسج الكركي أمام نعش رفيقه في الحب والشموخ والنشيد، ما يحمل مثل شعر الراحل ممكنات الخلود «لقد سقط الحصان عن القصيدة لكي يرحل إلى البيت عبر السفح كما شاء: إما الصعود وإما الصعود. والآن يا أخانا ما عدت بشرا مثلنا، فقد متّ شاعرا أسطوريّا لتعيش مع من هم مثلك: شعراء بابل، وهوميروس وامرئ القيس وطرفة والمتنبي وشكسبير وطاغور ولوركا... لقد دخلت التاريخ، وصرت اليوم ما أردت: فكرة وكرمة وطائرا فينيقيّا وشاعرا جسده تحت الثرى، واسمه فوق الثريا: لقد صرت تماما كل ما تريد».

وداعا لجسد لا يملك في لحظة تاريخية ما إلا أن يخون، ومرحبا بالنشيد الحر من أجل علبة ألوان الأطفال ومزهرية العروس الواقفة عند باب البحر وكرمل الدهشة المتجددة وبسمة الندى على خد بيسان وحطين وميسلون وذيبان ومؤاب وشيحان. مرحبا بما يعدنا به محمود درويش الطالع عما قريب من أغنيات الجلجلة.

---

* كاتبة أردنية

مختارات من درويش

الآن، في المنفى.. نعم في البيتِ،
في الستّينَ من عُمْرٍ سريع
يوقدون الشَّمعَ لك
فافرح، بأقصى ما استطعتَ من الهدوء،
لأنَّ موتاً طائشاً ضلَّ الطريق إليك
من فرط الزحام.. وأجّلك.
قمرٌ فضوليٌّ على الأطلال،
يضحك كالغبي
فلا تصدِّق أنه يدنو لكي يستقبلك.
هُوَ في وظيفته القديمة، مثل آذارَ
الجديدِ... أعادَ للأشجار أسماءَ الحنينِ
وأهمَلكْ.
فلتحتفلْ مع أصدقائكَ بانكسار الكأس.
في الستين لن تجِدَ الغَدَ الباقي
لتحملَهُ على كتِفِ النشيد... ويحملكْ
قُلْ للحياةِ، كما يليقُ بشاعرٍ متمرِّس:
سيري ببطء كالإناث الواثقات بسحرهنَّ
وكيدهنَّ. لكلِّ واحدة نداءُ ما خفيٌّ:
هَيْتَ لَكْ / ما أجملَكْ!
سيري ببطءٍ، يا حياةُ، لكي أراك
بِكامل النُقصان حولي. كم نسيتُكِ في
خضمِّكِ باحثاً عنِّي وعنكِ. وكُلَّما أدركتُ
سرَاً منك قُلتِ بقسوةٍ: ما أَجهلَكْ!
قُلْ للغياب: نَقَصتني
وأنا حضرتُ... لأُكملَكْ!

«كزهر اللوز أو أبعد»

الملف

تُرجمت أعماله إلى أربعين لغة عالمية

عصفور: درويش أكبر شعراء العالم المعاصر

حسين نشوان*

الذين يقارنون بين الشاعر الفلسطيني محمود درويش، والشاعر العربي المتنبي، ربما يتفاوتون في تحديد أهمية أحدهما على الآخر، في الشعرية، إلا أنهم لا يختلفون على ما حققه درويش من حضور عالمي. وهو قبل ذلك كان أسهم في تشكيل الوجدان والوعي الثقافي العربي وُرشح للفوز لجائزة نوبل للآداب غير مرة. وربما يبقى مثل هذا الخلاف طبيعيا في سياق الحكم على التجربة بين نقاد يتساوون في مشاعرهم حيال الشخص ومواقفه، إلا أن الاعتراف بإنسانية التجربة الشعرية من «عدو» مؤشر على ما حظي به صاحب الجدارية، من اعتراف عالمي. فقد وصفه «الأدباء الإسرائيليون» بـ «الصديق والخصم». كما قال أ.ب. يهوشواع.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل إن أشعاره عملت بأكثر مما تفعله الأسلحة الفتاكة، ووصل مفعولها إلى العمق، فقد أثار اقتراح وزير التعليم يوسي سريد تضمين المنهاج الإسرائيلي لأشعار درويش بوصفه أدبا عالميا أزمة طالت الكيان الإسرائيلي. ومما يؤكد الحضور العالمي لصاحب «عاشق من فلسطين» ما كتب في صحيفة هآرتس، «أن التاريخ كلف درويش أن يؤدي دورا وهو أن يكون الشاعر الوطني». وليس أكثر ما يؤكد الاعتراف العالمي الذي يأتي من العدو قبل الصديق، الأمنية التي عبر عنها رئيس الوزراء الإسرائيلي شارون «لو كان لديهم شاعر مثل درويش..». ومع أن درويش لم يحصل على الجائزة الأكثر عالميا، وهي جائزة

نوبل، إلا أن النقــاد يضعــون صاحــب «لماذا تركت الحصان وحيدا» في مصاف الشـــعراء العالميــين. أمثال: إزرا باوند، ونيرودا. وإذا كانت الأرقام تمثل مؤشــرا مــا فإن أعمــال درويش ترجمــت إلى أربعين لغة، وهو الرقم نفســه الذي وصل إليه صاحب نوبل «العربي» نجيب محفــوظ، وزاد توزيــع أعماله في الســنوات الأولى لصدورها على الثلاثة ملايين نســخة. وهي أرقام تنافس كتابا عالميين، بل إن إيزابيل ألليندي ترجمت أعمالها إلى سبع وعشرين لغــة فقط. ويقول درويش فــي أحد اللقاءات الصحافيــة: «أنــا فخــور بأن يكون شــعري فَرَضَ حضور بلادي في الخريطة السياســية للعالم، قد أكون وضعــت لبنة في التجربة الكونية..». إن تحديــد العالمية لا يتوقف عند عدد الإصدارات، والانتشــار، أو الترجمات إلى لغات العالم، فحسب، وإنما بما تنطوي عليه التجربة من حس إنســاني، وخصوصا تجربته في العقد الأخير التي تأسست على انتمائه الإنســاني والثقافــي الذي تجلــى في منجزه الشــعري، وتفرغه للقصيدة، بل ترك كل ما من شأنه أن ينافســه على موضوع الشعر. وقد وصفت تجربة صاحب «أثر الفراشة»، بأنها تجاوزت حــدود جغرافيــا الأرض إلى جغرافية أخرى أرحب ســماء، وهي جغرافية الإنســان فــي كل مــكان وزمــان. وهو الوصــف الذي أطلقه محرر الشــؤون العربية في صحيفة «هآرتس»، وتأتي الشــهادة مــن الجانب الآخر، فيقــول تســفي بارئيل: إن «عظمــة درويش الأساســية هي في البلورة الشاعرية الثاقبة للذاكرة التاريخية الفلســطينية..». إن هذه الشهادات التي تصدر عن شعراء إسرائيليين توضح المكانة العالمية التي حققها الشاعر درويش، وإن «الاعتراف» الذي أعلن عنه كتاب إســرائيليون، هو «تحصيل حاصل»، لما يتمتع بــه عالميا. أما ما يتعلــق بالنقاد العرب، فقد عــدت تجربــة درويش منــذ «هــي أغنية هي أغنية»،مــروراً بــ لماذا تركــت الحصان وحيداً» ووصولاً إلى الجدارية، ثم «كزهر اللوز أو أبعد» وختاما بــ أثر الفراشــة»، بأنهــا تقود عربته الشعرية في جدال مثير وغامض في الأزمنة والأمكنة والهوية، وهو طريق يؤثث لشعرية جديدة في الصورة، والموسيقا، وتذويب الهم في بعده الكوني، وإن تجربة صاحب «عصافير بــلا أجنحة» تركــت ظلالها علــى كثير من الشعراء العرب، والشعر العربي الحديث، وما يشــهد عليهــا حجم ما كُتب من دراســات نقدية عن التجربة عربيا وعالميا. وعدّ محمود درويش صاحب مدرســة شــعرية، إذ شــكل مدرســة شعرية بقوة شــعره دون أن يقصد بنــاء مثل هذه المدرســة، التــي صبغت عالما شعريا عربيا في الســتينيات والسبعينيات بصبغتهــا، وشــكّلت رافدا من أهــم روافد الشــعر العربي الحديث، الــذي أصبح درويش علامته البارزة طوال أكثر من ٤٠ عاما بدأ من ديوانه الشــعري الأول «عصافير بلا أجنحة» عام ١٩٦٠.

ووُصِفَ بأنه أبرز شــاعر عربي معاصر وصل إلى العالميــة وأهم منبر ثقافي أســهم في تشــكيل الوجدان والوعي الثقافــي مبكرا لــدى أجيال كاملــة من محبي الشــعر في العالــم العربي وخارجه، حســب نقاد عرب.

وتوقف النقاد عند إحدى المحطات المهمة لعالمية الشاعر في ترشحه لجائزة نوبل ثلاث مرات، مستدركين أن عدم حصول الشاعر درويش عليها لا يتصل بمعاييرها الفنية، وإنما الإدارية، والإدارية هنا، هي تخفيف لـ «السياسية».

إن حجم المنجز الشعري الذي تركه الشاعر الراحل، لا يعد في حساب الكم فحسب، وإنما في حساب زمن التجربة، التي تواصلت لأكثر من أربعة عقود، وعلى تحولاتها المكانية التي طافت الكرة الأرضية كظل الشاعر الذي حمل منفاه من محطة إلى أخرى، ليفهم العالم بطريقة تضيف إلى الفكر الإنساني أسلوبا جديدا في وعي الاختلاف، والائتلاف، وهي نظرة جديدة في الفكر النقدي الثقافي للنظر إلى ظواهر الأشياء التي تحيط بالإنسان حيثما وجد. وقد تمثلت التجربة في التحولات الفنية التي عبر عنها في نحو أربعين كتابا بين الشعر والنثر. وكانت أولى قصائد درويش من أوائل الإصدارات العربية التي تترجم للغة الصينية مباشرة من العربية. وأقام درويش العديد من الأمسيات في عدد كبير من دول العالم، وحظي بالإعجاب والتقدير، واستطاع أن يحمل رسالته من خلال القصيدة بأكثر ما يستطيعه السياسي. إن هذه الأمثلة مجرد لمحات سريعة عن المكانة التي يحظى بها الشاعر الذي حمل قضية الشعر بكيفية تجلي مأساة الإنسان، واقترح من خلال تحولات الفاجعة أن يحدث تحولا في مفهوم الشعر والقصيدة، التي يمكن أن تلقي بظلالها على القصيدة العالمية بعد حين. وإذا كانت الجوائز مؤشرا للعالمية والاعتراف بالمنجز وتقديره، فقد توجت مسيرة درويش بعدد من الجوائز العالمية منها، جائزة لوتس عام ١٩٦٩، وجائزة البحر المتوسط عام ١٩٨٠، ودرع الثورة الفلسطينية عام ١٩٨١، ولوحة أوروبا للشعر عام ١٩٨١، وجائزة الأمير كلاوس.

وجاء في سياق منحه إحدى الجوائز، أن الشاعر محمود درويش أرسى لتجربته الإبداعية وضعاً اعتبارياً خاصاً، في المشهد الشعري العربي والعالمي، بما جعل منها لحظة مضيئة في تاريخ الشعر الإنساني.

ويقول الناقد العربي جابر عصفور: إن درويشاً وجه أساسي مشرق في الشعر العربي المعاصر، ولأنه أيضا صاحب قضية قدم لها الكثير واستطاع أن يكون رسولا لها من خلال شعره الذي ترجم إلى عشرات اللغات، وقرىء في مختلف عواصم العالم حتى داخل إسرائيل. وقال في شهادته، «إن درويش هو واحد من أكبر شعراء العربية على امتداد عصور الشعر العربي, بل من أكبر شعراء العالم المعاصر كله، استوعب ميراث الشعر وانطلق به إلى آفاق لم يصل إليها سواه».

---

* شاعر وتشكيلي وصحفي أردني

مختارات من درويش

لا أعرف الشخصَ الغريبَ ولا مآثرهُ...
رأيتُ جِنازةً فمشيت خلف النعش،
مثل الآخرين مطأطئ الرأس احتراماً. لم
أجد سبباً لأسأل: مَنْ هُو الشخصُ الغريبُ؟
وأين عاش، وكيف مات " فإن أسباب
الوفاة كثيرةٌ من بينها وجع الحياة".
سألتُ نفسي: هل يرانا أم يرى
عَدَماً ويأسفُ للنهاية؟ كنت أعلم أنه
لن يفتح النَّعشَ المُغَطَّى بالبنفسج كي
يُودِّعَنا ويشكرنا ويهمسَ بالحقيقة
"ما الحقيقة؟" رُبَّما هُوَ مثلنا في هذه
الساعات يطوي ظلَّهُ. لكنَّهُ هُوَ وحده
الشخصُ الذي لم يَبْكِ في هذا الصباح،
ولم يَرَ الموت المحلِّقَ فوقنا كالصقر...
"فالأحياء هم أَبناءُ عَمِّ الموت، والموتى
نيام هادئون وهادئون وهادئون" ولم
أَجد سبباً لأسأل: من هو الشخص
الغريب وما اسمه؟ "لا برق
يلمع في اسمه" والسائرون وراءه
عشرون شخصاً ما عداي "أنا سواي"
وتُهْتُ في قلبي على باب الكنيسة:
ربما هو كاتبٌ أو عاملٌ أو لاجئٌ
أو سارقٌ، أو قاتلٌ ... لا فرق،
فالموتى سواسِيَةٌ أمام الموت.. لا يتكلمون
وربما لا يحلمون...
وقد تكون جنازةُ الشخص الغريب جنازتي
لكنَّ أَمراً ما إلهياً يُؤَجِّلُها
لأسبابٍ عديدةْ
من بينها: خطأ كبير في القصيدة

«لا تعتذر عمّا فعلت»

الملف

لم ينتظر أحداً

هوامش على جدارية الرحيل

إلى روح الشاعر العربي الكبير محمود درويش

بهيجة مصري إدلبي*

"لم ينتظر أحداً"
على باب القصيدة حين أيقظه الصعودُ
"لم ينتظر أحداً"
طوى أوراقه ومضى
إلى أبدية بيضاء
يألفها الخلودُ
هو عاشق
والعاشقون إذا تلوا آياتهم من غيبه
أفاض النشيد
"لاشيء يوجعه على باب القيامة"
في مقام (الأين)

"أصبح ما يريدُ"
هو في مدارات البصيرة
ينتقي لمجازه لغةً
يعرّي سره في اللاوجود
يذوبُ في دمه الوجودُ.

قالت قصيدته الأخيرةُ
- حين كان الموتُ قربَ سريره غيماً

وفي يده الورودُ -
قال: "يا موت انتظرني خارج الأرض"
"انتظر يا موت ... يا ظلي الذي سيقودني"
"فأنا الغريب بكل ما أوتيت من لغتي"
أنا ضداي يتحدان في المعنى
فيأخذني القصيدُ
في الموت تكتمل الرؤى
ويذوب في اللاوقت
موعدنا البعيدُ
الموتُ أبعد من سؤالي
من خيالي
من رؤايْ
هو فكرة كالحب يهبط من سمايْ
وخطاه نحوي مثلما الريح التي
حفّت خطايْ
هو ما نراه ولا نراه
ولا نريدُ ولا يحيدُ.

* * *

"لم ينتظر أحداً"

يودعه

ليعرف ما يريدُ

قال الطبيب سمعت أحرفه الأخيرة:

قال: ها إني اكتملتُ

"ما دلني أحدٌ عليّ أنا الدليلُ"

أنا الدليل إليّ بين البحر والصحراء

من لغتي ولدتُ

وتلعثمت كلماته

فبكى وقال:

"اسمي وإن أخطأت لفظ اسمي على التابوت لي

أما أنا - وقد امتلأتُ بكل أسباب الرحيل-

فلستُ لي

أنا لستُ لي

أنا لستُ لي".

"لم ينتظر أحداً"

غفا كفراشةٍ بيضاء

بللها الشرودُ

"ريتا تغني وحدها"

والقدسُ يطعنها الجنودُ

ودمُ الشهيدِ موزعٌ بين القبائل

بعد ما مات الشهودُ.

"لم ينتظر أحداً"
طوى أحلامَهُ خلفَ الزمنْ
ألقى التحيةَ مِنْ بعيدٍ للجميع
وقال من ألمٍ دفين:
"تصبحون على وطنْ".

* شاعرة سورية

** المقاطع بين الأقواس من شعر محمود درويش بتصرف

مختارات من درويش

مَنْ أَنا لأقول لكمْ
ما أَقول لكمْ؟
وأَنا لم أكُنْ حجراً صَقَلَتْهُ المياهُ
فأصبح وجهاً
ولا قَصَباً ثقَبتْهُ الرياحُ
فأصبح نايًا ...
أَنا لاعب النَرْدِ،
أَربح حيناً وأَخسر حيناً
أَنا مثلكمْ
أَو أَقلُّ قليلاً ...
كان يمكن أن لا أكونْ
كان يمكن أن لا يكون أَبي
قد تزوَّج أمي مصادفةً
أَو أكونْ
مثل أختي التي صرخت ثم ماتت
ولم تنتبه
إلى أَنها وُلدت ساعةً واحدةْ
ولم تعرف الوالدةْ...
كانت مصادفة أَن أكون
أنا الحيّ في حادث الباصِ
حيث تأخَّرْتُ عن رحلتي المدرسيّةْ
لأني نسيتُ الوجود وأَحواله
عندما كنت أَقرأ في الليل قصَّةَ حُبٍّ
تَقمَّصْتُ دور المؤلف فيها
ودورَ الحبيب - الضحيَّةْ
فكنتُ شهيد الهوى في الروايةِ
والحيَّ في حادث السيرِ

«لاعب النرد»

الملف

محمود درويش: الشاعر الكوني

تيسير أبو عودة*

إن رحيل درويش في مثل هذه الحقبة الزمنية المثخنة بجراح الذاكرة والتاريخ الجمعي للأمة العربية هو خسارة تعادل فقدان وطن بأكمله. أجل لقد خسرنا هذا الشاعر والمثقف الكوني الذي ظل طيلة العقود الماضية يناضل لكي يكتب حكاية المنفى والوطن والهوية فورث بحق أرض الكلام. ويخطئ من يظن أن درويشاً مجرد شاعر مهووس بمضامين نرجسية الهوية الوطنية فحسب، بل إنه شاعر ومثقف موسوعي اخترق المشهد الكوني بكل امتياز؛ الأمر الذي منحه حق أن يكون في مصاف شعراء عظام ملئوا الدنيا وشغلوا الناس أمثال المتنبي ورامبو وبايرون وأندريه مالرو وغيرهم. ولكن يبقى عزاؤنا في هذا الإرث العظيم الذي تركه لنا الشاعر محمود درويش. وفي كتاب « في حضرة الغياب» - الذي أجرى فيه درويش مزجا عبقريا بين الشعري والنثري، وبين الخيالي والواقعي ، وبين الوطن الفكرة والوطن الجغرافي يختزل درويش دور «المثقف الرسولي» حسب وصف الناقد العبقري إدوارد سعيد من خلال نص شعري ونثري يحاكي وعي درويش الوجودي بمهمة الشاعر الأخلاقية.

ألهذا كان ردك الشخصي هو الدفاع الشعري عن الحبكة والذاكرة؟ فكتبت أصداء سيرة شخصية - جماعية، وتساءلت: لماذا تركت الحصان وحيدا؟. فماذا يستطيع الشاعر أن يفعل أمام جرافة التاريخ غير أن يحرس شجر الطرقات القديمة ونبع الماء المرئي وغير المرئي؟ وأن يحمي اللغة من ركاكة التراجع عن خصوصيتها المجازية، ومن إفراغها من أصوات الضحايا المطالبين بحصتهم من ذكرى الغد ، على تلك الأرض التي يدور الصراع عليها إلى ما هو أبعد من قوة السلاح : قوة الكلمة.

ويبدو أن قدرة درويش الشعرية والفكرية مكنته من إبداع نص مفتوح يتفاعل مع مختلف السياقات الكونية وقادر على اختراق الجمالي إلى فضاء الإنساني والثقافي، فكان بحق نصاً أركيولوجيا ينبش عمق التاريخ والنظرية المعرفية. ولهذا السبب تعددت سياقات الهوية الثقافية والكونية التي اختزلها نص محمود درويش. فلدى درويش تلتهم حيرة العائد مكر الاستعارة ودهاء البلاغة. لكن الذاكرة لديه تبدو رهينة محبسين: الأول هو فض بكارة اللغة، والثاني وهو ذوبان الأنا في كيمياء الغياب وفي حضرة المنفى.

ولغة درويش موسيقى تفيض كتوليفة: اختزالها الحقيقي أشبه باختزال الطاقة تلك التي لا تفنى ولكنها تستحدث في نماذج جديدة من مادة الوجود. وهذه اللغة ذاتها هي التي تراوغ مفهوم الهوية المركب فللهوية إيماءات لا يدركها سوى القادر على الرقص على حبل مشدود مربوط على ناطحة سحاب لأن المعاني زئبقية الدلالة مائية المبنى. وإكسير الوجود في نص درويش هو كينونة الهوية والبحث عن طيفها الذي يحلق فوق رؤوسنا منذ بدء الخليقة. ولأن كلماتنا بوح الكناري وصمت أصواتنا.. كلماتنا ذاكرة النسيان ونسيان الذاكرة نحن إذن محض ذاكرة. ومن خلال هذه الكلمات ما انفك درويش يدافع عن شرعية الذاكرة والهوية اللتين حاول التاريخ مراراً أن يسقطهما من معجمه. وفي كتاب درويش «حيرة العائد» يتقاطع العابر بالآني، و الوطني بالكوني، والخصوصي بالعمومي. وبين هذه الثنائيات المتحولة يرسم نص درويش خطأً وهمياً هو الحنين لجغرافية التاريخ الجمعية والهروب من كابوسه الذي يلاحق آنية المنفي في وطنه. مرة قال أبو حيان التوحيدي «وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه... يا هذا أنت الغريب في معناك». ومفارقة الهوية في أعمال درويش تنطوي على هذه الإشكالية الوجودية التي تحدث عنها التوحيدي.

وفي خضم هذا الفصام التراجيدي الذي يشي به نص درويش بين حالة المنفي في وطنه فكرياً وأيدولوجيا وبين حالة القابض على جمرة الذاكرة باختزالها الجمعي للون والطعم والرائحة من سؤال الجذور، والمسجد، والكنيسة، وملاعب الطفولة تتلاشى جغرافية المكان لتصبح محض حالة ذهنية «تدوخ» صاحبها في رحلة بحث صوفية لا نهاية لها. وفي عبث الرؤية تصبح الهوية مفهوماً درويشياً شبقاً فاوستياً لتحطيم حدود المعرفة بكل سياقاتها الكونية، وهنا تقتضي الضرورة التراجيدية أن تصبح اللغة وطناً بديلاً للهوية وعاصمتها الإبداع بكل ألوانه الغرائبية.

وفي هذه اللجة العارمة من التساؤلات الوجودية التي يطرحها نص درويش تبدو الذاكرة والحلم ثيمة المزق بين الرجوع للبدايات والجذور وبين استشراف الحلم والغد المجهول. و تتضح معالم هذه الرؤية

في كتاب درويش «ذاكرة للنسيان» الذي نلمح فيه تناصاً مكثفاً مع أطروحة المفكر الإيطالي جرامشي فيما يتعلق بالعلاقة القسرية بين السلطة والمعرفة وأهمية هذه العلاقة في تحديد علاقة الجلاد بالضحية

تحت مظلة الهيمنة الثقافية. ونستطيع التكهن أن نص درويش «ذاكرة للنسيان» يعري مفهوم الذاكرة من خلال تكثيف لغوي يستنطق سياقات الذاكرة الجمعية وعلاقتها بجرح المنفى. فللذاكرة جاذبية الأشياء، لأن الجرح يساوي مقدار جذب الذاكرة للألم. ولأن الذاكرة كينونة وجودية يبقى السؤال ضمنياً في نص درويش: أيهما أقل ألما جرح الذاكرة، أم ذاكرة الجرح؟ و السؤال ذاته يقحمنا في تأمل تراجيدي في مأساة شعب مبعثر كشخوص بيرانديللو التي تفتش عن مؤلفها كي ترجع لأرض المسرح والتاريخ من جديد، ولكن عبثا تبدو المحاولة. يباب هي الأرض، فالطريق معبد بالخواء والفراغ. وفي لغة درويش لوحات سريالية تفتش عن صورة الحنين في الوجوه المسكونة بالفزع والتيه. وبين مشهد الحياة والموت، والحلم والحقيقة صور لا تقوى على اختزالها بلاغة اللغة و فطرة الاستعارة . وهذه المفارقة جلية في كل أعمال درويش. فيصور درويش الفرق بين فداحة أن تكون بلا هوية وبين استلابك خصوصية وجودك إذ تصبح عاريا أمام الجميع. وجع يشي بالتهاب أبدي للنخاع الشوقي وأنين بروميثيوس المكبل يملأ الأفق، الأرض تبصقك والسماء تلفظك باستهتار باهت. تتشبث عنوة برماد الحاضر وأنت تقبض على جمرة الذاكرة متمنيا لو كنت نكرة!

ونص درويش نابض بالنصوص الكونية التي تروي حكاية طروادة و خطيئة التاريخ فصارت الحكاية على لسان راويها الزمن:

ذات جرح، سقط التاريخ عن صهوة الحقيقة، وصرنا مخضبين بدم المنفى. نتسول أمل الانتظار من بريق أولئك الذين يمضغون حلوى الحزن المعتق. ستون عاماً وجودو لم يأت والحنين صار كهلاً يتكئ على عكاز الغد الذي خدعنا كشخوص بورخيس قبل دخول درب المتاهة: ماض مفقود، وحاضر مسخ، ومستقبل متورط في خطيئة الخواء.

وقد يتساءل أحدنا: ماذا قدم درويش لمشروع خطاب اليقظة العربية ونحن ما زلنا متورطين في إشكالية فهم ذاتنا وإدراك الآخر؟ ما زلنا نجتر الأسئلة ذاتها التي طرحها مثقفونا خصوصا بعد الحملة الفرنسية على مصر أمثال محمد عبده والأفغاني وغيرهم قبل عقود وحتى الآن في محاولة تبدو هشة لبناء مشروع خطابي ناضج يتصدى للهجمة الشرسة التي يشنها الغرب والتي تذكيها عقيدة التفوق (الأنجلو ساكسونية) واستمراؤنا لدور الضحية . فماذا تبقى لنا من هذه الذاكرة المهترئة يا ترى؟

حقاً في الليلة الظلماء يفتقد البدر. فرغم افتراس المرض لجسد درويش شيئاً فشيئاً، إلا أن هذا لم يمنعه من مواصلة معركته لنفض غبار الباطل عن عيون الحق لسرد تاريخ لا تمحوه أعتى قوة على وجه الأرض. ظلت إرادته فولاذية تفيض كتوليفة موسيقية لبيتهوفن لا تعبر موسيقاها عن كثافة الاختزال الحقيقي فيها، لكنها متجددة وخالدة عبر العصور وناطقة بلغة الموسيقا والمقاومة معا.

قد لا يحتاج جرح لشاعره كما قال درويش، ولكن هويتنا هي نحن، هي جرحنا وبقايا العائدين من طروادة. مرحى للحزن فينا.

---

* كاتب أردني

الملف

في الموت ولادة تفجر حياة أخرى

د. حسن عبدالله*

كنا في مرحلة تاريخية بحاجة ماسة إلى الرمزية في مختلف المجالات. فالرمزية الإبداعية في السنوات الماضية كان حضورها مكثفاً وتأثيرها جامحاً تماماً كالرمزية السياسية والنضالية. فقضية كبيرة وعادلة كقضيتنا احتاجت إلى رمزية سياسية ونضالية كرمزية ياسر عرفات، الذي تمثلت مكونات رمزيته في مبادراته و إبداعاته النضالية وعلاقاته العربية والعالمية الواسعة وحميميته في التعامل مع الناس، وكذلك حطته وعقاله وبزته المعروفة.

وإذا كانت الرمزية السياسية والنضالية مطلوبة وضرورية في مرحلة التحرر الوطني، كونها تشكل مصدر إيحاء وتأثير واستقطاب وشد وتبشير مستمر بالهدف والرؤية، فإن الرمزية الإبداعية لا تقل أهمية عن الرمزية السياسية، بل إن الإبداعية تكاد تكون أبعد مدى، فهي إلى جانب الإبداع تحمل في ثناياها السياسة، فلا إبداع في مرحلة التحرر دون قضية سياسية، فيما أي محاولات إبداعية تنفصل عن القضية وتبتعد عنها تحكم على نفسها تلقائيا بالتهميش والاندثار.

لكن السؤال هنا، هل كل مبدع يستطيع أن يصل إلى مرحلة الرمزية؟ الجواب بالتأكيد كلا. فالرمزية الإبداعية لها شروطها، وفي مقدمتها المشروع الإبداعي المميز، وقبول هذا المشروع والإلتفاف حوله من قبل النقاد والسياسيين والمثقفين والجمهور العادي الواسع على حد سواء. فدرويش استمر الشاعر المفضل لكل هؤلاء، حيث تعامل مع السياسي بتجسيداته المختلفة من منظور التكامل معه لا التابع له، ومن منظور رفع سقف السياسي لا الهبوط به، فشاعر مثل درويش جواز سفره شعره الذي ترجم إلى أكثر من اثنتين وعشرين لغة، لا الدخول في مكائد السياسة ومؤامراتها وتكتيكاتها وتحالفاتها من أجل الوصول إلى جاه أو شهرة، فالمكانة التي وصل إليها ضاهت

الرمزية السياسية وسارت إلى جانبها، بل إن أشعاره تقدمت على السياسة، وسبقتها من حيث القدرة على الاستنباط والاستقراء واستشراف ما بعد المرحلة المعيشة.

وبدل أن يستند إلى السياسي، لجأ إليه السياسي في مواقف كثيرة، يستعين بموهبته وقدراته، ويستمد القوة من رؤياه وفلسفته وعنفوانه وعمق ثقافته وشفافية شعره، وليطفئ عطشه من نهر لغته التي ولدت درويش الشاعر، ليقوم بدوره ببنائها بهندسة فريدة في نصوص إبداعية خالدة.

وها هو اليوم يرحل، يودعه شعبه بما يليق بعظيم، وبما يليق بشاعر مثقف يصعب تكراره. يرحل وتتناسل رمزيته بشكل مدهش، حيث من المؤكد أن الأجيال الفلسطينية ولقرون قادمة، ستتعامل مع تراثه الثقافي والإبداعي، بأكثر عمقا مما تعامل العرب مع تراث المتنبي، فالأخير كان شاعراً عبقرياً، كان هاجسه الحكم والسلطة، على أن درويش بالإضافة إلى شاعريته العبقرية، كان فلسطينياً ملتزماً، رصيناً، متوازناً، التحم بالقضية، لا من أجل الإمساك بسلطة أو التربع على كرسي ومنصب سياسي، وإنما انطلاقا من أن الإبداع هو وسيلته لخدمة القضايا الوطنية والقومية والإنسانية الرحبة.

القضية واستناداً إلى التجربة الدرويشية ترتقي بالإبداع، مع أن الإبداع مهما علا شأنه لا يخلق قضية عادلة. الإبداع الحقيقي يجعل عدالة القضية مرئية ومشاهدة ومعممة ومستمرة، ويجعل من الذين يحاولون التغطية على عدالتها قلة واستثناء.

رمزية محمود درويش لا تنتهي بعد الموت، بل تولد من جديد، تكبر، تتجاوز حدود السنوات، فمن قرأ درويش بعمق، من المؤكد أنه سيطلق العنان لقراءة جديدة. ومن قرأه بشكل جزئي من المرجح أن يسارع للبحث عن أجزاء أخرى في مشروع درويش الإبداعي لم يطلع عليها من قبل. و من لم يقرأ أشعاره بعد، حتماً سيفعل ذلك، خشية أن تستخف نفسه بنفسه، ويصبح أضحوكة لأولاده الذين ولدوا، وأولاده الذين لما يولدوا.

---

* كاتب وإعلامي فلسطيني

مختارات من درويش

خضراء، أرض قصيدتي خضراء، عالية...
على مهلي أدوِّنها ، على مهلي ، على
وزن النوارس في كتاب الماءِ . أكتبها
وأورِثها لمنْ يتساءلون : لمنْ نغنّي
حين تنتشر الملوحة في الندى ؟ ”
خضراء ، أكتبها علي نثْرِ السنابل في
كتاب الحقلِ ، قوّسها امتلاء شاحب
فيها وفيّ . وكلّما صادقْت أو
آخيْت سنْبلة تعلّمْت البقاء من
الفناء وضدّه: ((أنا حبّة القمح
التي ماتت لكي تخْضرّ ثانية. وفي
موتي حياة ما...))

« الجدارية»

محمود في الزمان درويش في المكان

تحسين يقين*

ما بين جبال الجليل والقدس تسبح روحك؛ تستمع لصوتك أو صداه. فقبل قليل فقط كنت هنا، والآن أنت هنا، وسيطول الغناء هنا، لكن الاختلاف في هذه المرة أننا لن نزعجك بالتصفيق!

عجبت للمشيعين من هيوستن حتى عمان، ورام الله، وهناك في الجليل ساروا كما سرنا، نحن إلى تلة الله في رام الله، وهم في مسيرة رمزية إلى تلة فيها تراب أجدادك في البروة التي ستحتضن روحك رغم الغزاة. فنحن هنا إنما وارينا الجسد التراب، إنما قد واريناك يا محمود رمزاً..ثلاث جنازات لهذا الباقي أو أربع وخمس وست وعشر وألف، إن الأمر غريب..إن الأمر عجيب؛ فكم من مرة ستطول جنازات العائدين وكم سنكررها!

وفي غير مكان حين تكون الجنازات رمزية أكثر، في طرقات مشيت بها أو لم تمش، ستولد حين يولد كلامك على الشفاه..

فامض محاطاً بالنخيل في الحياة وبعد الحياة، وبعض السنابل وفضاء كبير..

لعل الأجداد يقومون، هم قد تهيأوا لاستقبال الحفيد في عودته، هل كنت تتساءل عن شيء من هذا حين زرت يوماً بعد أن عدت، -بعض العودة- مقبرة البروة، وكأنك قد تنبأت، وأوصيت ألا نتعب أنفسنا بتحديد المكان، لأن الفضاء متسع لتحليق الروح!

فليس يهمك أين ترقد هنا تحت كرمة في رام الله أو زيتونة في الجليل، فالتراب هو التراب، والمكان قريب جدا، لو تعلمون، وحين تطير حمامة من هنا وتحط على شجرة هناك، أكون هنا وهناك في آن واحد، ألن نقول ذلك؟

حين يكون موت إنسان حضوراً كبيراً بهذا القدر، فليس لذلك من معنى غير التأكيد على الخلود؛ فكيف برحيلك تعلن استقلال الجليل؟ وكيف بهذا السفر الطويل المعلن

عنه سابقاً تعود إلى أمهاتك، أم البدايات وأم النهايات، وأم الكلام؟

هذا العلم كبير وطويل، ينسجم مع سيرك في هذا الطريق الطويل الطويل.. إلى آخره..وإلى آخرك..لا آخرة للباقين عطراً وياسمين، وهذا هو ادعاء الأزهار البرية، فكيف نستطيع المحاججة؟ كان لدينا محمود درويش، فصار لدينا محمود درويش! هذا شعرك يعلمنا الكلام، كيف؟ وهل هذا مجال السؤال؟

علمتنا أن نكون أنفسنا حين تسلب النفوس، وأن نكون الوطن إن سرقت الأوطان، وعلمتنا بعمق ظل ينشد عمقا كيف نكون لغتنا حين يضيع الكلام، وحين يعاد إنتاجه من قبائل الكسالى النائمين المستسلمين في خدر لما قيل من قبل، فرحت تقول عنا الآن بلغة الآن مرتقيا بها، ولم يخدش هيبتها أن ألفها الحاضرون، فقل لمن يحاكونها الآن: قولوا ما أردتم بلباسكم الذي تهوون، لكن لا تنسوا أننا نتبع أبانا عنترة، وأخانا الأخطل الصغير، غير أن لنا أسلوبنا كما كان لهم أسلوبهم!

هذا شعرك يعلمنا الكلام، فأوصنا كيف نندمج بمكاننا وزماننا، فاندماجك بالمكان جعل الوطن صفحات القصيدة، وجعلها صفحات الوطن، واندماجك بالزمان جعلك لغته ولغتك؛ علمنا كيف نرتبط بأهلنا وناسنا وفراشاتنا حتى ولو حلقت بعيدا عصافير الجليل والقدس!

هذا شعرك يعلمنا الكلام والشعور، ويخلصنا من أثقال علقت بنا وبالقصيد والخطابة والمقال من زمن بعيد، خلصنا من بلاغة لا تعبر عنا، ولا عن أيامنا، صانعا لنا بلاغتنا الجديدة، والتي لا تقف نقيضا لما أنجزه القدماء، بل علمتنا كيف نكون أوفياء لهم؛ حين نجدد مثل من جدد منهم في صنع كلام صدق، يواكب أسلوب اخضرار الكون وتزيينه في المواسم والفصول في عمر الكون الطويل!

هذا شعرك يعلمنا الكلام، ويجعلنا حين نحاكيك نحس بدهشة الطفل أمام الكلام، فامض يا معلمنا جميعا، فإنك لن تمضي حتى ولو اجتهدت في لعبة الوداع، وما قد ضمنته من رثاء لرحيل متوقع، لتضمن أن يكون من جنس ما عشته من ترحال، لا رحيل أخير لك كما تظن متواضعاً، بل بقاء، أفتكره البقاء أم لعلك تعول على سفر آخر، في هذا الطريق الطويل الطويل، لتظل منشودا للحنين؟ فلعلك وأنت تشتاق تحيط بالوصف ولا تهمل أية تفاصيل.

أنت لا نخشى عليك، لأننا نلتقي بك حين نريد، كما شئت لتفاصيل اللقاء أن تكون، فقد أودعت سرّك في تشكيلك الخاص لما تبوح به، فصار شكل الكلام مضمونا لنا، وصار المضمون يشكل اتجاهنا نحو أنفسنا في المكان، الذي اكتشفت أنت مبكرا أن تاريخه أكبر من الجغرافيا، فكان اختيارك أن ترتبط به حتى نخاع القصيدة..ومن ثم أن تديم ارتباط الآخرين بما ارتبطت به، في زمان سيطول فيه البحث فيك وعنك، فنم مطمئنا قليلا لعلك هذه المرة تأخذ إجازة للمرة الأولى من هم إبداع القصيد.

سجل أنت عربي، كنت طفلاً حين هتفت معلناً عن الطفل التاسع بعد صيف..أنت مجايل لشعرك، فكم هي المسافة بين

عمرك وعمر الكلام؟ وكيف لنا أن نصدّق أنك أكبر عمرا من الشعر؟ أنت شعرك، وأنت لغتك، وأنت وطنك، مكانك الأثير، الذي حين لا يولد الشعراء فيه يفاجأ القوم، ولعل عبلة وسعاد وفاطم لم يكن مهيئات أن ينافسن جمال الجليل والشوق والحنين.

سنحبُّ وطننا، ولعل الناس يحبون أوطانهم، ويعيدون اكتشاف حبهم له حين نقرأك ويقرؤونك، فما هذا الوطن الذي مهما كنت تحكم إقفال الغرف تراه يتسلل من تحت الباب، ومن ثقب المفتاح، متسللا مع شعاع شمس، أو نسمة هواء، أو قطرة مطر؟

كم كان وطنك ملحاً في حبه لك، مثيرا غيرة الحسان وحسدهن، في القاعة الصغيرة وعلى صفحة الورق؛ كنت حين تنتهي من طقوس الحب، تحسب الحبيبة أنك ستخلع عليها القصيدة، فتفاجأ في الصباح بأنها إنما تكون للوطن البعيد أو القريب!

في المسافة الصغيرة جدا الشوارع وبين الممرات، وبين المقاعد، والغرف، والأسرة، كان يطلع الوطن ببراءة الطفل الذي يتوسط والديه وهما في عناقهما الطويل باسماً ضاحكاً طازجاً مداعباً واثقاً من القبول..

عندما غادرت الوطن هل كنت تدرك أنك ستظل مقيما فيه، أكثر من ذي قبل، وإنما أنت إلى الوطن تغادر لتقيم العمر كله، وما بعد العمر؟ وعندما عدت بعد سفر، اختبرت إقامتك السابقة التي إنما كانت فيه، فرحت تحن إليه وأنت فيه، وتحن إلى مقام الجسد في الغربة لتحن إليه كما كنت تحن من قبل، فتابعت العيش فيما سكن روحك من وطن.

صار العالم الكبير وطنا صغيرا لك، وصار وطنك عالما كبيرا، فمن حبك له رحت تتبع تاريخ البشر على الأرض، فتتبعت مقام الناس واكتشاف المكان، ونزاع الجماعات والأمم، وتأملت طويلا ارتحال الناس عنه، وتأملت في وجع ترحيل أصحاب المكان، ورحت تقرأ ما قاله الراحلون، ورأيت كيف حملوه في كلماتهم وذاكرتهم، فتعمق لديك أن الغزاة ضعفاء جدا فاستهنت بهم، من أول التاريخ، وإلى آخره الذي يأتي..

قلنا ما باله يشرّق ويغرّب؟ لكننا بعد حين اكتشفنا أنك كنت تشرّق بنا وتغرّب، وتمنح العالم وثيقة حب إنسانية، ووصايا جديدة، تؤكد على نبل ما اتفق عليه في العهود القديمة؛ فكنت مهموما بقضية وطنك المسلوب، ولكن همك هذا لم يسلبك تضامن المهموم مع المهمومين في هذا الكون الرحب، فارتقيت في همك، ومشاعرك، وارتقيت بفنك كما ينبغي للفن أن يكون، فكانت كلماتك موسيقا للجميع، يقبل عليها البشر من كل اللغات، حتى أن أعداءك لم يستطيعوا الفكاك من أسرك، راحوا يبحثون عن أنفسهم في الشعر، ماذا قال عنا وماذا يقول؟ فهم لم يستطيعوا نفيك وأنت الحاضر في مهرجانات الشعر في العالم، وشعرك يُدرس في أروقة الجامعات، وأنت الذي هيئ لهم أنهم يستطيعوا إخفاء وجهك وصوتك، فإذا بوجهك يطل عليهم من كل مكان، ساخرا منهم قائلا لهم، لا مقام للغزاة بيننا فسيروا!

للغزاة أن يطوفوا العالم لعقد تحالفات جديدة مع الحكومات والشركات المنتجة للسلاح لضمان تفوق الطائرات على الحجارة، ولك أن تطوف العالم لتجدد تحالفاتك مع

البشـــر والنفـــوس المنتجـــة للجمـــال، لأنك ضمنت مبكرا تفوق الحجارة على الطائرات.

وطنــك لم يصر يوماً حقيبـــة، رغم الغزاة وكارهـــي الفرســـان، وأنـــت بقيـــت وأنت في الســـفر مقيمـــا هناك فـــي الجليـــل، فانظر لغرور مســـتوردي الطائرات وصانعي القنابل الذكيـــة، والصواريخ العابـــرة للقارات كيف يتقزمون أمام قصيدتك!

وفيا للوطن تبقى، وللشـــعر وسيلتك في حب الوطن، والناس، والأشجار، زيتونٌ يمتد بك من هنا حتى نخيل العروبة.

سيولد طفل في البروة، يهدد ملوك الكلام، فابعثوا هناك من يفتش عن الأطفال..

لكنك ســـتوضع في اليم، تحملك الأمواج، فتكون وأنت المحمول حاملا مفاتيح الحكايات.. على طرقات قرى الجليل، تســـير هناك تلعب مع أقرانك في الجديدة، فهم ما زالوا أطفالا، وهناك مع الشباب تلهو وتجرب الدنيا في دير الأســـد وحيفا، ولـــم تدر أنك في قـــادم الأيام ســـتحمل الكرمل فـــي قلبك الذي ســـينوء أخيرا بهذا الحمل.. وسترى ما ترى، وتكون، ما يسعد النفس والناس.. لكنك في الفعل الآن، وأنت المفعول، ربما ستخجل للمرة الأولى!

فكمـــا قلت لنا من زمن، أنك خشـــية هذا الخجل أحببـــت عمرك، بل لقـــد دفعتنا عند قراءة القصيـــدة أن نتعرف كيـــف ولماذا تحب عمـــرك، وأن نحب عمرك، ونحب أعمارنا على هذه الأرض الحياة؛ لأنك إذا ما مت ســـتخجل من دمع أملك؛ فآن لك أن تخجل للمرة الأولى والأخيرة! هـــا قد تحققت النبـــوءة، بأن ترحل تاركا لأمك ربما بكاءها الأخير!

ستشـــرب الأم حســـرتك، وســـيكون لهـــا وهـــي معلمتك في الغناء أن تغنيك يا فارس الفرسان..

فنم لعل الحمام يطير ويحط كم تهوى..

نم عليك السلام.

لم تشـــبع أمك منك كمـــا قالت لنا كلنا، وأنت تعرف الســـبب، ونحن أيضا لم نشـــبع منك ونحن نعرف الأسباب..

ولـــم يشـــبع منـــك المغنـــون، وســـيكون لصاحبك مارســـيل أن يتكلـــم غناء كما لم يفعل من قبل، وكما لم يحزن من قبل، ولربما كما لم يبك أيضا.

أما نحن فســـنظل معك، نقـــرأك، ونوصي أبناءنا بأن يحملوا إرثك أمانة!

ســـنتذكرك ليـــس إلا كباق بيننـــا يا رفيق، ســـنتذكرك حـــين نعـــدّ القهـــوة، متذكرين تنقلك بين غرفة النوم والمطبخ، وسنتذكرك ونحـــن نتصفـــح دواويـــن الشـــعر، وحين نرى زهر اللوز، وســـنظل نروي ما رويت عن المكان، وســـنتعلم منك وسنروي نحن أيضا فالمكان كما ترى كبير أكبر من التاريخ والجغرافيا.

---

* كاتب فلسطيني

> «ســـيواصل الناس قراءة شـــعر محمود لقـــرون مقبلة، كما واصلوا قراءة شـــعرنا الكلاســـيكي الذي عاش ألفاً وخمسمائة ســـنة. محمود ليـــس من الشـــعراء الذين يتوقف الحديث عنهم بمجرد موتهم».
>
> مريد البرغوثي (شاعر فلسطيني)

«قل للغياب نقصتني.. وأنا حضرت لأكملك»

نسرين أبو خاص*

ها قد اكتمل الغياب، ومنذ اكتماله وأنا أحاول أن أفجّر حزني وألمي وغضبي ويأسي وأسفي على ورق، فلم تسعفني الكلمات، واستعصت الحروف... فهل تراك أخذتها معك؟ وهل أستميحك عذراً ببعض الحروف وبعض الكلام الحزين؟

لا لأرثيك ـ معاذ الله ـ فنحن أولى بالرثاء... ثم إنه أمر غير منطقي حتماً، فكيف نرثيك ونحن برحيلك موتى... وأنت آخر الأحياء؟

ولا لإدانة الموت الذي حصدنا دفعة واحدة دون شفقة

ولا لأصف جرحنا الكبير أَوَ

تنفع الكلمات «في وصف حالتنا»؟

وكل الكلام سخيف بموتك، وكل الحزن قليل عليك

ولكني سأكتب كي أصدق أنك لم تعد بيننا، أكتب كي أصدق موتنا

موتنا الجماعي... كي أصدق رحيلك النهائي السريع

فقد كان رحيلك سريعاً ومفاجئاً ومباغتاً

كانطفاء شمس في الظهيرة... كاصطدام كوكب، أو انفتاق سماء

لم يمهلنا كي نقول على غير عادة العاشقين «شكراً»

كي نودعك كما يليق بك «وكما يليق بشاعر متمرس»

كنا نجرعنا غيابك المر رويداً رويداً لا دفعة واحدة

ترى.. كيف أقنعك الموت هذه المرة؟ ماذا قال لك كي تطيعه وتسير نحوه وتواعده؟ كيف لم تعانده كي ترثي الختام مرة أخرى؟ كنا نتمنى أن تفاوضه قليلاً، وتراوغه قليلاً. كنا رجوناه أن يتركك قليلاً بيننا علّنا نكتب معاً سِفر انتصار مكتمل

كنـا رجوناه بـدم العـين ودمـع القلب أن يتركك قليلاً بيننا كي نظل على قيد الحياة، وكي نظل على قيد الأمل

كان الخيـار قاتـلاً بـين أن تموت أو تُشـل... فاخترت الموت بكل كبرياء يا حبيبنا

وتركتنا فوق أرض الذهول نعاني الشلل...

كل شيء بعدك قاس وباهت وطاعن بالحزن والأسـى، وأقسـى مـا أتصـوره الآن غيابك، فغيابـك هـذه المرة ثقيـل ثقيـل ثقيـل، ترى كيف يمكننا الحياة في حياة لست فيها؟ في حياة كل ما فيها صالح للمراثي:

سماءٌ كئيبةُ، وقمرٌ كسر استدارته فأصبح مستطيلاً

لغـةٌ حزمت حقائبهـا واقتفـت طريقك السري نحو الله

وقضيةٌ تبكيك... تسأل «إلى من تكلني»؟

وأسوار تنادي من سيكسر عزلتي؟

أي صـوت مـن بعـدك سيسـجل عروبته بحبر الدم؟ ومن ننصّب بعدك «مندوب جرح لا يسـاوم»؟ من؟ من يؤكد بيقين الأنبياء بأن «على هذه الأرض ما يستحق الحياة»

«حبيبـي يا حبيبـي يا حبيبـي... أتعلم أن موتك مستحيل»

ولكنك بـاق فينا، في أرضنا، في خبزنا، في ملحنا، في يومنا، في زيتوننا في كل شـيء، وستبقى فينا «كنخلة في البال ما انكسرت لعاصفة وحطاب»

«فسـلامٌ عليك يوم ولـدت ويوم تموت ويوم تبعث من ظلام القبر حيا»

والوداع يا حبيبنا

وداعاً يا آخر الأحياء

وداعاً يا فارس الكلمات

وداعاً يا مربي الأمل

علمتنا كيف يكون الإنسان مشاعاً

والحرية مشاعاً

والقلب مشاعاً

والنبض مشاعاً

يا من علمتنا كيف يكون الحب

وكيف يكون الانتماء

وكيف يكون الوفاء،

وكيف يموت الرجال

هـو المنجل مذ كان يغار دوماً من شـموخ السنبلة

وأنت كسنبلةٍ أحيت الأرض الجديبة

«وأنت سيد روحنا

يا سيد الكينونة المتحولة»

وداعاً يا فارس الآمال

وفارس الثورات المقبلة

تعرف أنت مكانك

تفتح الجنات المقفلة

لا تسمع «فيها لغواً ولا كذاباً»

لا تسمع فيها سوى البسملة

اعذرني سيدي

إن تحشرجت أبياتي

وتلعثمت لغتي

فما ترك رحيلك فينا

إلا «الزلزلة».

---

* كاتبة وشاعرة أردنية

الملف

مرثية شاعر
إلى محمود درويش

ليلى السيّد*

(١)

هنا في البحرين
على شاطئين من الريح والنخيل
التقينا
قلتَ: سلاماً
قلتُ: سلاماً
واتفقنا على أن الشعراء
لا يلتقون في نشرات الأخبار
ولا يلتقون في السياسة
أو شكل التفعيلة
واتفقنا على أن اسم ليلى
عربياً صميماً حميماً
كالحلم المستحيل
ولم نتفق
ولم نفترق
غير أنك رحلت بعيداً وسريعاً
صوب سماء زرقاء

كانت في الأصل ليموناً أخضر
قبل تأثيث الذاكرة
على ما يرى خيال الشعراء

(٢)

ينسى الموت نفسه
فلا يفرق بين أرض تُنتقصُ شعراً
وبين مطرقة وزنبقة
ماذا يريد الموت من فم
يتسكع الحرف على أغنيته ..
من جسد مرجح الحبَّ على وردته...
من قلب هشٍّ ينسى فيصطدم بالجدار الزجاجي
في سعيه للشمس أو للقمر
لا فرق
فعليهما تتنفس رغبة الحرف
أيها الشاعر
أإلى القبر تسعى
أم إلى البحر...
أنت مغسول بمائه
كي لا يفسدك الموت
سر من الجهتين
أنت تصعد في القلب
وللحرف مسراك
أيها الشاعر
دع يدك خارجاً
لعلك تحتاج مداعبة الرمل
فتكتب مرثيتنا
أو لربما جاءتك الطيور تغني
فتتوحد برقصة يدك

---

*شاعرة بحرانية

كتّاب ومفكرون وفنانون يؤبنون درويش في الجامعة الأردنية

«في الستين من عمر سريع يوقدون الشمع لك، فافرح»

عمان- أقلام جديدة- أكمل الشاعر الراحل محمود درويش مشهد وداعه قبل أيام على مسرح مدرج الحسن بن طلال في الجامعة الأردنية، بين أصدقائه وجمهور كبير من قرائه، عندما صدح الفنان اللبناني مارسيل خليفة بالمقطع الذائع من قصيدة «كزهر اللوز أو أبعد»: «قل للغياب نقصتني وأنا حضرت.. لأكملك!»

ففي الحفل التأبيني الذي دعت إليه رابطة الكتاب الأردنيين، وحضرته وزيرة الثقافة نانسي باكير ورئيس الجامعة الأردنية د. خالد الكركي، بدا صاحب «حالة حصار» حاضرا في غيابه، كما في المشاهد الأخيرة له في عمان خلال حفلات التوقيع التي أقامها، واستحضر المتحدثون تلك المشاهد في سياق الإعلان عن ديوان جديد يصدر لدرويش خلال أيام عن دار رياض الريس في بيروت.

أمين عام وزارة الثقافة الشاعر جريس سماوي الذي أدار الحفل خاطب الراحل بداية بقوله «ها أنت تركت الحصان وحيداً، وتركت سرجه مذهباً، تركت الكتابة وحيدة وزاوية النرد في بيتك العماني».

الحفل حضره نخبة من أصدقاء الراحل العرب والأردنيين من بينهم الكاتب فواز طرابلسي والفنان مارسيل خليفة والإعلامي زاهي وهبي، والأدباء محمد شعيبي، ونزيه أبو عفش، والدكتورة حنان قصاب، وزكريا محمد، وغسان زقطان، وإبراهيم أبو هشهش، وشقيق الراحل أحمد درويش.

وبدا ساخناً، رحيل درويش في كلمات المؤبنين، كما ظهر في استهلال نائب رئيس الرابطة الشاعر زهير أبو شايب الذي اعتبر رحيله «ألماً جامحاً ظل يضيء الوجدان

العربي»، مؤكدا أنه طيلة أكثر من أربعين يوما «لم يسقط من سمائه ولم ينطفئ».

أبو شايب رأى في جنازة درويش التي خرج فيها الناس من مختلف الفئات أنها «دليل على حياة هذه الأمة التي يراد لنا الاعتراف بموتها»، ذاهبا في قراءة أخرى إلى أن حجم الحزن على الراحل كشف عن مكانته الكبيرة التي لم يصلها شاعر عربي من قبل.

ورأى أن المثقفين العرب سيحملون لسنوات «الضوء العميق الذي تركه درويش»، معتبراً أنه «وضع الغياب نفسه في حضرته»، وأنه «قامة كبيرة جعلت العدو يحسدنا عليه».

وفي كلمة لجنة التأبين استحضر غانم زريقات، صديق الراحل، مواقفه ضد «قتال الأخوة» في فلسطين، مشيراً إلى أنه « أدمى قلبه».

وكتب الشاعر الراحل في تموز العام الماضي قصيدة «أنت منذ الآن غيرك»، انتقد فيها الاقتتال الداخلي الفلسطيني، ووجه نداء للفصائل المتخاصمة باسم فلسطين ومحمود درويش أن «تحاوروا وتحابوا»، داعياً إياهم إلى عدم الاحتكام إلى السلاح.

زريقات قال إن الراحل كان على قناعة أن إسرائيل لا تريد سلاماً، مبينا أنه آثر ترك المعارك العبثية وأخلص للشعر، كارها احتكار الحقيقة ومن يدعيها.

المفكر اللبناني فواز طرابلسي قرأ شهادة مؤثرة عن علاقته بصاحب «سرير الغريبة» التي بدأت من «بيروت الحصار» مروراً بعواصم ومدن مختلفة قبل أن تستقر مجددا في بيروت.

ومن شهادته قول طرابلسي «عندما أصيب في قلبه في المستشفى النمساوي، سألته:

ما الموت. قال: لونه أبيض. قلت: انتبه لقلبك إنه عظمي عند البشر، أما عندك فهو أداة إنتاج».

واعتبر أن درويش «قلب أولاً وأخيراً»، مبدياً دهشته من كونه شاعرا لا يشبه سائر الشعراء، وبعيدا عن الصورة النمطية لدى كثيرين منهم. ويمضي في وصفه «أنيق منتهى الأناقة، منظم ودقيق في مواعيده، يصل دائما قبل الموعد».

وفي قراءته لتجربته، أكد طرابلسي أن درويشاً لم يكن شاعر هوية فقط، مشدداً على أن الهوية كانت لديه «مفتوحة على الأمام والأمل والتقدم»، مشيراً إلى أنه كان يربي الأمل مثل مزارع يربي النحل، خالصا إلى أن صاحب «أثر الفراشة» كان «هدية فلسطين إلى العرب، وهدية العرب إلى العالم والحضارة الإنسانية»، مشدداً على أنه شاعر لا يعوض.

كلمة الكتاب الفلسطينيين التي كتبها الشاعر مريد البرغوثي كان وقعها مؤثراً على الحضور الذي قاطعها مرارا بالتصفيق، واستهلها بالتأكيد على أن شعر درويش أهم من الشعر الذي يرثيه، معتبراً أن ديوانه الذي يصدر قريبا هو الفرح لقوله «إننا مثلك لا نريد لهذه القصيدة أن تنتهي». وبين البرغوثي أن درويش لم يسره إصرار بعضهم على أمرين متناقضين هما مديح مبالغ فيه، وتأطيره داخل القضية الفلسطينية.

ورأى أن في بعض سلوكه «إعادة تعريف للكبرياء»، قارئاً في تألقه «برق نظرة رأت فجأة من تشتهي أن ترى».

رئيس الجامعة الأردنية د. خالد الكركي ارتجل كلمة شديدة التأثير بدأها بمخاطبة درويش أنه عرج على الكرك ليأتي إليه بورد من الشهيدين زهير محسن وماجد أبو شرار.

واعتبر أن الراحل أخرج فلسطين من دائرة السياسي اليومي ليدخلها في «التاريخي»، مؤكدا أن صاحب «أحد عشر كوكبا» لم يكن في يوم بحاجة لأن يثبت للعالم أنه شاعر كبير.

وفي سياق الحديث عن عالمية درويش كانت رسالة عبر البريد الإلكتروني أرسلها رئيس الوزراء الفرنسي السابق دومينيك دوفيلبان، وقرأها جريس سماوي، عدّ الراحل شاعر المنافي الذي أكد كيف «يمكن أن تورث الأرض مثل اللغة». وأضاف دوفيلبان أن درويش شاعر الشهادة لقوله إن كلماته كانت «برهانا على الحياة وشاهداً على جميع العذابات المؤلمة»، مشددا في المقابل أنه رفض الانطواء على الألم، معتبرا ان ذلك ما جعل قصيدته «إنسانية».

أحمد درويش شقيق الراحل استحضر زيارته الأخيرة إلى الأراضي الفلسطينية داخل الخط الأخضر، لافتا إلى أن كثيرا من تفاصيل تلك الزيارة كانت تشي أنه قد امتلأ بكل أسباب الرحيل، مشيرا إلى أنه كان يمتحن صحته بقدرته على الإبداع.

الحفل تخلله عرض لفيلمين قصيرين حول حياة الشاعر الراحل للمخرجة سوسن دروزة تضمنا صورا قديمة للراحل وأخرى التقطت في خلال حفلات توقيع كتبه في عمان، عبر

مشاهد مكثفة محمولة بموسيقى مارسيل خليفة والشعار الأكثر حفرا في وجدان جمهوره.

ذروة الحفل كانت «تحية مارسيل خليفة»، فمشيّعا بتصفيق جمهور زاد على ١٢٠٠ شخص، صعد خليفة إلى خشبة المسرح وفي باله أشياء عن زمن جميل لحّن خلاله وغنى لدرويش أغنيات وقصائد خالدة.

ومن ديوان «كزهر اللوز أو أبعد»، استهل خليفة فقرات مشاركته بحفل التأبين بقصيدة «الآن في المنفى» التي جهّزها لتكون هدية لدرويش في حفل تأبينه، ولم يسبق له أن غناها:

الآن، في المنفى.. نعم في البيتِ،
في الستّينَ من عُمْرٍ سريعٍ
يوقدون الشَّمعَ لك».

إلى أن يصل إلى المقطع الأكثر بلاغة ودلالة وبهاء «قُلْ للغياب: نَقَصتني وأنا حضرتُ ... لأُكملَكْ!».

ومع أول ضربة عود، صفق الجمهور عالياً، فهي إعلان انطلاق أغنية «ريتا» التي يحفظها عن ظهر قلب:

«بين ريتا وعيوني بندقية
والذي يعرف ريتا ينحني
ويصلي لإله في العيون العسلية».

ومما لم يسبق أن سمعه درويش أيضا غنى خليفة مقطعا من «يطير الحمام يحط الحمام» التي طالب الجمهور أن يحفظ مقدمته ويرددها معه بتنويع لحني لافت.

ومن الأغنيات المعروفة لدرويش ومارسيل غنى «سلام عليك سلام عليك»، التي منها:

«لديني لأشرب منك حليب البلاد حليب البلاد
وأبقى صبياً على ساعديك وأبقى صبيا
إلى أبد الآبدين».

وختم خليفة الذي حظيت فقرته بتشييع استثنائي من جمهور الحفل بـ «خبز أمي» الأغنية الشهيرة في مسيرة الشاعر والفنان:

«أحن إلى خبز أمي
وقهوة أمي ..
ولمسة أمي ..
وتكبُر في الطفولة
يوماً على صدر يوم
وأعشق عمري لأني
إذا مت،
أخجل من دمع أمي!».

> «محمود كقامة إبداعية لم يمت، بل خلف لنا مشروعاً ثقافياً وأدبياً كبيراً، علينا مواصلته والاهتمام به كي يعمم ويصل إلى الآخر، وإلى العالم، لأن في مشروع درويش بذور مشروع نهضوي ثقافي عربي قادم، وبالتالي فأنا أعتقد أننا لا نرثي محمود درويش أو نؤبنه، بل نعلن عن استمراره فينا، لهذا سيُعلن قريباً عن عام محمود درويش، وهو عام مليء بالأنشطة الثقافية التي لها علاقة بهذا المشروع الذي نتحدث عنه»
>
> جريس سماوي (شاعر أردني)

الملف

بين أوراق المفكرين في شومان

درويش حيٌّ في حضرة الغياب

تقرير: عمر العطيات*

عمان- أقلام جديدة- ضمن النشاط الفكري والثقافي المستمر الذي تقوده مؤسسة عبد الحميد شومان، احتضن المنتدى الثقافي التابع لها ندوة فكرية نقدية عن الراحل الكبير الشاعر محمود درويش استهل به المنتدى برنامج نشاطاته الثقافية بعد انقطاع قصير.

الندوة الفكرية التي استمرت على مدى ثلاث ساعات ترأسها الناقد د. فيصل درّاج الذي استنطق في ورقته النقدية سهولة الحديث عن شاعرية الراحل الكبير وصعوبتها في آن واحد فيما وصفه بأنه صاحب قامة شعرية عالية وشاعر كوني بسبب قدرة درويش على استنباط أوجاع المضطهدين والمعذبين في الأرض.

إلى ذلك، استعرض دراج في ورقته الموسومة «درويش لم يتأهب للرحيل رغم انتظاره الطويل له وأنجز عمله قبل أن يرحل»، فكر الراحل في شعره مؤكدا أن درويش كتب موته شعرا لأنه مؤمن بأن الشعر حياة لكل مبدع، مشيرا إلى أن شعره قد مارس منذ ديوانه «عاشق من فلسطين» نوعين من المقاومة؛مقاومة الاحتلال والصهيونية ومقاومة الشعر الرديء والابتذال والانحطاط عبر تحليل درّاج للعديد من قصائد درويش الشعرية.

ووصف درّاج من يحاولون وصف درويش بأنه شاعر ذو شكل واحد «بالحمقى»، ذلك

أن درويش حسب رأيه كان مفتونا بفكرة التغيير وكان جملة من التناقضات والحالات الشعرية الحسية.

من جهته، تناول الدكتور خليل الشيخ في ورقته النقدية بعدين رئيسيين، الأول عن لحظتي الموت والميلاد حسب رصد درويش، والثاني مقارنة لدرويش مع مقاربة لشعره رغم تأكيد الشيخ أن البعد الأخير يستنزف قدرات النقاد والمفكرين، وافتتح الشيخ حديثه بوصفه للعالم الشعري بالنقص بعد رحيل درويش، وقال «لقد توقف درويش عند لحظة ولادته ثلاث مرات الأولى في قصيدته «الأرض» والثانية في «بين يدي غيمة» والثالثة في«لاعب النرد» على مراحل عمرية مختلفة، وكان يسعى دائما لتجسيد لحظة ولادته لتكون مرتبطة بالتحولات الجوهرية في وطنه وكان هاجس الموت الشخصي قد أطل على قصائده منذ عام ١٩٨٥ عندما تمرد قلبه عليه».

وكان الشيخ قد قام بتقسيم قراءته النقدية العامة لشعر درويش إلى ثلاثة أجزاء هي (سفر التكوين الذي استعرض فيه الرموز الفنية التي استخدمها درويش وسفر الخروج المرحلة التي مزج فيها درويش اليومي بالمجرد ليقدم رؤية أخرى لهذا العالم ومرحلة امتلاك المعرفة أو كما علّق عليها الدكتور زياد الزعبي بـ«سفر الجامعة ونشيد الإنشاء»، واختتم الشيخ حديثه بقوله أن قراءة شعر درويش تجمع ما بين المتعة والمعاناة في محاولة ملاحقة دلالاته الشعرية.

وتناول الناقد السوري جمال باروت الرمزية الديناميكية في شعر محمود درويش وأشار إلى كل الصور الدلالية في شعره وما تثيره من عواطف ومشاعر ،وابتدأ ورقته النقدية بمقاربة لرمزية الأرض في شعر درويش في «القصيدة التموزية» لأنها كما وصفها باروت أولى الأشكال الشعرية الحديثة التي تأخذ الأرض من المستوى التجسيمي إلى المستوى الكياني الوجودي مؤكدا أن الأرض غدت أسطورة للشاعر بعد أن حولها إلى رمز قومي لشعبه، وتنقل باروت ما بين رموز درويش الشعرية في قصيدة «الأرض»، مبينا في ورقته للعلاقة بين الصورة والمعنى في شعر درويش واصفا إياه بأنه شاعر مخلص لشعبه وأمته برؤيته الشعرية الفلسفية.

وتوجه الناقد الدكتور زياد الزعبي في ورقته «القبض على الحياة في حضرة الموت» إلى فلسفة الموت في شعر درويش وتعرض شعره إلى الموت (القتل) الذي يواجهه شعبه، وحسب الزعبي فهناك تماه دقيق بين الموت الذي واجهه درويش وذلك الذي يواجهه شعبه؛ ذلك أن درويشاً واجه الموت وناقشه وحاوره وانتصر عليه وهكذا يفعل الشعب الفلسطيني، مشيرا إلى أن درويش استطاع أن يجمع النصوص المرتبطة بالموت وتقطيرها ليخرج بجداريته الرائعة فيما بعد، وأضاف الزعبي في حديثه أن الكثير من عناوين درويش وشعره ذات ارتباط وثيق بالفلسفة وخاصة بعد اطلاع درويش الواسع على الفلسفة وأعمال كبار الفلاسفة الفرنسيين عند وجوده في باريس.

وتمنى الزعبي في ختام ورقته من المثقفين والنقاد أن يتركوا نصوص درويش تقودهم إليه

بعيدا عن التسلق على قصائده الشعرية وتفسيرها كما اتفق.

وتناول الناقد والصحافي فخري صالح في ورقته «تحولات محمود درويش» المشروع الحضاري الثقافي الكبير الذي ظل يبلوره درويش بصوته الشعري الخاص والفريد وأشار إلى أن رحيل درويش كان تراجيديا وتبخر من حياتنا في الوقت الذي كان يعد به لمشاريع ضخمة حسب صالح.

وتطرق إلى محاولات درويش الكثيرة للإفلات من أسر القالب الشعري المسمّى بـ«شعراء المقاومة»، وأكد أن الراحل استطاع وبجدارة أن يحقق الجدل التعبيري عن التراجيديا الفلسطينية مع تطويره الدائم لشكل القصيدة العربية الحديثة عبر تمثيله للروح الفلسطينية اللاهبة وصورة الفلسطيني المشرّد.

واستعرض في الخاتمة الحضور اللافت لثيمة الموت وهاجسه في شعر درويش بالفترة الأخيرة بدءا «بالجدارية» وصولا «لأثر الفراشة» وانتهاءً بـ«لاعب النرد».

واختتم د.فيصل درّاج الندوة بإعلانه أن جميع أعمالها الفكرية المقدّمة سيتم نشرها في كتاب من قبل مؤسسة عبد الحميد شومان.

ويذكر أن الندوة قد شهدت حضوراً أكاديمياً وشبابياً لافتاً ولاقت ترحيباً في أوساط المهتمين.

«لم أعتد بعد على أنه غائب، أرى أنه غادر قبل الأوان، وأقول أننا خسرنا أجمل هدية قدمتها الثقافة العربية للعالم وللحضارة والثقافة العالمية، وأقول بأني فقدت صديقا لا يعوض، وأتمنى أن تتحقق وصية محمود الأولى بأن يستمر الشباب في قراءة محمود درويش وأن يطلع شعراء يكملون قصيدة محمود»

فواز طرابلسي (مفكر لبناني)

الشاعر محمود درويش في سطور

• شاعر المقاومة الفلسطينية، وأحد أهم الشعراء الفلسطينيين المعاصرين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والوطن. وأحد أبرز من أسهم بتطوير الشعر العربي الحديث وإدخال الرمزية فيه. في شعر درويش يمتزج الحب بالوطن بالحبيبة الأنثى.

• ولد في ١٣ مارس ١٩٤١ في قرية البروة، الجليل. لعائلة تتكون من خمسة أبناء وثلاث بنات.

• خرجت الأسرة ضمن اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨ إلى لبنان، ثم عادت متسللة عام ١٩٤٩ بعد توقيع اتفاقيات السلام المؤقتة. وبقت في قرية دير الأسد شمال بلدة مجد كروم في الجليل لفترة قصيرة، استقرت بعدها في قرية الجديدة شمال غرب قريته الأم البروة.

• أكمل تعليمه الابتدائي في مدرسة قرية دير الأسد، وأنهى تعليمه الثانوي في مدرسة يني الثانوية في كفر ياسيف.

• كتب في العديد من صحف الحزب الشيوعي الفلسطيني، مثل «الاتحاد» و«الجديد» التي أصبح فيما بعد مشرفًا على تحريرها، كما اشترك في تحرير جريدة «الفجر». وأسس فيما بعد مجلة «الكرمل» الثقافية.

• اعتقل من قبل السلطات الإسرائيلية أكثر من مرة؛ أولها عام ١٩٦١، بتهم تتعلق بتصريحاته ونشاطه السياسي.

• توجه عام ١٩٧٢ إلى الاتحاد السوفييتي للدراسة، وانتقل بعدها لاجئًا إلى القاهرة في العام ذاته حيث التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية، ثم إلى لبنان حيث عمل في مؤسسات النشر والدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية.

• تنقلت إقامته بين باريس وبيروت وعمّان وعواصم أخرى قبل عودته إلى وطنه حيث أنه دخل إلى فلسطين بتصريح لزيارة أمه. وفي فترة وجوده هناك قدم بعض أعضاء الكنيست الإسرائيلي العرب واليهود اقتراحًا بالسماح له بالبقاء، وقد سمح له بذلك.

• شغل منصب رئيس رابطة الكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

• قام بكتابة وثيقة إعلان الاستقلال الفلسطيني التي تم إعلانها في الجزائر عام ١٩٨٨.

• استقال من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير احتجاجاً على اتفاقية أوسلو.

• نال العديد من الأوسمة والجوائز والتكريم، منها:

- جائزة لوتس عام ١٩٦٩
- جائزة البحر المتوسط عام ١٩٨٠
- درع الثورة الفلسطينية عام ١٩٨١
- لوحة أوروبا للشعر عام ١٩٨١
- جائزة ابن سينا في الإتحاد السوفيتي عام ١٩٨٢
- جائزة لينين في الإتحاد السوفييتي عام ١٩٨٣
- الصنف الأول من وسام الاستحقاق الثقافي تونس عام ١٩٩٣
- جائزة سلطان العويس، الإمارات، ٢٠٠٢-٢٠٠٣
- جائزة الأمير كلاوس الهولندية عام ٢٠٠٤
- وسام الثقافي التونسي للسابع من نوفمبر ٢٠٠٧
- جائزة القاهرة للشعر العربي عام ٢٠٠٧
- كما أعلنت وزارة الاتصالات الفلسطينية شهر تموز الماضي عن إصدارها طابع بريد يحمل صورة محمود درويش.

• من مؤلفاته

- عصافير بلا أجنحة (شعر) - ١٩٦٠.
- أوراق الزيتون (شعر).
- عاشق من فلسطين (شعر)
- آخر الليل (شعر).
- مطر ناعم في خريف بعيد (شعر).
- يوميات الحزن العادي (خواطر وقصص).
- يوميات جرح فلسطيني (شعر)
- حبيبتي تنهض من نومها (شعر)
- محاولة رقم ٧ (شعر).
- أحبك أو لا أحبك (شعر).
- مديح الظل العالي (شعر).
- هي أغنية ... هي أغنية (شعر).
- لا تعتذر عما فعلت (شعر).
- عرائس.
- العصافير تموت في الجليل
- تلك صوتها وهذا انتحار العاشق.
- حصار لمدائح البحر (شعر).
- شيء عن الوطن (شعر).
- ذاكرة للنسيان.
- وداعاً أيها الحرب وداعا أيها السلم (مقالات).
- كزهر اللوز أو أبعد
- في حضرة الغياب (نص) - ٢٠٠٦
- لماذا تركت الحصان وحيداً
- بطاقة هوية (شعر)
- أثر الفراشة (شعر) - ٢٠٠٨
- أنت منذ الآن غيرك (١٧ يونيو ٢٠٠٨ ، وانتقد فيها التقاتل الداخلي الفلسطيني)

• توفي في الولايات المتحدة الأميركية يوم السبت ٩ أغسطس ٢٠٠٨، بعد إجراء عملية قلب مفتوح في المركز الطبي في هيوستن، التي دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته بعد أن قرر الأطباء نزع أجهزة الإنعاش.

وقد وري جثمانه الثرى في ١٣ أغسطس في قصر رام الله الثقافي. وأعلن عن تسمية القصر بقصر محمود درويش للثقافة. وشارك في جنازته الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني.

مختارات من درويش

هزمتْكَ يا موت الفنون جميعها
هزمتكَ يا موت الأغاني في بلاد
الرافدين. مِسلّة المصريّ، مقبرة الفراعنةِ،
النقوش على حجارة معبدي هزمتْك
وانتصرتْ، وأفْلتَ من كمائنك
الخلودُ...
فاصنع بنا، واصنع بنفسك ما تريدُ

« الجدارية»

رحلةُ صيدٍ بائسة

فواغي بنت صقر القاسمي*

وحيدًا
في ليل حَيرتهِ الذي لا ينتهي
حين العينُ يسهدُها الانتظار
والقلبُ المتوثبُ للقاء
لا يجيء
حتى المقهَى المتثائب على زاويةِ الشّارع
المثقل بأقدام الخليقةِ
يتلمّسُ وسادةَ الليلِ ليثوِي
تاركاً إياهُ
يرسمُ حُلم التّفاصيل
التي لا تكتملُ
..
ونبيذُ الرّغبة المشتعلُ في غيوم رأسهِ
يتطايرُ في سماواتِ العُروج
إلى مقامِ طيفٍ لا يتحقق
يغزلُ جدائلَ من سنابلِ فتوحاتِه

يُلبسُها كعقودٍ من زبرجدِ الحَكايا
لجِيدِ القصيدة
يتأملُ تعاريجَ ولهِهِ وأخاديدَ شرودِهِ
يستنهضُ زخاتِ عشقٍ
في جوانبِ القلبِ المتعب
بحثًا عن صيدٍ فارغ
يستلُّ رماحَ خطيئتِهِ
من جعبةِ اهتراءِ راحلتهِ
الـ أنهكها تبعثر الطريق
وخُطاه لا يستقرُّ بها وقعٌ
شرودِ العينينِ القاحلتين
من ندَى الحقيقةِ
حينَ
يجدهنَّ كما هُنّ..
لتتشابهَ قصائدُه
فلا يميزهنَّ منهنّ
ويعاودُ رحلةَ صيدِهِ
علّهُ تجاوزهنَّ إليهنّ
حيث ليس إلاهنّ
ولكنه يعودُ فارغًا
سوى من ذكرياتِ سقوطِه...!
وحيدًا
في ليل حَيرتهِ الذي لا ينتهي
حين العينُ يسهدُها الانتظار
والقلبُ المتوثبُ للقاء
لا يجيء

---

* شاعرة إماراتية

الحبُ نبعُ النور

دة. سعيدة خاطر الفارسي*

كن عاشقاً..

أسرج براقك سيدي

كي أمتطي صهواته

فالحبُ مغتسلٌ طهور

والحبُ عطرُ الكون

والحبُ صنو النورِ في أجسادنا

من قال إن العشقَ

لا يجلو مرايانا الخبيئة

بين أروقةِ الصدور؟.

كن عاشقاً يا سيدي

وافرد جناحك..

خذني بحضن اللهفة الأولى

مستمطراً

سحبي الغزار..
وقادحاً..
مِنْ جذوةِ الأشواقِ
ملحمة الشرارة.
مازال حلماً واثباً كالموج
يسحب مده ثوب الشطوط
وتغسل الأنواءُ
عن شتى مفاتنه المرارة
مازال بستان الهوى
في القلب مكتنزاً ثماره
فافرد جناحك سيدي
كي ابتني وكراً به
وألوذ مثل حمامة جفلت
وأمّن جانحاك لها السلامة
فتفيأت غصنَ المسرات
المزهر بالبشارة.

*شاعرة وأكاديمية عُمانية

فلسفة مجلة أقلام جديدة

* أدبية ثقافية شهرية، تعنى بالإبداع الشبابي والأدب الجديد.
* نافذة للمبدعين من شباب الأمة يطلون منها على العالم.
* منبر حر يعبر فيه عن الأفكار والتطلعات والمشاعر والرؤى.
* حاضنة للإبداع الأدبي شعراً وقصة، ومسرحية، ومقالة....

(كلُّ إشراقٍ بجُرحٍ)

أشرف علي خليل*

لا بُدَّ من شجرٍ
لينتظرَ المجازُ دقيقةً
وتُمدَّ فتنتَها الحروفُ على الحقيقةِ من صباحي
هل أنتِ واحِدةٌ لتفتحَ بابَها
تلك الحقيقةُ؟
تشتهي وجدَ الغُدُوِّ
وتستريحُ مع الرَّواحِ!
لا وَجْدَ بعدَ ظهيرةٍ
إلاَّ وأنتِ مضيئةٌ بهوًى
يفتِّشُ عن فضاءٍ كي يطيرَ بلا جَنَاحِ!
هذا مساءُ المتعبينَ .. وتلكَ مِرآتي
أرى فيها مواقيتي .. ووقتَكِ
أنتِ واجدةٌ بما يكفي لِنصْفِ حقيقةٍ
الليلُ أوّلُهُ البلادُ
وآخرُ الدُّنيا بلادي

أنا سيدُ الأوقاتِ
لكنَّ البلادَ بعيدةٌ
وأنا قريبٌ مِن جراحِي

لا بُدَّ مِن شجَرٍ وعَشْرِ بَنَادِقٍ
ليغيِّرَ الصوفيُّ وجهَتَهُ
ويمضي في شوارعَ من دُخَانْ
لا تركضِي خَلفي إذا ابتدأَ الحنينُ
إلى منازِلنا وأنكرني المكانْ
أنا لن أضيء "وسُهرورِدُ" بعيدةٌ
تبكي خطيئتَها
وتنتظرُ المسيحْ !
لا يستوي نُورَانِ
يُشرقُ واحدٌ منِّي وآخرُ من بلادي
(كُلُّ إشراقٍ بجُرحٍ)
كيف تشتعلُ الجراحُ قديمةً ؟
وأنا احتفالُ النورِ لا أمشي على ماءٍ
على شرفِ القيامةِ أُبصِرُ الموتَى
وأنتظرُ اصطفائي
كيف تشتعلُ الجراحُ قديمةً؟
وأنا أفِرُّ إلى رُفَاتٍ
أو أحدِّقُ في ضريحْ؟
نُورٌ على نُورِ البلادِ
فأيُّ مِشكاةٍ وأيُّ زُجاجةٍ
أبصرتُ في وَضَحِ النهارِ، وقلتُ قلبي؟
أنتِ واقفةٌ أمامَ مواجدِي
غادرتُ مِرآتي، وقلتُ لكِ:

انظري ..

الكوكبُ الدُّرِيُّ يُوقَد هَا هُنا

لا بُدَّ من زيتونةٍ

الوجدُ في المِرآةِ .. والسِرُّ انطفا

فمتى أكونُ المُبتَلى .. ومتى أكونُ المُصطَفَى ؟

هذا رُواقُ الأنبياءِ

وتلك ناطحةُ السحابْ

لا أنتِ أنتِ

ولا القصيدةُ كالغيابْ

أُنزِلتُ منزلتِي وقلتُ - أحِبَّتِي:

(أبداً تَحِنُّ إليكمُ الأرواحُ وِوصالُكم رَيْحَانُها والرَّاحُ)(**)

و أحِبَّتِي ارتحَلُوا إلى أشواقِهم

- لا بدَّ من زيتونةٍ -

أشواقُهم دِرعِي

وحرقتُهم سِلاحي

أنا سيدُ الأوقاتِ

لكنَّ البلادَ بعيدةٌ

وأنا قريبٌ من جراحي!

لا بُدَّ مِن شَجَرٍ وعَشْرِ بَنَادقٍ

وهوًى بعيدٍ عن هواكِ

ليفتحَ العشاقُ جُرحَهمُ القديمَ

ويسألوا عن آخرِ امرأةٍ

تعرَّتْ للحقيقةِ، واشتهتْ تفاحةَ النَّجوَى

فهل أنتِ التي ستكونُ أوّلَ مَن تضيء؟

أو التي ستضيء روحاً من بلادي؟

ارتقِي دَرَجَ المحبَّةِ موسمَيْنِ،

وقبِّلي حجرَ العلوم ،
وطوِّفي – طوَّفتُ قَبْلَكِ شهوةً –
أنا عاشقٌ
لكنني وحدي بلا جرحٍ قديمٍ
(كلُّ إشراقٍ بجُرحٍ)
كلُّ مرآةٍ بسِرٍّ
كيف تحتملينَ مِرآتي
وسِرِّي فوقَ صفحتِهَا؟
أنا ظِلُّ الحقيقةِ
لا الحقيقة نفسها
أنا واحدٌ
أحدٌ سِوايَ
مُنزَّهٌ عنِّي ومُتَّصِلٌ بحالي
حَلَّ في غيبي
وأشهدَنِي على وقتٍ
سأهبطُ فيه وحدي
اركضي – إن شئتِ – عاريةً ورائي
لن تُضيِّفَكِ البلادُ ولن تموتي
هذه بغدادُ
تعرفُ أنني سأموتُ قبلكِ
رُبَّما سأمرُّ مثل غمامةٍ فوق الفُراتِ
ورُبَّما يتساءلُ الفقهاءُ عن حُكمِ الشريعةِ
في مُرورِ الماءِ فوقَ الماءِ!
عن رَأْيِ الأئمةِ في هَوَى الماءَيْن!

لا بُدَّ مِن حَلَبٍ
ليصلِبَني هناك الفاتحونَ

ويدخلوا – بعد الصلاةِ – حديقتي
لن يستريحَ الفاتحونَ
وفي يدي زهرُ البنفسجِ مُورِقٌ
وعلى جبيني نرجسٌ
يتساءلونَ: متى أغيبُ؟
وكُلَّما أشرقتُ عن زهرٍ
تجدَّدَ حزنُهم
هَيْهاتَ أُشرِقُ عن زنابقَ
أو أغيبُ على أقاحِ
أنا سيدُ الأوقاتِ
لكنَّ البلادَ بعيدةٌ
وأنا قريبٌ مِن جراحِي ..!

---

* شاعر مصري

(**) البيت للسهروردي .

نصّـان

رشاد رداد*

هـذي المدن صالحة

لها سماء من هديل الحمام
وهواء من نعنع
وزنجبيل
ومئذنة يستريح
على هلالها
صوت بلال الجميل
هذي المدن كالحة
كخريف أبله
يسرق من الصبايا
نشوة النهد
وحنّاء اليد
ويملّح عشب حديقتنا

كـي تفر غزالة روحنا
منا
وتضيع فـي رمل الأسئلة
غسلت قلبي مع القميص
نشف الغسيل إلا قلبي
الياسمين قبلات العاشقين
وعطر يحمي
النساء من الصدأ
هذي المدن مالحة
من بكاء العصافير
وعرق الرحيل
ومن هواء البحر المشبع بالعويل
وأين دار أبي سفيان ؟؟؟
بقايا مسرح للهواة
إن هبط الليل
يزحف المتفرجون سكارى
يبدأ العرض
ينام الحضور
يتجول اللصوص
في شوارع اللغة
يسرقون ذهب المعنى
والمعلقات العشر
يغضب الشعراء
يطلق رجال الأمن
الرصاص على النوافذ
وفي الطرقات
رحم الله الشعراء
هذي المدن نائمة

قمر مشوّه بلونين غامضين
وعلى ما تبقّى من يابسة
ونهر استسلم للتراب
فخان السمك
وعشب انتظر ماءه
حتى احترق
وأنت يا هدهد
لا تحلق فوق رأسي
دعني أموت
هنا
بلا دليل
لي قلب وعينان واسعتان
لا أرى وجه حبيبتي
لي قلب ويدان قويتان
لا يحميان جسدي
لي قلب وحلم ضرير
من يدلّني عليهما
بعد هذا المسير
لنعرف ولو لمرة واحدة
أن الشعراء أفسدوا القصيدة
وباعوا قوافيها
لتاجر الخردة
يذهب الشعراء لأمسياتهم
فينسون قصائدهم
في الطريق
يذهب الجنود للحرب
فيخطف الشهداء
بنادقهم ويمضون

لـي أصـدقـاء

يمـوتون واحـدا واحـدا
دون مـرض
(وداعا أيها الصحـب)
لـن ابـكـي عـلـى احـد
ليسـو شـهـداء
لـهـم رائـحـة الموت الثـقيـل
وهـشـاشـة الـزيـد
لـي أصدقاء
بـلـون باهـت
كـبـعـوض المعـتـقـل
لـي أصـدقـاء
يـبـيـعـون دمـك كـالـقـهـوة
عـلـى الـطـرقـات
لـهـم طـعـم الـنـكـسـة
والحـلـم المفـتـعـل
لـي أصـدقـاء
حـاولت أن أتـهـجـأ أحـرف
وجـوهـهـم المؤسـفـة
عـجـزت حـكـمـتـي
فـبـكـيت عـلـى كـل المسـاءات

والأرصـفـة
لماذا تـعـود إلـيـهـم
(محـشـوا بالحـنـين)
أرمـي عـصـا الحـلـم
أهـش بـهـا عـلـى قـمـري
أرمـي قـلـم الـكـتـابـة
فـالـبـاب بـال

على نعناعة قلبنا
لكن أين وجهتك يا صاح!
و البلاد سواء
والصحبة سواء
و المرض سواء
لي أصدقاء
يحبون موتي
(النفس أمارة بالسوء)
لست نبيا
ولا وليّا
لكنني طيب كأذان الفجر
وبسيط كدودة القز
وأنت ياصديقي
كلما خانك الأصدقاء
تضيق بك الأرض
والقابضون على الصحب
كالقابضين على الحجر
يكتبون قصص الحب
برماد المستحيل

---

* شاعر وكاتب أردني

القبر أحلك ظلمة

أوس أبو صليح *

القبر أحلك ظلمة من آخرةٌ
وأنا بكيت لأن قبري ذاكرةٌ
عينان مغمضتان خلفهما أنا
صوراً من النعناع نكهتها
وشاي الصبح شمسٌ كافرةٌ
وأنا امتزاج القهر بالإدمانِ
تابوت له وجهانِ
مكتبة ولا عينانِ
عزة سيدٍ وخيانة الأعوانِ
شيطان تأبط جنةً
ملك توسّد كفّه
لغة من الترميزِ
نفس ثائرةٌ

ألقيت في روع المعاني ما أريد من السطور العابرةْ
وعبرتُ قافية لأخرى
فانتهيتُ إلى المشانقْ
وقفزت من وتر إلى وترٍ (صبا)
وقفزت من وتر إلى وترٍ (بياتاً)
فاختبرت الموت عزفاً
واختبار الموت صادقْ
صوتي كطقطقة الحرائقْ
ودمي عراق هادئ التفجير لم تسرق متاحفه
عراق أو عناق حائر
إذ ليس ثمة من يعانقْ

---

* عضو هيئة التحرير

تَتَأَلَقِيْنَ دُهُوْرَا

عبد الكريم السعدي*

هُنَا في حماكِ، ملاذي الأخيرْ
وتحتَ جَنَاحِكِ
عُشُّ النسورْ
وفوقَ رياضِكِ
معنى التَّبَاهي
ودونَ الزمرُّدِ
فصْلُ احتراقٍ
وفوقَ العقيق
نسيجُ الحريرْ

رُباكِ استراحتْ
على سَعْفِ نخلٍ
وباتت بفيءِ
اخضرارٍ أثيرْ
ورَوُحُكِ وثّابَة للتَصابي

تُمدُّ الإِباءَ

بهَمْس التّنَاجي

وَيُبْحرُ في فُلكِ...

بَحْر الخلودِ

وتنشدُ فيَّ

الطموحَ الكبيرْ

وطيفُكِ أرْخى إليَّ العِنَانَ

وقال: استفضْ في بلوغِ المعالي

وَحَلّقْ على بُعْدِ قوسٍ شفيفٍ

يزاوج بين انتصار وَحِسٍّ

وَيَعْرُجُ للعشق في سلسبيلٍ...

من الدفءِ والوجدِ

والأغنياتِ

وشيءٍ من النُور

في كأس نورْ

فثارت عليَّ أزاهيرُ نَايٍ

ونادتْ بكلِّ الفناء البعيدِ

تُحملقُ في الشارداتِ اللواتي

قَصَدْنَ احتفائي

وَهَزَّتْ جذوعَ فَضائي العتيدِ

تبوحُ..

بوَصْلِ هَوَى العارفينَ

وتشكو..

إلـيَّ انـحـرافَ الـضـمـيرْ.

فـقـلـتُ: اسـتـريـحـي!!
فـمـازلـتُ غـضـاً
ولـيـسَ لـديَّ الـوسـيـطُ الأمـينُ
وَمَـا غـيرُ مَـيْـلٍ
وبـعـض الـشـعـورْ

فـأرْخَـى شُـمُـوخُـكِ
ظِـلَّ الـفـيـافـي
ونـادى، ونـادى
وأغـرى نـزوعـي
وأنـفـذَ فـي سَـمْـتِ عـمـري الـهـيـامَ
وفـي نـظـرتـي..
مـا يـشـوبُ الخـيـالَ
إذا مـا تجـاوزَ أفـقَ الـسَّـحـابِ
وَحَـلـّقَ فـي دِفـءِ
عَـهْـدٍ نَـضـيرْ

سـألـتـكِ ريـحـانـتـي (الأمـنـيـاتِ)
فـرَدَّ الـصَّـفـاءُ عـلـى الـسَّـائـلـينَ
وَصَـبَّـتْ مُـنـاجَـاتـكِ الأقـحُـوانَ
وَسَـالـتْ ريَـاضُـكِ
فـي كـل عِـرْقٍ
وَمَـادَتْ دمـاؤكِ

في نهرِ رُوحي

وفاضَ عبيرُ مُنَاكِ المنقّى

على سَفْحِ كفي

بُعَيْدَ انتصاري

لألحَاظِ وَجْدٍ

تُعَزِّزُ في خافقينا التلاقي

وَتَنْهَدُ للبَوْحِ

في عرسِ هَمْسٍ

وتَسْكُبُ

في مُهجتينا التَمَاهِي

بصُبحٍ تجلّى على مقلتينا

يُنادي ويعلو

فيرسو سفيني

ويرسمُ بَوْحَ مدَاكِ الكبيرْ

تَنَهّدْتُ آهي وغادرت عمري

وَبتُ بقِنْدِيْلِكِ المستَبدِّ

أنازعُ فيهِ فضولي الغريرَ

وأسحبُ في لهفةٍ (من رقيبٍ)

لحِافَ الليالي..

لأسْكُنَ في كلِّ جزءٍ أثيرٍ

وأمضي وَكُلّي يقينٌ

بأني..

أسيْرُ إلى كهفِ ذاكَ المصيرْ

فيطوي (فِرَاسة َحَدْسِي المُعنّى)

تَمَرُّدُ إلهامِكِ المستميتِ
بسَبْقِ احتضاني
لِيَزْرَعَ في كل عِرْقٍ دَفُوقٍ
غِرَاس التَجَلِّي
ويُنضِجَ (في عَقِليَ المستجم)
خيالَ التلاقحِ عَبْرَ التّبَاري
وَيُعْمِلَ تصويركِ المستنيرِ
بخَلقٍ يُحرِّضُ طلقَ الولادةِ
عِنْدَ الجُمُوحِ..
فيهْزجُ في صورةِ المبدعينَ
بفيضٍ يُحاكي النزوع الأخيرُ

فأعلم أنّي لديكِ الأثيرُ
أنام على صدر عاج التسامي..
بكلِّ انبهارْ..
وأنّكِ أرجوحتي..
في حياتي
ليوْمٍ مَرير
ويومٍ مَطيرْ

* شاعر فلسطيني مقيم في سوريا

صدفة

حياة نصر*

أحتمي بجدران القصائد
لأبكي
على زورق حمل أحلامي
وضيّع الاتجاهات
أنتظر الصدفة
أن تعيده إلى شواطئي

حزينة

لِمَ أنا حزينة؟
لأن المطر غادرنا مسرعاً
ولم يسقِ أعشاباً
ما إن بدأت بالاخضرار
حتى تغلغل الاصفرار فيها

وترك شقوقاً عميقة في التراب
أم من فزع الطيور منا
وفزعنا منها
أم من أطعمة لاذعة محترقة
في قدر السياسة
الملوثة من كثرة الأيدي
الممتدة للتحريك

تعب

كم نتعب لنصبَّ ذاكرتنا
على الورق
ويحرقها لنا الآخرون

---

* شاعرة سورية

دم العصفور

أحمد الخطيب*

يتنفس شجراً أخضر

لا ينقص ريشاً من ذاته

ويواري ما ليس يقال

وصباحاً يدخل فوق حصان أبيض يشبه من مرّوا

يا قيس أنر ما ليس بحالك حالي

ومساء تلمع في عينيه النجمة يرقب فخاً فيرى

مدناً من سبع سنابل تدخل في سبع سنابل مكثرة عدداً

مكثرة عدداً أمي تنقص من حجرتها ما ليس بها

ريشك فوق الغصن ولن يتخطفك الماء فكن سيد نفسك

ريشك فوق سهاد التفاح فعاود رحلتك الأولى

وأنر ما ليس بحالك حالي نحن أتينا متشحين العوسج أغنية مكسورة

وأتينا بعد سنين عجاف مس الجنب مدار لن يتخطفك الماء

فشاهد سبغتك الأولى; كنت بلا زغب تعبر عباد الشمس

وتمنح مرآة الغصن شفافية روحك .

كنت ولا زلت ولكن الصياد أتاك وفي يده حبات القمح
فخلت رسولاً من أمك قد جاء بها
والماء قريب منك ولكن جناحيك هما المعنى
وعبرت سياج الموت مديد القامة غير مداهن
وعبرت مدائن
كانت فيروز بنفسجة في قفص تحت الصورة
تعطيك ابنتها حين تقوم من النوم لتغسل عبء الأمس
فتمرر ابنتها ربما نصف أصابعها
عبر سياج الحنكة تحتال عليك، وتبكي
تبكي إذ لمست برهافة إصبعها معنى الخوف
وتبكي إذ عمدت تبكي
كنت قريباً منها فأتيت بلحنك
صاح التيار هنا قفص وهنا قفص
قفص لمساء أخضر
قفص لمدينة مرمر
قفص للطفلة ربما
قفص لسياج من عسكر
مكثرة عدداً أمي
تنقص من حجرتها ما ليس بها
فأداري نصفي بستائر من قصب جئت به من حقل أبي
لن يتخطفك الماء ففري بأبي
صرة أحلام لأبي
أن يكثر في البيت مناخ الحب
وأن يزرع عمي حقل ورود في البيت
وأن أصبح شاعر

قلت أدور ببيت الشعر على دف الشاعر
وأسجي الأرض على بالي
وأعاضد جيراني
كان شبيهي الأعمى صار مديراً
قلت أغازله
وأصير دليل يده
جئت إليه
استنسخ ما مر من الماضي فبكى
بعد غرابين من المعنى
كنت أجيراً في بيت الأعمى
فيروز أحاطت بذراعي
وتجافت عن رأس ربما
من يعرف ربما ؟
ريشك فوق الغصن ولن يتخطفك الماء!
وقف الموت ببابي
وقف السيد في سر غيابي
وقفت أسوار الدور
فعلمت بأني أخرج وحدي
فعلمت بأني أخرج وحدي
بدم العصفور

---

* شاعر أردني

تعزيمة الدم

عصام ترشحاني*

قام ورد التـّخـومِ

مشـى فـي مغـارب جسـمـي

مشـى فـي فضاء الدِّنانِ

مشـى فـي الدّخان

مشـى في خـطوط اسـتوائي

ولـكـنـهُ.. لـم يصـلْ..

هل لأنّ المياهَ التي

في سؤال السـديمِ

اخـتـفـتْ..

حين مَسّتْ قيامة روحـي؟

مشـى فـي دمـي

ثمّ مازالَ..

فـي ماسـة الليلِ

كـم شـعَّ فـي القـلـبِ

حتى تصَدّعَ شِعري

وَخَرَّتْ بهِ الريحُ

تذروه.. حلماً... فحلماً

هو الآن... يمضي

إلى لا.. بلاد الصدى

بل بلاد الندى والمدى

كي تستحم الكتابةُ بالعطرِ

والنارُ من حَرْثه...

كم رأيتُ الذي

فرَّ.. مِنّي

حثيثاً إلى زنبقٍ في يديهِ ينامْ...

كم رأيت حنيني

يعود إليهِ طَريّاً

كعشب الغمامْ...

هو الآن بيني

ولكنني لم أصلْ..،

فما بين بيني

بعيدٌ.. بعيدٌ كظلّ الظلامْ

ما الذي شرّد البحر فينا؟

كأني بصوتٍ بهيمٍ

يشير إلى الأرضِ

في قبّتي..

ما الذي أوقدَ الفقدَ...

من تيهِهِ

هل هو الانتظار الرجيمُ
الذي ضلّ وسواسهُ،
أمْ... هو النابت الآنَ
في قلق الاكتمال...؟
عَلّهُ الجامح السرمديّ الذي
قد أطاحَ،
بماءِ الهلالْ...
إنني...
مُـذْ قرأتُ وصايا الجبالِ
على الحبِّ،
قام من النّعشِ
دون ضجيجٍ
وصلى على نفسهِ،
ثم نادى...
على بذرةٍ في الرميم،
فجاءت من الجَمْرِ طوعاً
هو الآن،
في حالةٍ...
كالجهاتِ التي في هسيس النفيرِ
رقائقها أوّل النورِ
إسعادُها
في عوائد مَحْوي
هو الآن،
في ثالث النّيّرَيْنِ
وفي مطلع البدر مني،

تباركتَ...

يا باذخ الطّيْفِ،

حين من اللازمانِ،

تدور الرغائب فيكَ،

إلى... لا مكان التجلّي...

تباركَ...

هذا الرّجيف الذي

في التباس الحجاب يفيضُ

وحين تدور الكواكب حولي...

---

* شاعر فلسطيني مقيم في دمشق

هذا النبيل من الخطى

غسان تهتموني*

أبتلُّ كالعصفورِ
من أسفٍ بصامت غيمهِ
ألجُ الشفاه بما تيسّرَ من نحيبي
ماضٍ تعلّلَ بالعيونِ،
وأضرمَ الأحشاءَ مني،
فانبرى نهراً تبتّلَ من وريدي

خذني برمشكَ يا حبيبي
واستعدني
زفراتِ ضوءٍ ناشدتُ مزقاً
بأسمال الغريبِ
خذني قبالة ساعديكَ،
وغطّني
برياش فجرٍ طاف أعواماً بليلي

فيما شواغلُ عبرتي
حملتُ بمعطفكَ الأثير مراكبا

إيهٍ عليّ
وجدتُ وجهكَ صاعداً
لبلابَ سؤلي
ووجدتُ سنبلةً
حليفة نسمةٍ
مسحتْ ببسمتكَ الحنون ذوائبا
فارتقتْ يمناكَ قنطرةً ببيدي

أكثرتني قلباً تجمّلَ بالنداءِ
فلم ترق من قطرةٍ ظام
أمطرتني بجديد صحوكَ فارتمتْ
كفّايَ من لدن الزنابقِ حلّةً
ونسيتُ يا الله أشتاتاً خزامي

أنتَ الذي بايعتَ صمتي
وأسلتَ في سحرٍ نشيدي
أنتَ الذي صيّرتني زمناً بساقك
بردةً لكفافِ شهدكَ في الحصيدِ

أصحو
وأثملُ من فراشٍ شفَّ أجنحةً بخيلي
أصحو على ألمٍ وشى بالليلِ قبلكَ

واحتفى بالجمرِ ما بيني وبيني

هذي الملاءةُ من قديمِ الفقدِ هامتْ

حطّت بوجدي

كذكاء هدبٍ جادَ أسراراً بأقراص اللجين

هذا أنا...

هذا النبيلُ من الخطى

لربيع صوتكَ يصقلُ الأعضاءَ في ألقِ اليدين

هذا أنا

إذ طالما أظمتْ حروفي في الصفيح طوارقا

حتى قدمتَ وشعَّتِ الحدقاتُ فيَّ نوارسا

فيروز صمتكَ دوزنَ الأعوادَ فيَّ

وغرّهُ أني بسهمكَ مارقٌ

أردفتني مشمولَ خطوكَ واثقاً

وصفيّ حزنكَ رام شعريَ صادقا

حرقاً تصابت في حشايَ، وفاتها جمرٌ

بحلقيَ وامقا

فبرئتُ من سقم بقلبي

جسّتْ يداهُ بذركٍَ المعطوب دمعاً

فرجعتُ أذرفُ للدموعِ « أبارقا»

دع للشتيتِ بغرفتي رسماً لبأسكَ

مدخلاً لحليِّ صقرٍ شدَّ زورقهُ إزاري

دع للزجاج أصابعاً شهدتْ بنورسها حصاري

دع للتأمّلِ صورتي يا ابني، وجاراً في الجوارِ
نهاكَ يوماً أن تميس بحرقةٍ زفرتُ نهاري
دع للشهابِ عبارةً في القوس يا ابني
فشعابُ إربدَ أدمنتُ عطراً تباهى
من مدى حرصي على طيّ الغبار

خذني بخمس أصابعٍ
خطّتْ برعشتها مجازي
ذرني وعكازي
للمسجد الغربيِّ من نفْسي
ولا تهبط بنا سوقاً تزاور عن جداري

حزناً أصولُ وأقتفي
طرقاً بعلياء المجرّةْ
الحزنُ غير الحزن يا ابني
والضوءُ أعياه المسرّةْ.

---

* شاعر أردني

في ظلال القلبِ

محمد محمود البشتاوي*

وأفترشُ في ربوع القلبِ بستاناً
عاطرَ النسماتِ
فيءُ ظلالهِ غيمٌ
أبيضَ..
مثل طفولةٍ ورديةُ الأحلامِ تبحثُ عن مَعانٍ للحياةِ،
وتسألُ "ما الحياةُ..؟"
في ظلالِ القلبِ وقعُ موسيقى وألحانٌ وعزفُ الناي ينأى

في ظلالِ القلبِ غيمٌ
تكسَّرَ من نسيمِ الريحِ..
أو تبعثرَ في الجهاتِ..
ما الجهاتُ الأربعةُ؟

فـي ظلالِ القلبِ أسئلةٌ موزعةٌ على ورقِ الكتابةِ..
فاكتبْ ما تشاءُ وما تشاء؟

أحرفٌ بيضاءْ
أسطرٌ بيضاءْ
فاكتب ما تشاءْ
ما الكتابةُ..؟

في ظلالِ القلبِ وقتٌ للمساءِ..
وقتٌ للنهارِ..
وقتٌ لانكسارِ الوقتِ..
فوقَ دفاترِ الأيامِ..
فوقَ أحلامِ الفتى..
ما فوقَ فوْقَ الوقتِ وقتٌ...
(ربما)
ما فوقَ ثانيةٍ وأبعدُ من لحيظاتٍ ونظرةْ؟

في ظلالِ القلبِ شيءٌ خاطفٌ للضوءِ
ولَمْحٌ يبصرُ الأشياءَ
شيئاً فشيئاَ
شويئاً دونه الأشياءُ تفنى.. ثم تبقى لحظةٌ..
فما الفناء وما البقاء؟

فـي ظلالِ القـلبِ أنثـى من نـعـاسٍ..
مـن أنينٍ.. مـن حنـينٍ
مـن ضلـوعـي..
مـن غيابٍ.. مـن رجـوعـي..
فـي ظلالِ القـلب تـسـمو
مثلَ طيـرٍ فـي سـمـاءِ اللّه حَـلَّـق

---

* شـاعـر أردنـي

الوصول

ماريت خضر*

يشتد التصفيق ويعلو فأدرك أنني لست وحدي
يعيدني التفكير لوهلة إلى بدايتي فلا أجدها
فأفكر بأن بدايتي قد انتهت وما أهمية بقائها !!!
فقد وصلت الآن....
وأضيع أنا في داخلي والبحث عني قد دنا!!!
وقد كنت ذات مرة أمشي
فوضعت هدفي خلف اسمي ورنوت إليه
وفي لحظة اللبس
عند التأكد من اليأس
قدمت دربي في الذاكرة
ووقفت منتظرة
فلم أجد في دربي سواي
وأنا الآن وحدي كما كنت دائما
وأما الذاكرة فانعطفت على الأيام
التي سبقتني وقررت
أن الأغنيات لا تموت

وقد غنى طريقي من قبل الغياب أغنية الحياة
ويعلو التصفيق مرة أخرى
والآن لا مجال إلا لأن أعرفني فأنا الآن قد فتحت نافذتي
ولا أرى منها سواي فأدركت أني
قد وصلت الآن
والوصول والوقوف متشابهان
فوَصَلَ
ووَقَفَ
فعلان ماضيان

* كاتبة أردنية

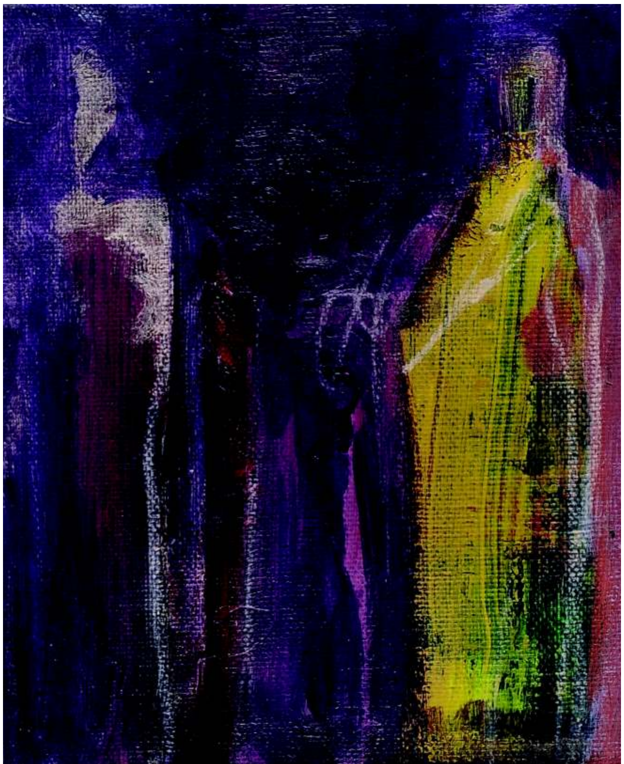

شوق

أسامة غاوجي*

شوقي إليكِ على لساني أطبقا   فظللتُ بين الخافقين معلقا
وجمعتُ بين الراحتين دموعنا   ألقيتها فأتت دموعي زنبقا
وأتت دموعكِ كامتطاء الريحِ ظهرَ   الغيمِ عاصفةً تخافُ وتستقى
حتى يراعي خائنٌ أدبي سوى   عما سقى الأحداقَ أو ما شوَّقا
أوقدتُ صبري فاكتسى حللَ الهوى   نارٌ على نارٍ فلن يتفرَّقا
صبري وشوقي للحروفِ جناحها   فيجود شعري إن بحبك أطلقا
آت إليك على جراحي شاهداً   كمآذنٍ فيها الأذان تسلَّقا
كسفينةٍ حُرقت مجادفها بيمٍ   ثم غادر أهلها أمل البقا
وبقيتُ رياناً يغالبُ موته   والموجُ حول سفينتي قد طوَّقا
ما أقتل الإيفاء يغري من وعى   ليموتَ مبتسماً ويحيا أصدَقا
لما أتيتكِ كان قبري في يدي   ملكتها قبري وجئت موثّقا
ورأيتها كتلعثم الأضواء حول   مدينةٍ فأتيتها متشوقا

فـأكـون بـين جنـوننـا متعقـــلاً   وأصير بعـد فراقنا مترفِّقــــــا

وأقول برد جوارحي قـد هـدَّنــي   ويكـاد حـرُّ جوانحي أن يحرقـــا

قـد كـاد ينسيني الظـلام طفولتي   حتى دنـوك فـي نـزوحي أشرقـا

تغفـو السيوف إذا أطلت غمادهـا   وحبيبتي ملكت فـؤادي فارتقـــى

كالفرقدين تلاحقـا أولـم تــري   كيف المساء على ارتحالك أشفقـا

تحت الجبينِ وفـوق ثغـركِ شاطـئٌ   للروحِ فيه الحسنُ حسنـاً أطرقـا

عينـاك تقتلعـان صمتي كلـمــا   سَكَّنتُ شعري عن سواك لينطقـا

كوريقتين من النـدى شربت وألقت   مـا يفيض مدامعـاً فـترقـرقـا

فمـددت كفي كـي ألملم دمعهـا   ومزجتـه دمعي كمـاء والتقـــى

ألقيتـه فأتـت دمـوعــي زنبقـاً   وأتت دمـوعـك مـا يخاف ويستقـى

---

* طالب جامعي

ليل معلق

مهى العتوم*

تعلق ليلا على شرفتي
لا يزولُ
وأحلم أني ألقط عتمته
نجمة
نجمة
ويطولُ..
كأن المساء وفضته..
يسهران
لأسترق الركض في لج
حقلك
أحلم أني أهش الندى
في سهولك
عفوا
وقصدا
وأجهش بالركض
حين تراني
وأنت بلا أي قصد
تجولُ
أعرف أنك..
من غير قصد تجولُ

ولكن
إذا كنت تعرف
كيف السبيل إلى ضفة
قد تؤلف حقلا وبرية
فاحترس أن يراك المنام
وضعٌ ملقطا في منامي
وضع ملقطا
.. في شتاء الحنين إليك
وضع واحدا للسلام عليك
..وردّ سلامي
وضع فوق شَعري
سماء تلملمها في يديك
لأن الكلام الذي قلته
لا يقولُ
لعلك تعرف من أي نافذة
قد أدلي الجديلة
كي يستمر...الهطولُ
هكذا...
مرَ موج على سمك
في البحيرة
هيأته لينام بلا وجع
فلم الموج أخضرُ
والليل ليّلَ
والبحر..لا تعتريه السيولُ

---

*شاعرة أردنية

قصص

مهند صلاحات *

اثنان

أخبرتِنـي حين كنـت قريبـك أن الأصل في الكائنات أن تكون زوجين.

وأننا كما الأسطورة الإغريقية نكون أقوى حين نكون بالعشق متحدين

وأخبرتنـــي حين ســافرت مبتعــداً عني أن المعرفة أساسها اثنين

فلماذا إذاً

تركتني أتعلمها وحدي !!!

الشجرة

في المساء جاء الرجال منهكين من الحقول المجـاورة. تحلّقـت حولهـم النسـاء المتعبات من انتظـار الأمل. فصارت جراحهـم دفوفاً. وأمانيهم مزاميرَ. ورقصوا حتى الصباح حول ذات الشــجرة التي ظلت لســنوات تظلهم بظلها. ويقيمون تحتها أفراحهم. ويبتهجون بوجودها.

غيــر أن ولــداً مجنوناً جاء بمنشــار حديدي وقطع الشــجرة. فهوت على الأرض لتحدث صوتا كانفجار ... أو صرخة.

صفــق الرجال والنســاء لشــجاعة الولد المجنون. وعلت صيحات الفرحة.

وحدهــا امــرأة ظلتَّ جالســة فــي الزاوية البعيدة من ركام الشــجرة؛ تنظر بصمت ما يجري، وتبكـي.

لا يبــدو أنّهــا حلمــت بكابــوس. ولا تبــدو نائمة.

بل كانت تستنكر بدمعها حماقة الجموع والفرحة

يوم الحشر

امرأة دعت لها أمها، بالخطأ، في أن يحشرها الله مع من تحب، فقالت : أن يحشرها فيما تحب

أفاقت في الصباح من نومها لتجد نفسها مكومة في كيس مغلق من ورق في إحدى المحلات التجارية ذات الماركات العريقة.

يمهل ولا يهمل

الرجل والمرأة اللذان تعاهدا أن لا يخون أحدهما الأخر في غيابه، ودعيا ربهما إن خان أحدهما الأخر أن يصيبه الأذى؛سافر الرجل مع عشيقته دون أن تَعلم زوجته التي خرجت في نزهة قصيرة لإحدى المقاهي مع عشيقها.

التقيا البارحة في ذات المشفى بعد أن تعرض كل منهما لحادث سير.

حديث نسوة

النساء اللواتي اعتدن الجلوس على باب بيت إحداهن للحديث عن كل شيء

الرجال في الشارع

النساء في السوق

الفتيات في المدارس

الفتيان في الحارات

يحاولن إعطاء آراء متضاربة في السياسة العالمية، حيث ترى إحداهن أن الرئيس الأمريكي بيل كلينتون كان (نسونجياً)، فيما ترى أخرى أن كوندليزا رايس لا تصلح للطبخ وأعمال البيت؛ وتضيف: لو كانت تخجل على نفسها لما كان لها عمل سوى الجلوس مع الرجال. بينما أخرى تستخف بحديثهن، وتتساءل يا ترى لو كان لديها مفاعلٌ نوويُكالذي تملكه إيران، هل كانت تستطيع إنجاز طبخة البيت خلال أقل من دقيقتين !

فيما قالت لهن إحداهن: أن الشياطين تُحبس في بيوتها برمضان

في الأسبوع التالي لم تأتِ أيّ منهن للجلوس على باب البيت

فقد جاء رمضان..

وقد استعضن عن الجلوس أمام بيت إحداهن؛ بالنميمة على الناس بالهاتف النقال والرسائل القصيرة.

---

* كاتب وصحافي

عفريت الحارة

عامر ملكاوي*

كان الصبح الباكر أنسب الأوقات للقيام بتلك المهمة. اتخذت مكاني فوق السور متخفيا بأغصان شجرة الزيتون المتشابكة. تسع حبات زيتون غير ناضجة تدلت فوق رأسي، ومقلاع في يدي، كانت كافية لإنهاء وجود سبعة صيصان كان صوتها يملأ المكان قبل دقائق.

ببطء نزلت عن السور. أخفيت كل ما يشي بفعلتي بكيس أُعدّ مسبقا لهذا الغرض وقذفت به إلى الجانب الآخر من السور. ثم بدأت بالصراخ: يا جيران... يا جيران. أطلت المرأة برأسها من النافذة:

- ماذا دهاك أيها الولد الشقي؟ ماذا حدث؟

- التهمت القطة جميع صيصانكم.

- تبا ... لن يصدق صغيري ما تقول.

أغلقت النافذة بعنف وأخذت تنادي ابنها بينما تسلقتُ السور عائدا إلى البيت.

في البيت كان كل شيء يبدو هادئا وعاديا. فكرت في ما يمكن عمله لكسر الجمود فوقعت ذاكرتي على ذلك القوس الذي صنعته الشتاء الماضي. تناولته وغادرت المنزل مسرعا. قاصدا المقبرة لجمع سيقان العوصلان اللازمة لصناعة السهام التي عادة ما كانت تنبت فوق القبور.

كل شيء في المقبرة كان يشير إلى أن المطر قد تأخر. العشب اليابس. الصمت الجاف. وقبر جدي الذي لم يكن موجودا هناك بعد. لم أجد عوصلاناً واحداً. عدت كما أتيت. لكن مبطئا هذه المرّة. على جانب الطريق. قريبا من المقبرة. توقفت قليلا عند ذلك القبر الشارد. قال جدي إن صاحبه كان رجلاً صالحاً.

طار بــه النعش من المقبرة ودفــن في المكان الذي هبط فيه. اقتربت من القبر، لمسته، ثم تأملته طويلا.

قليل من الهدوء جعلني أعي ما أريد...

اتجهت بكل ســرعتي إلى البيــت، غافلت أمي وأخذت من خزانتها قطعة قماش حمراء وخيطــا وخرجت. في (الحاكــورة) خلف بيتنا وقفت أمام شــجرة التين، وقع اختياري على أطول الأغصان وأكثرها اســتقامة وصلابة، تناولته وفصلته عن جذع الشــجرة، ربطت عليه قطعة القمــاش، وانطلقت لجمع أولاد الحي.

تقدمتهــم حامــلا الرّايــة، بدأنــا المســير مردديــن العبــارات ذاتهــا التي كنا نســمع الكبــار مــن الفلاحــين يردّدونها كلمــا تأخر المطر عن موســمه، وأخذنا نقلد طقوسهم لاستجلاب المطر.

كلمــا دخلنا أحــد بيوت الحــي كان يخرج أحدهــم حاملا كأس من المــاء يرش به الراية «الشرشــوح»، الأمر الذي كان يعلو به صراخنا وغناؤنا، وهكــذا حتى جــاء دور الجيران، كانت شهقة ابنهم المدلّل تتناهى إلى مسامعنا، عندما أطّل رأســها من الباب، حملقت المرأة في وجهي بغضب وقالت: أيّ شقيّ أنت أيها الولد، لا تأتي المصائب إلا من تحت رأسك، أنت من أفســد أولاد الحي، اذهبــوا قبل أن أحضر العصا.

عمّ السكون لحظة، وعدنا أدراجنا متابعين الغنــاء بصخب أكبر حتــى انتهائنا من آخر البيوت.

بعد آخر الطقــوس، تجمعنا ثانية وقصدنا قبــر الرجــل الصالح - بدلا مــن المقبرة هذه المرّة- رافعين الراية. فــي الطريق انضمّ إلينا المجنــون العجوز، ما أثار الرعب في نفوســنا، لمــا يقال عن قدرته على مخاطبة الجان بتلك اللغة التي لا يفهمها أحد سواه.

تابعنا المسير وقد علا صوته المتهدّج بلغته المخيفة، فيما خفتت أصواتنا المرتجفة. عندما وصلنــا، تنــاول مني الرايــة وزرعهــا بمحاذاة القبر، ثم صعد فوقه، وأمام دهشــة الجميع نزع سرواله وأخذ يتبول على قطعة القماش ويضحك بصوت مرتفع.

صُعِقَ الجميــع لهول ما حــدث، وعدنا إلى بيوتنا فــرادى تعلونــا الخيبة بعد أن أفســد علينا ذلك المخبول كل شيء...

عند المســاء كنت أجلس أمام المنزل، أراقب المــارّة، عندما تلبدت الســماء بالغيوم ، وبدأ البــرد يتســلّل إلــى عظامي، أســرعت إلى البيت، تناولــت بطانية دفنت بها جســدي، واستلقيت في فراشي مستمتعا بنقر حبات المطــر على النوافذ، أتخيل المقبرة وقد ملأها العوصلان بسيقانه الطويلة النحيفة التي ســأصنع منها أقوى الســهام، ذهب خيالي بعيداً حيث تقدّمت الأولاد بقوســي وجعبة ســهامي، نتعقّــب قطــط الحــي نقنصها الواحدة تلو الأخرى.

وفي الصباح استيقظت على صوت ينادي باســمي تزامن مــع طرقــات كثيــرة وقوية علــى باب بيتنــا. فتحت أمي البــاب ، ودعت أحدهم إلى الدخول بســرعة، فقد كان الجو باردا والمطر ينزل بغزارة. نهضت من فراشــي بشكل آلي لأستكشــف هويّة الزائر، كانت الجارة، تحمل بيدها دجاجة، نظرت إليّ بعينين ملؤهمــا حــب عميق، غمــزت أمــي وقالت:

هـذه الدجاجة المسـكينة التـي أكل القط صيصانها، لقـد قرر ابنـي أن يهديها إليك. عندما يتوقف المطر اذهب واشتر لها البيض لترقد عليه، ولكـن عندما تفقس البيضات احذر من أن يأكلها القط ثانية، ثم ضحكت بحنان واستأذنت أمي بالرحيل.

انتظـرت أن يتوقف المطـر طويلا لكن دون جـدوى، وعندما نفد صبـري، تجاهلت ممانعة أمي وذهبت لشراء البيض.

تحـت المطر الغزيـر، أعددت قنـا للدجاجة، وتركتهـا ترقد علـى البيض، ثـم دلفت إلى المنـزل، وبين وقت وآخر كنـت أتفقدها، حتى حـلّ الظلام، فشـعرت ببرد شـديد أرغمني علـى الاحتمـاء بالفراش، حيـث كان الدفء يضيء لي مسـارج الخيال: رأيـت الصيصان بألوانهـا الزاهيـة تتراكض خلـف أمها، يملأ صوتها العشـوائي خلايا المـكان، بينما أرش لها الحبوب فتحيط بي من كل جانب تلتقط طعامها.

في الصبـح الباكر اسـتيقظت بعد ليل متخـم بالانتظار. نهضت من فراشـي على عجل، فتحت الباب، كان الجو شديد البرودة. اتجهت صـوب قن الدجاجة، هنـاك كان كل شيء يبدو هادئا وعاديّا، حتى إنني لم أسمع أي صوت يأتي من الداخل. رفعت غطاء القن، وكان مـا لـم أتوقعـه، الدجاجة تسـتلقي متيبسـة إلى جانب البيـض وقد ماتت بعد أن تسـرب إليهـا المطر من السـقف، بينما أمست البيضات مثل كتل الثلج بفعل البرد القارص.

---

* قاص أردني

قصتان

فاطمة يوسف عبد الرحيم*

لعبتي الصغيرة

بصعوبة بالغة وجد العمل الذي يؤمن له ولوالدته ثمن الطعام وأجر الغرفة الزهيد، بائع في محل للألبسة النسائية، كانت مهمته ترتيب الملابس وفق نظام معيّن حدده له صاحب المتجر بالإضافة إلى تغيير ملابس اللعب (الموديلات) أمّا البيع فكان عمل البائعات، لما لهن من قدرة على جدال الزبونات وإقناعهن بالشراء.

الجميع يغادر المتجر في التاسعة إلا هو، لأن عمله يبدأ في التاسعة، وهو تهيئة ملابس اللعب لليوم التالي، وهذا العمل يوقعه في مزالق مع صاحب المتجر، لأنه يصعب عليه تنسيق الملابس حسب تعليمات صاحب المتجر، لإلباس كل لعبة حسب لون بشرتها وما يناسبها من ألوان، كان تفكيره الساذج يوقعه في مشكلات لا حصر لها مع صاحب المتجر لأنه لا يلتزم بالإرشادات كافة.

وحتى يخرج من هذه المزالق منّ عليه ذكاؤه المحدود بفكرة أن يعطي كل لعبة اسما، لعله يستطيع أن يحدد ملابس كل لعبة حسب اسمها، راقت الفكرة لصاحب المتجر، وأصبح عالم المتجر عالمه الحميم، اللعبة التي لا تعجبه يختار لها اسما تقليديا، والتي تعجبه يجتهد كثيرا في البحث عن اسم يناسبها.

أرهقته تلك اللعبة التي أطلق عليها اسم نادين، ذات الشعر الرمادي، والعيون الأخاذة التي تجمع في عينيها كل ألوان الطيف، شفتاها نديتان كحبة كرز، كانت سببا في رقيّ ذوقه لأنه يختار لها أجمل الملابس، ما يجعل الزبونات تتهافت على شراء زيّ نادين، وجعل صاحب المتجر يثق بقدرته على انتقاء الألوان المناسبة للموديلات. كم كان مستمتعا حين يأخذ بيدها يرقصها على

صــوت أغنية «يراقصني ويســمعني أجمل الكلمات». ويبدأ بلملمــة دموعها الواهمة حين تردد الأغنية والمطر الأســود في عينيي، فــي الموســم الشــتوي يكثــر لهــا الملابس الصوفية الأنيقة خوفا عليها من البرد .

أخــذت أمّه تشــدد عليه فــي المحافظة على قروشــه رغبة في تزويجــه، فيرد فرحا: كما تشــائين، - وسأبحث لك عن عروس- لا تتعبي يا أمي وجدت العــروس. فرحت: أهي جميلــة؟ - مــن أجمل ما يكــون- وأخلاقها: عالية جــدا لا تغضب، ليس لهــا طلبات، لا يسمع لها صوت، فم جميل بلا لسان! -أهي خرســاء؟ لا، لا أحد سمعها غيري، لا تهمس إلا لي- هل تعرف بفقرك؟ حدثتها لم تحتج، الأم باندهاش: هذا شيء رائع، - وافقت على مشــاركتنا المعيشــة في غرفــة واحدة، لم ترفض. أين تقيم؟ فــي المتجر. ماذا! -أقصد لا أعلم أين تســكن. سأعطيك زوادة الغداء ساندويشات لك ولها- كما تشائين -أتحب الزيت والزعتر؟ تأكل كل ما آكله.

أخبــره صاحــب المتجــر بــأن عــروض هذا الصيف ســتكون فســاتين الزفاف، طار من الفرح انحنى عليها هامسا عندما ألبسك الثوب الأبيض سيكون زفافنا، خالها تبتسم، ألبسها وكانت في قمة جمالها وغنى لها: «دوري في اللون الأبيض يا زهرة نيسان». بعد أيام كلفــه صاحب المتجر أن يلبس الموديلات ملابــس النــوم لأن الصيــف موســم تجهيز العرائــس وخاصة ملابــس النــوم التي تبرز المفاتن وتظهر مواطن الفتنة والإغراء، رفض أن يخلــع على نادين موديل البيبي دول، لكن صاحــب المتجــر أرغمه على ذلــك، أذعن له، وصــار يخفيها خلفه ويكشــر في وجه من يتأملها وهي في هذا الرداء الفاضح، لم يدر مــا يفعل، وفي النهاية لجــأ إلي حل إذ تناول قدوما وكسّرها، وفي الصباح وجده صاحب المتجر ينتحب قربها، طمأنه أنه لن يخصم مــن راتبه الشــهري ثمنــا لهــا. بكتها أمه وتمنت لو تعرّفت عليها قبل أن تموت وتنتهي معها أحلام ابنها.

(حبيتك تا نسيت النوم)

قابلت صديقتها بعد انقطاع، ســألت عن أخبارهــا، أبلغتها الخبر الأهــم في حياة كل فتاة، تزوجــت، كيف، بأســلوب عصري مميز، من خلال (النــت)، زواج موفق جدا، متكامل العناصر، أرجوك أرشديني، ببساطة أدخلي علــى برنامــج المحادثــة (الشــات) واختــاري نصيبك، البداية تكون من خلال دردشــة ثم صداقة ثم خاتم الزواج، الأمر بهذه الســهولة، اســتعرضت باب التعارف، من ستختار الأمر محير، ســتقول (حكرة بقرة قلي عمي عدي العشرة واحد اثنين ....) لا الأفضل أن أغمض عيني ثم أحرك الفأرة أربع أو خمس حركات ثم أعمل (كليك).

كان الاختيــار زاهر من المنطقــة الغربية، البداية تبشر بالخير، هذا يعني أنه ثري، وبدأت المحادثة كل يوم، وكانت فترة الحوار الالكتروني ما بــين ســاعة أو ســاعتين، اكتشــفت أن الاهتمامات مشــتركة، هذا ما يبشر بالخير، لكــن يجب أن يكون هناك اختلاف في الميول ليكون سببا لبعض المشاكل حتى نتشاجر ثم نتصالح أي بهارات الحياة الزوجية.

سألها عن شكلها، وصفت له نفسها بالتفصيل، طلبت منه أن يصف لها شكله قال لها رجل بكل ما تعني الكلمة من دلالات، لم تسأل عن التفاصيل، وأخبرها عن حياته، تبين لها أنه صاحب شركة، كادت تطير من الفرح، ملت المستوى المادي المتدني، سرّحت بخيالها إذ رأت نفسها أميرة تعيش في قصر السلطان، وأنه سيأتي راكبا حصانا أبيض، ويسلمها الصولجان. وتجاوزا مرحلة الصداقة إلى الحب، وبدأ ت تكتب السطور الأخيرة للحكاية.

عباراته لطيفة مهذبة منتقاة تلامس المشاعر، اخترق أحلامها بكل قوة، مرة طلبت منه أن يستخدم آلة تصوير، رفض بشدة، لأن الصورة قد تكون مشوهة وتترك أثرا سيئا في النفس، معللا أنه يفضل اللقاء الطبيعي وجها لوجه، ويكون هو الفيصل، واقترب موعد اللقاء الحقيقي، كادت تحلق من الفرح عاليا لتلمس النجوم، اتفقا على لون ونمط الملابس، سألته عن لون سيارته، إنه اللون الرمادي، اقترح أن يبدأ لقاؤنا بكلمة سر حتى تكون الأمور أكثر دقة، هل نحن عصابة، لا، موافقة ماذا تقترح، أن أمر بقربك أدندن بأغنية لفيروز «حبيتك تا نسيت النوم يا خوفي تنساني ، حابسني بريت النوم وتاركني سهرانه» فرحت لكلمة السر ولأنها تحب فيروز بكل آهاتها وشجوها، ولأن الأغنية تعبر عما تشعر به .

حددا المكان والزمان بكل دقة، وحانت اللحظة الحاسمة، أمر السائق أن يقف بعيدا عن المكان المحدد، وأن ينتظره في مكان بعيد ،قد يكون من حسن حظه أو سوء حظه ، أن يكون الجو ماطرا، طلب من السائق أن يناوله المظلة، فتحها فوق رأسه حتى لا تعبث الريح بشعره فتشوه شكله، ولا يتلف المطر التسريحة التي أصر على المزين أن تكون التسريحة موحية باستطالة قامته، وصل المكان شاهدها من بعيد، مديدة القامة، سرّ في داخله، جميلة الإطلالة، تبحث بنظراتها عنه على مستوى عال من النظر، حدثت نفسها لقد شغلني البحث عن السيارة ونسيت اسم الأغنية يا لغبائي!.

مرّ من أمامها رجل (قزم) يحمل مظلة يدندن بأغنية فيروز «حبيتك تا نسيت النوم يا خوفي تنساني، حابسني بريت النوم وتاركني سهرانه» نظرت إلى أسفل حيث مصدر الصوت، نظرت إليه وضحكت ساخرة من هذا القزم قائلة تغني مثل البني آدمين، «روح العب يا شاطر». ثم تابعت بحثها عن الرجل الذي رسمت له صورة الأمير الوسيم الذي يمتطي سيارة رمادية، وتابع هو سيره نحو سيارته، وكأن مُدى العالم مزقت قلبه، وانهارت الدموع التي اخترقت كل ذرة من كيانه: قطرات المطر تزداد هطولا والريح تدوي وتداخلت الأصوات: (طرخ، نت، ووو، طرخ نت، ووو، نت).

---

* قاصة أردنية

الصخرة الكبيرة

عثمان مشاورة*

الأطفال الأربعة العائدون من المدرسة، يضعون أيديهم في جيوبهم؛ وحقائبهم تترنح على ظهورهم، كالمستقبل المترنح في خيالاتهم، رامي الطفل الذي يكبرهم بقليل أتاهم من الخلف بسرعة، أخذ مكانه في وسطهم بعد أن رفس أحدهم برجله بقوة مما جعله يتدحرج على الأرض وقد أدميت يداه واتسخت ثيابه بالتراب وقفزت حقيبته عن ظهره وغمرت رأسه. المجموعة برمتها لم تكترث له، اجتازته وأكملت طريقها، كانوا جميعاً يخافون رامي، وبما أنه اليوم لم يختر أحدهم فمن الحكمة لديهم أن يجعلوا اليوم يمر بسلام حتى مع تخليهم عن صديقهم بكل بساطة، نهض وأخذ يفرك عينيه المحمرتين وهو يبكي واختلطت دموعه بغبار انتثر على وجهه، كره أصدقاءه كلهم عندما نظر إليهم يمشون أمامه غير مبالين، أحس بمدى الجبن الذي يتحلون به، انتظره الطفل الكبير رامي وما إن وصل إليه بخطوات بطيئة وعيون رقراقة وخائفة، حتى سحبه من حقيبته وأخذ يدور به كالمروحة حتى انقطعت يد الحقيبة وقذف به إلى الشارع الإسفلتي، تهشمت ركبتاه وسال الدم بغزارة بعد أن تمزق بنطاله وارتطم أنفه بالإسفلت، علا بكاؤه أكثر وصرخ بأعلى صوته فاتحا فمه بشدة، ركض رامي ضاحكا، واجتاز مجموعة الأطفال بسرعة بعد أن ضرب رأس أحدهم بيده بقوة، ونظر إليهم وهو يقفز كالحصان ويمد لسانه لهم دون أن ينبسوا ببنت شفه ومضى في طريقه كالمجنون.

أمجد الذي وصل للتو هو صديق للطفل الصغير، ساعده على مسح دمه، نفض الغبار عن ثيابه، سقاه ماء، ومشيا جنبا إلى جنب طوال الطريق.

إن أبـي يقـدر عليه، قـال الصغير بصوته المتحشـرج لصديقـه أمجـد وهو يرشـف دموعـه، وأضـاف: إن أبـي أقوى منـه ويقدر أن... (ثم جاءت نظـرة منه إلى صخرة بقرب الشـارع).. أن يرفـع هذه الصخـرة الكبيرة، قالهـا وهـو يشـير بيديـه للأعلـى وكان متحمسـا حيـث لاحـت صـورة النصر في خياله للحظة.

في المسـاء كان الطفل الصغير ممسـكا بيد والده ويلوح بالأخرى وخطواته الصغيرة تجعله متأخرا قليلا عن سير والده مما يجعله يحس بأبيه يجره إلى الأمام.

- أنـت قوي يا أبي؟ سـؤال بنبـرة صغيرة باغت الصمت المخيم.

ابتسـم الأب الهزيـل الـذي تبـدو عليـه علامات الحزن والكآبة، وأومأ برأسـه، نعـم دون أن يتكلم.

- أقوى من رامي؟

- من رامي؟!

أرجأ الطفل الجواب وتدارك:

- هـل تقدر أن ترفع صخـرة كبيرة؟ هكـذا يعني وفتح ذراعيه على وسعهما.

نظر الأب نظرة حانية إلى طفله الصغير وهز رأسه بهدوء، قال نعم، إن لم تكن كبيرة جدا!

إن لـم تكـن كبيـرة جدا؟! هـذه الجملة أقلقت الصغيـر وجعلته يعيد حسـاباته، فكـر بـأن رامي الذي كان يضربه أثناء العودة من المدرسة يسـتطيع فعل ذلك، ثم تخيل أن أباه ورامي يقفان عند الصخرة، ثم يعجز أبوه عـن رفعهـا، ويأتي دور رامـي فيرفعها مبتسـما ابتسامته الكريهة. قطب الطفل جبينه وأبطأ خطواته.

لاحـظ الأب امتعـاض صغيـره مـن هذا الجـواب، ثم قـال: أقصد يعنـي أن الصخرة الكبيرة جدا لا يقدر أحد على رفعها لا أنا ولا حتى «جرانديزر» صديقـك، أراح هذا الجواب الطفل، ثم تشجع وركض بسرعة أمام أبيه وأمال رأسه الى الخلف ونظر الى عينيه: هل تقدر أن تضرب رامي بقوة؟

تسـاءل الأب بتعجـب ومـن يكـون رامي هذا؟

- صمت الطفـل قليلا، أطرق وأنزل عينيه إلى الأرض وتمتم بكلمات ملونة بالخجل وقد احمر وجهه.

- لم أسـمع شـيئا، أعد علي ما قلت، من يكون رامي هذا؟

وقبل أن يشرع الطفل بالكلام، ظهر فجأة رجل في الطريق، ارتبك الأب، وقف، ودون تحية سـأله الرجل: هل جلبت شيئا ؟ نفض الأب رأسـه بالنفي، وسـرعان ما لكمـه الرجل لكمـة قوية على ذقنـه، ثم لكمـة أخرى هوت به أرضا، وانقـض الرجل عليه يضربه، وقد جثـا على صدره، ووجـه ضربة بقبضة يده إلـى صدغه الأيمـن والأب يـواري وجهه

بيديه، وأخرى إلى جبهته دقها دقا كأنما يدق مسمارا، مما جعل رأسه يرتطم بالأرض بقوة وسال الدم من فمه، ونهض الرجل ووطئ بقدمه بقوة في بطنه ثم ركل جنبه ركلات سريعة جعلت الأب يتقلص كالجنين في بطن أمه، لهث الرجل بقوة وأصلح وضع ثيابه ثم بصق عليه ومضى وهو يصرخ: غدا سآتي لآخذ الدين، إن كنت تريد واحدة أخرى كهذه فلا تحضر نقودا.

آلام الجسد كانت هينة بالنسبة للأب، وكان الأمر سيكون يسيرا بعض الشيء لو لم يكن برفقة الطفل، نهض ونفض ثيابه ومسح الدم بكم قميصه والتفت حوله، ليجد الطفل يختبئ خلف شجرة وقد اهتزت صورة الأب بقوة في عينيه، أتى إلى أبيه يبكي بشدة والتساؤلات تملأ عينيه أكثر من الدموع، بقي الأب صامتا طول الطريق ممسكا بيد صغيره الذي غاب في عالم آخر.

- لم تخبرني من هو رامي؟ سأله الأب محاولا تغيير الأجواء.

الصغير شارد الذهن مطأطئ رأسه يحدق بالطريق إذ لم يعد يرى صخورا كبيرة، نفضه الأب من يده وشده قليلا وأعاد عليه السؤال مبتسما من هو رامي الذي سألتني عنه؟

بقي الطفل صامتا يتفحص الأرض، ترهلت كتفاه، وارتفع صدره برتابة كأنما يكتم صرخة كبيرة تحاول الخروج.

وفي آخر الطريق كان رامي يمشي باتجاههم بمشيته المتقافزة ويبتسم ابتسامته الكريهة، رآه الصغير وأفلت يده من أبيه وركض بسرعة ويداه الصغيرتان تجدفان في الهواء بقوة، يعصر عيونه بشدة، والدموع الحارة تتراشق من خديه. صرخ أبوه من خلفه .. لكنه ظلَّ يركض.

---

* طالب جامعي

نصّ وتعليق

رأي نقدي في قصة «الصخرة الكبيرة» لعثمان مشاورة

نزيه أبو نضال *

بالتسلل إلى عالم حكاية الأطفال ثم يكبر ويكبر ليتحول من مجرد هزيمة طفل بائس ومجموعة أولاد خائفين وأب مسكون بالرعب إلى رمز هائل لمشهد انكسار أمة بكاملها، كي يحكي عن سقوط زمن الرجولة وغياب فعل الجماعة وعن سطوة القبضايات والمافيات والأعداء فتمتلئ صدورنا بالمهانة وبالكثير من الإحساس بالمذلة، ولكن ليس كي نخاف ونستسلم، بل كي نشحن بالانفعال النبيل وبالقوة الهائلة القادرة على رفع الصخرة العاتية وقذفها بوجه مرحلة الخسة والمهانة وغطرسة الأقوياء والأنذال، وهنا بالضبط تصير الكتابة فعل تحريض وتغيير.

عثمان مشاورة لا يزال على مقاعد الدراسة الجامعية ولكنه قاص يبشر بالكثير، ويسهم بإعادة الاعتبار لزمن السرد الجميل، ويؤشر لإمكانات كتابة متقدمة للكبار والصغار على السواء، ونرجو أن يواصل هذا السهل الممتنع الذي يكتبه بكفاءة عالية، ودون أن يلتفت لعالم الموضات الفنية ولوثات الصرعات الأدبية التي ضيعت العديد من المبدعين.

---

* ناقد أردني

فلسفة مجلة أقلام جديدة

* أدبية ثقافية شهرية، تعنى بالإبداع الشبابي والأدب الجديد.
* نافذة للمبدعين من شباب الأمة يطلون منها على العالم.
* منبر حر يعبر فيه عن الأفكار والتطلعات والمشاعر والرؤى.
* حاضنة للإبداع الأدبي شعراً، وقصة، ومسرحية، ومقالة....

ثلاث قصص قصيرة جداً من العالم

ترجمة: رامز الحداد *

كان بإمكان "أي كان" فعل ذلك

فرناندو اينثاي ـ الأوروغواي

هذه قصة أربع شخصيات تدعى: «الجميع»، و«أحدهم»، و« أياً كان»، «ولا أحد»، يعملون في نظام وزاري بيروقراطي. كان هناك مهمة إدارية عاجلة تنتظر الإنجاز. «الجميع» كان متأكداً بأن «أحدهم» سيقوم بها، «أيّ كان» كان باستطاعته القيام بذلك إلا أن «لا أحد» قام بها. اغتاظ «أحدهم» لأن العمل كان من واجب «الجميع»، إلا أن «لا أحد» أخذ بالحسبان بأن « أياً كان» لن يقوم به. وبالنهاية احتج «الجميع» على «أحدهم» عندما «لا أحد» قام بإنجاز ما كان باستطاعة «أي كان» إنجازه.

قصة الشاب الغيور

هنري بييرى كامي ـ فرنسا

كان هنالك شاب يغار بجنون على فتاة لعوب.

قال لها يوماً:

- عيناك تنظران إلى جميع الناس.

ولذلك اقتلع لها عينيها.

من ثمّ قال لها:

- بيديك تستطيعين القيام بإشارات تستدرجين الناس بها.

فقطع لها يديها.

«لا يزال باستطاعتها التحدث مع الآخرين»، فكّر.

فاجتث لسانها.

وبعد ذلك ولكي يحول دون ابتسامها لمعجبين محتملين، اقتلع جميع أسنانها.

وفي نهاية الأمر قطع قدميها. «بهذه الحالة» قال «سوف يطمئن قلبي».

حينها فقط استطاع ترك الفتاة التي يحبّها دون حراسة. «إنها قبيحة» أخذ يفكر «لكن على الأقل ستكون لي حتى الممات».

في أحد الأيام عاد إلى البيت ولم يجدها: كانت قد اختفت، فقد أغواها أحد عارضي الظواهر الغريبة.

حكاية صغيرة

فرانز كافكا _ التشيك

يا إلهي!، قال الفأر، إن العالم يصغر يوماً بعد يوم، رغم أن العالم كان في البداية واسعاً لدرجة تخيفه، أركض وأركض يسعدني بالفعل رؤية هذه الجدران، يمنةً ويسرةً، في المدى. لكنها تضيق بسرعة كبيرة بحيث أجد نفسي في الربع الأخير من العالم، وهنالك في الزاوية يوجد الفخ الذي ينبغي أن أدوس عليه...يا إلهي.

- كل ما يلزمك فعله هو أن تغير مسار طريقك، قال له القط .... من ثمّ التهمه.

---

* مترجم أردني

الشحّرور

ترجمة: نسرين أبو زيد*
للكاتب الإيرلندي: ليام اوفلاهرتي

كان يقف على حافّة سور حجري يشدو بأعلى صوته، محاولا إحباط زقزقات عصافير الدوري المرتفعة، التي احتلّت أغصان شجرة اللّبلاب التي نمت وامتدت على المرتفع الصغير المقابل. بينما الهضبة أحاطت به بما يكسوها من حشيش متسلّق جاعلة المنطقة وارفة الاخضرار بجانبه.

وأخذ يعلو بمنقاره عاليا وحنجرته تصدح بأعذب الألحان؛ فقد عمّ صوته الوادي بأكمله. بينما زقزقة عصافير الدوري استمرت تزعج أذنيه آتية من خلفه، على أنه لم يشعر سوى بالحبور بملؤه أكثر فأكثر، ممّا جعله يتأرجح على قدميه كراقص محترف وينفض ريش جناحيه بزهوّ وكبرياء .

الزهو جعله يغلق عينيه ويرتفع بمنقاره أكثر فأكثر نحو الأعلى ليشدو بصوت أعلى حتى خيّل إليه أن حنجرته ذابت.

غربت الشّمس وبدأ الشّفق أسفل الوادي ينحسر شيئا فشيئا، وحان وقت النوم.

ولكنه استمرّ في الشّدو، مأخوذا بجمال صوته وعلوّه، لدرجة أنّه لم يلحظ الصّمت المفاجئ الذي غمر المكان حوله. فقد توقّفت العصافير عن الزقزقة فجأة. إلاّ «أبو الحنّ» الذي كان يثب من صخرة إلى أخرى.

كانت أغصان شجرة اللبلاب منذ لحظات تتخللها العصافير صادحة، ولكن أوراقها سكنت الآن، فلا يعلو سوى صوت الشّحرور يغنّي من أعلى السّور. وقد اقتحم الوادي قط أسود كبير واقترب من السّور دون أدنى ضجّة، مخترقا الحشائش الكثيفة بجسده، وتوقّف بصمت أسفل شجرة اللّبلاب. توقّفت العصافير عن الشّدو، فتسمرّ القط مكانه ورفع قدمه الأماميّة إلى أعلى، وبدأت عيناه تبرقان في اللّيل الحالك. وبدأ يشتمّ العشب وقد لوى ذنبه جانبا واضطجع على معدته قليلا، ثمّ استجمع قوّته وأخذ يعدو نحو السور بخفّة، حتى وصل أسفله وشاهد الشّحرور يعلوه. فومضت عيناه بالظّفر،

وأخذ يتسلّق السّور ببراثنه حجراً وراء حجر دون صوت يذكر حتى وصل. وبدأ يعدو ببطء شديد... أصبح الآن قريبا من الشّحرور مسافة عشرة أقدام فقط. فاستراح قليلا وأخذ يلعق كفّيه ببطء مفكراً... ثمّ بحركة فجائيّة اختصر المسافة إلى خمسة أقدام وعيناه تبرقان. عندئذ أطلق «أبو الحنّ» صوت تحذير، فجمد القط مكانه محاذراً.

عندما انتبه الشحرور للسكون الذي حلّ حوله امتلأ أكثر بالغبطة والحبور. فقد اعتقد أنّه تغلّب بشدوه المرتفع على عصافير الدّوري، وأنّهم يستمعون بخضوع لشدوه العذب الجميل. ورغم أنه سمع «أبو الحن» يطلق صوت تحذير إلاّ أنه لم يكترث، معتقدا أنها حشرجة غضب وغيرة ليس إلا. فنفض نفسه، وجعل ريشه يتأرجح مع الضّوء الخافت القادم من بطن الوادي، ورفع رأسه عاليا حتى كاد يلامس ظهره، وأطلق تغريدة من نوع مختلف. بينما القط يشتمّ الطحلب الذي نما على السّور بجانبه.

ساد الصّمت عدة لحظات، بينما حلّق «أبو الحنّ» بعيداً نحو الظّلمة اللامتناهية، والشّحرور يستمع لصدى صوته القادم العائد إليه. وتقدّم القط زاحفاً، تقدّم مطّرداً عندما عاد الشّحرور للغناء، بينما الألحان القادمة من حنجرة الشّحرور تصدح أعلى وأعلى يملؤها الحبور، والقط يقترب شيئاً فشيئاً.

أخذ يتفحّص جسم الشّحرور المكتنز بعينيه، ورفع قدمه عاليا ومطّ جسده متهيئاً للقفز والانقضاض. في هذه الأثناء هبّت ريح قويّة جعلت جسد الشّحرور يقشعر.

كانت أولى نسمات اللّيل الباردة ممّا جعله يشعر بالبرد وبالغباء من بقائه وحيدا في الظّلام دون اكتراث، بينما بقيّة العصافير خلدت للنوم. وفجأة انتبه إلى أنّ الصّمت يعود إلى الظّلام الدامس وليس لعذوبة صوته. فملأه الاشمئزاز وأطلق ثلاثة أصوات حادّة متبجحّة، وطار من على السور في اللّحظة نفسها التّي انقضّ فيها القط عليه محاولاً افتراسه. وحطّت مخالب يد القط على ذنب العصفور لتسقط ثلاث ريشات منه. غمر الخوف قلبه، بينما كان القط قابعا وراءه أسفل السور، حيث كان الشحرور طريح الأرض بعد هروبه الفاشل، ورأسه يهتز يمينا وشمالا. كان مضطجعا على حوضه بينما يطلق حشرجات فظة... وعادت عصافير الدوري تزقزق بين الأجمة.

* مترجمة أردنية

رقة الوصف والجمال في قصيدة الهايكو اليابانية

ندى أحمد ضمرة*

سأتحدث باختصار عن فن حسي إبداعي موسيقي ينبع من قلب شاعر مرهف الحس مثقف يداعب الطبيعة بكلماته الخاصة. فهو رقة الوصف وبلورة الزمان والمكان وهو موضوع المفاجأة وعنصر اللون والحركة وكركبة الطبيعة وتهذيبها. إنه شعر الهايكو الياباني، أدب ياباني كلاسيكي شعبي وهو الأكثر صلابة من الأشكال الشعرية الأخرى، والهايكو قصيدة وليست رذاذاً نثرياً. يحاول شاعر الهايكو من خلال ألفاظ بسيطة التعبير عن مشاعر جياشة أو أحاسيس عميقة. والهايكو هي قصيدة غنائية قصيرة موحية ومميزة وجوهر المخيلة الصافية والتكثيف. فعنوان الهوكو يكون هو الصورة عن القصيدة، وقد تتضمن الصورة موضوعاً أو أكثر.

إن الهايكو هو شكل من أشكال التعبير الشعري، يستخدم بشكل أولي أسماء ومحاور حولها زمر من الكلمات في مجموع كلي مقداره سبعة عشر مقطعاً يدرك الشاعر به تجربته الشعرية.

وقصيدة الهايكو هي جوهرة الشعر الياباني الذي ترجع أقدم نماذجه المجموعة في كتاب إلى القرن الثامن الميلادي.

وعلى صعيد آخر لم يعرف الغرب قصيدة الهايكو مترجمة إلى الإنجليزية إلا على يد ب.ه. تشامبرلين وعمله الرائد «شعر الحكمة الياباني» ثم مع ظهور مختارات وليم بورتر المبكرة التي حملت عنوان: «عام من شعر الحكمة الياباني» وجاء أول تقديم للهايكو إلى القارىء الفرنسي على يد بول ـ لويس كوتشاوا، خلال الحرب اليابانية ـ الروسية. ويشير استخدام مصطلح شعر الحكمة، إلى سوء فهم الغرب لهذا النوع من الشعر.

ففـي هذا النـوع من الشـعر تسـتخدم كلمات عادية وبسـيطة إذا الشعر هو تجريد الكلمة من معناها الأصلي وزج معاني أخرى فيها. فكما قال معظم النقاد في اليابان إن الكلمـات تصبح تجربة مرتبة بقوة شـعرية منبعها الأساسي المدرك الحسي.

التجربة تعطي للشاعر فرصة الخوض في الإيحاءات الشعرية والإيقاعات حيث يتغلغل المقطع عميقاً ويندمج في مستويات الفكر والشعور الواعية، مستعرضاً كل كلمة في موقعها المناسب، غارقاً فـي الجديد والقديم والبداية والنهاية.

مثال:

على غصنٍ ذابل
يجثم غرابٌ وحيد
مساء الخريف الآن.

وفـي المقطع نفسـه قد يطـرأ تغيير وقد يصبح:

على غصنٍ ذابل
يجثم سنونو وحيد
مساء الخريف الآن

فاسـتبدال كلمـة سـنونو بغـراب يفقد القصيدة أهميتها فالقيمة الجمالية لطائر السنونو لا تقل عن القيمة الجمالية للغراب، لكن في القصيدة الأولى يوجد شـيئان هما الحجم واللون اللذان يجسدان حدس الشاعر وهـذا يعتمد علـى أدق التفاصيـل فيها لأن الشكل هو نوع من النظم لا يمكن أن يضاف إليه أو يحذف منه شـيء. أو تستبدل كلمة بأخرى بعد انتهاء القصيدة.

أما في التحوير الثاني فكلمة السنونو تدل على بياض ذلك الطيـر في جو معتم وضوءٍ مبعثر وهذا الشـيء يحظى بالتوكيد، وهذاً غير واضح بالإدراك الحسـي. وأيضاً حجمه لا يتناسـب مع حجم الغصن الذي يقف عليه مما يسبب للقصيدة التهشم.

وتتميـز قصيـدة الهايكـو بقصرها حيث تتكون قصيدة الهايكو الواحدة من سـبعة عشر مقطعا وتقسم هذه المقاطع إلى ثلاثة أجزاء مكونة من خمسـة مقاطع فسـبعة فخمسة.

وهنـاك أيضـا ثلاثـة عناصـر ضرورية في الهايكو هي: الزمان والمكان والموضوع، فهذه العناصر يجب أن تبقى مترابطة، «لا يجب أن تؤلف كما نفعل بالجمع بين شـيئين أو ثلاثة معـاً وفي هذه الحالة قد نحصل على هايكو تشـبه قطعة ذهب مطروق» هـذا على حد تعبير باشو.

وتعّدالهايكـو مـن أقصـر القصائد على الإطـلاق إذ يمكـن أن تقـرأ فـي مـدة نَفَسٍ واحـد، أما بالنسـبة للعناصر التـي تتمتّع بهـا قصيدة الهايكو وهـي الثلاثة العناصر الأساسـية فتتجلّى في الأسئلة «أين، ماذا، متـى» وتكـون معـا التجربـة، وتظهر هذه العناصر الثلاثة كل واحدة منها في سـطر من سطور الهايكو الثلاثة.

مثال:

على غصن ذابل
يجثم غراب وحيد

مساء الخريف الآن.

سنوضح بهذا المثال أين تختبىء العناصر الثلاثة:

أين؟ على غصن ذابل

ماذا؟ يجثم غراب وحيد

متى؟ مساء الخريف الآن

وبالتالي نجد أن قصيدة الهايكو الشفافة الرقيقة التي يسميها بعضهم بالوجبة السريعة لسرعة تناولها وسلاسة كلماتها هي مرآة الطبيعة التي يرى من خلالها الشاعر كل الفصول فيشتم رائحة الربيع ويسمع صوت المطر ويشعر بحر الصيف ويرى خرخشة الخريف.

---

* شاعرة أردنية

متابعات

جهاد أبو حشيش *

سأغني

نسرين أبو خاص

في هذا النص لغة فائضة ، شروحات تسرق الكثير من الوهج وإمكانية تكثيف الدلالة، وكأن الكاتبة ورغم استخدامها للفعل المضارع سأغني / تفتق/ تريق...إلخ تظل حبيسة ماضٍ يجرها إلى مجرد الرغبة ويصادر منها الفعل.

فهي تقول: «وتفتق وردةً تداعبها الشمس على عجلٍ ومن نداها تشرب . فلي هذا الصباح راحة الشمس من بعد طول سبات» تلجأ إلى الشرح/ الوصف متناسية أنها بهذا قتلت الحالة بإغراقها وركضها خلف الظلال الخارجية للصورة .ثم تستخدم أدوات الربط (و) تفتق (و) من نداها تشرب فتحد بهذه الواوات من انسيابية الصورة وانطلاقها المفترض.

وإن كان يجوز لي بوصفي موسيقى قارئاً فإنني أفضل أن اقرأ النص القراءة الآتية:

لي نهم العصافير

تفتق وردة

ولي شهيقٌ

لم يتجول بعد في رئة الآخرين.

فنهم العصافير يقول مفردة الصباح دون

حاجة للتأكيد. وفعل التفتق فعل ذو دلالة رئيسة فينبغي ألاّ نغرقها بتفاصيل لا تعدو كونها إضافات عابرة. ثم إن فرادة الشهيق تتأتى من كونه لي وحدي ، ولم يتجول في رئة الآخرين أما ما عداه ففائض بلا دلالة.

ثم تنتقل في مقطع آخر إلى منافسة الحسون لحنه «الموتور» وتشارك الدموع ملحها «كي أشجي الغيوم العابرات إلى فضائي» وكأن هذه الغيوم لا تؤسس أو لا تستقر في الذاكرة كوجود ، أو أنها تمارس اتجاه الغيم فعلاً سادياً ما من خلال منافستها للحن الحسون الموتور وملح الدموع. وهي ستغني لمجرد ممارسة الفعل في مناقضة لرؤيتها الأولى أشجاء الغيم فحالة التيه التي تحياها هي التي تدفعها لهذا التيه في تركيب المعنى الدلالي في النص لكن الرغبة تنتصر عليها. الرغبة بخروج طفل جميلٍ معافى.... من باطن الذكريات .

رأس الدائرة

إدريس علوش

منذ المفردة الأولى في النص «خلفي» نتحسس حالة التمرد لدى الشاعر في محاولة حقيقية لتجاوز النمطية التقليدية. في بناء النص. ليخلق علائق جديدة تفضي احتمالات دلالية متعددة تملكك الدهشة «خلفي...إلى مدار هنا يضعنا الشاعر داخل حالة / رؤيا تمتلك شرعيتها في التفلت من فعل القمع الواقع «يجبرني» ويدلل لنا استخدامه للفعل المضارع على عدم سلبيته ففعل الإجبار يحتاج بالمقابل وجود المقاومة.

وحتى إنه يوصلنا بحميمية عالية إلى أن العلاقة بينه وبين تلك السبورة السوداء التي تحمل طيش الأبجدية كعلاقته مع قهوة الصباح في إشارة لعلاقة حميمية أيضاً لكنها مفعمة بالصراع .

ويظل الداخل الطفولي مشدوداً إلى باحة المدرسة لأن إحساسه بالآخر يتأتى من خلال رغبته الطفولية.

وإذ ينطلق برؤاه اللاملتزمة بنمطية السائد فتصير «رأس الدائرة» مرتع سلة السناجب بينما يحتضر الوقت لينبئ عن طيش الأقدام الراغبة في تشكيل عوالمها الخاصة لإعادة تشكيل انطلاقها حيث تتلاشى ذبذبات التفاصيل في

إعادة الخلق لما هو ممكن كرؤى طفولية قادمة .

يلزم تعلم التفكير بألم

موريس بلانشو

لبنى المارنوزي

استوقفتني كثيرا ترجمة (لبنى المارنوزي) لموريس بلانشو. وأظننا قد لا نختلف إن قلنا إن الترجمة إعادة خلق للنص. تنبع قوة هذه الترجمة في أنك لن تكتشف مفردة زائدة في النص. وأنت تقرأ الأبعاد الدلالية. يدلّ

على قــدرة المترجمة على إعــادة خلق النص ضمن تجليــات بناهــا اللّغوية القــادرة على إبهارك بالنص.

من نار

خالدة خليل

يبــدأ النص عنــد خالدة خليــل إذا حاولنا أن نقــرأه بعيــداً عــن الرغبة فــي التمهيد والتفاصيل الزائدة الخارجة عن جســد النص بقولهــا: يــا شــرنقة الحمى... ســأبوح الآن ، ونراهــا رغم جموح الرغبة فــي امتلاك رؤاها تتأرجــح بين ماضٍ يــكاد يغادرها «حســائي بخارُ قوافــيّ» وحاضرٌ يفرد جســده لتكونه «فراشــي قصيدةُ نثر تولد من برق» ، ونلحظ أن الــواو في (و) «تتلقفها» والواو في (و) «من بين أصابعي تهطل» سرقا قوة انثيال الدلالة هاهنا .

لكــن هذا لا يمنع الأنا مــن حالاتها المتمردة ليلد الحلــم من تحت ترس المســتحيل ورغم انفضــاض الآخر عــن معابد القلــب إلا أنها تمضي لتقــول في محاولة لخلق ما هو خاص بالأنــا فــي نهاية النــص « أنا امــرأة من نار» ونلاحظ أن تجليات الحالة تمحورت حول الرغبة في فعل التمرد والولوج في المغايرة من خلال تقطيــع الجملــة لتأكيــد الدلالة ممــا يظهر بوضوح شدة الوجع والاندغام فيه .

أزمة منتصف العمر

سيد صابر

منــذ بداية النــص وكغيره مــن النصوص تفاجئنا تلــك اللغة الزائــدة التي لا تضيف معنى إلى جسد النص، (عبده..عبده..عبده) ويكرر، أفاق عبده من نومه على صوت زوجته _عبــده_ صباح الخير، ثم يعيــد أفاق عبده.. هــذه الإضافات غير المســوّغة ســنواجهها أكثــر من مــرة خــلال قراءتنا للنــص، يرتكز النــص علــى فكــرة عــدم تقبــل «عبــده» لفاعلية الزمن ومحاولة تمثله للبقاء شــاباً، وعبــده رغــم تشــبثه بالبقاء شــاباً فهو لا يلامس عمق وجوده بل يظل ملازماً لســطح الأشــياء وعلاقته الانفعالية بهــا من خلال ســرعة تنقله من مفردة إلى أخرى، «قفز من السرير، شــهيق/زفير، صفير، انتعل حفايته، استحم...غنى.. قبل زوجته، خرج من الباب». بعــد هــذه الملامســة الســطحية للأفعال ســنجد أن الكاتــب طرح هاجس الشــباب، وأخذ يوظف باقي النص ليؤكد شــبابه إلى أن فوجئ بكلمة «عمو» حينها شعر ولعدم تقبلــه لفاعليــة الزمــن، أن هنــاك مؤامرة؛ فهو ليــس (عمو) وفي النهاية تكون الكارثة عندما تنطقها زوجته فيكون أن تقتاده إلى مستشــفى الأمراض العقليــة وهو يهتف (يسقط عمو).

مــن الواضــح لقــارئ النــص أن الجملــة الســردية لدى القــاص مازالت فــي بدايتها، فالدلالات السطحية المباشرة والدوران أكثر

من مرة حول المعنى نفسه والمباشرة التي تصادر حق القارئ في خلق أسئلته أو البحث عن أجوبة خاصة به، كل هذا يدفعنا للقول إن القاص وإن امتلك الخامة «الفكرة» إلا أنه مازال بحاجة لامتلاك قدرة سردية ذات بناء أكثر قوة على صعيد الجملة السردية وعمق دلالاتها.

عُدْ يا أبي ... خابَتْ حِساباتي !!

هلال الفارع

عُد يا أبي ... خابت حساباتي، القارئ لهذا النص قد يكتشف أن هذه الجملة كانت كافية لتلخص النص ونكوصه الماضوي حيث الأنا الملغاة غير القادرة على التجاوز «ماذا سأفعل يا أبي» «هربت» فصول الأرض من قدمي، فالفعل هنا للفصول لا للأنا «وباعتني» السماء الفعل هنا أيضاً للسماء لا للأنا.

«وطفقت» أضعف من لهاثي فوق خوفي، الفعل هنا للأنا لكنه جاء أيضاً متناغماً مع الدلالة السالبة للفعل في الجملتين السابقتين، ويلاحظ القارئ أن الأفعال الواردة «هربت»..«باعتني»..«طفقت» هي أفعال ماضية تفصح عن علائق دلالية جامدة داخل النص، ثم يعود للسؤال ليقرر بعدها أنه الوحيد الذي يغني للصباح ولا يملك غير ناي واحد، ... وليس هناك من يصد الريح عنه فالأب رحل ويداه لا تسعفانه. لماذا؟ لأنهم أخذوا جميع الشمس اخذوا القرنفل والطحين ونرى هنا أن الفعل الماضي هو الذي سيطر على المشهد، حيث ظلت الأنا في دور النادب والمعاتب والمتسائل. إذ تتنامى سلبية الأنا إلى حالة من الإقرار بالكائن«والأنين غدا غذائي».

لقد خابت حسابات الأنا حتى الانحناء ونرى حتى المقطع الأخير أن الأفعال الماضية«خابت، خبت، ضيعت، بقيت، غرقت، خابت»، قد سيطرت على جسد النص حيث فرضت الرؤية الماضوية غير القادرة على التجاوز على صعيد الفكرة تواشجاً ما بين المبنى والمعنى أدى إلى خلق علائق تقليدية الدلالة وغير قادرة على نقض السائد الماضوي أو تفكيكه سواء على صعيد الشكل أو الرؤيا.

سجن

دينا دراوشة

صور أقرب إلى الصور الشعرية تفردها الكاتبة في بداية النص لتعمق الدلالة بالصراع الحاصل ما بينها وبين الآخر غير المنفصل عن كينونتها «الشمس تخترق الجدران» فعل قسري لولادة رؤيا ولرغبة جامحة بعدم السكون والانقضاض على تلك الرائحة/ رائحة الغرفة التي تشكل معادلاً موضوعياً لوجود الآخر- رائحة الغرفة المتعفنة من آثار البن والسجائر التي تقابلها رائحة الشك والاتهامات التي تُفقدها الإحساس بوجودها كأنثى وهي تتذمر «لا يوجد عندنا بنات يخرجن من البيت» في هذا النص بشرى بولادة قاصة متميزة لكن

الزيادات اللغوية الشرحية والدوران حول المعنى يظل موجوداً خاصةً أن النص يكاد ينتهي كبنية متكاملة عند المقطع الذي يقول.... «ماذا سيقول الناس؟» ثم يصبح ما بعده تكراراً لذات الفكرة، وتضعف البنى اللغوية إلى أن نصل إلى .. «تنهض من فراشها وتغلق الباب خلف والدتها، وتغلق النوافذ وتعود للنوم» إنه شعور الأنثى في شرق مغلق بلا جدوى الفعل.

المال المرُّ!!

رمزي الغزوي

بلغة قوية واستخدام ذكي للجملة الأولى من قبل القاص يضطرك للانشداد لنصه «لم أندم على سرقته» ويظل القاص ممسكاً بقدرته على جذب القارئ من خلال قدرته السردية المتميزة التي تتضح من خلال البناء اللُّغوي القادر على جعلنا نعايش الحدث، السرقة، ولوج الأعمى للمطعم، جلوسه إلى طاولة السارق،تناوله الطعام، صراخه، «حرامي،حرامي،» ونظل في حيرتنا وتتناثر الأسئلة تماماً كما هو حال صاحب المطعم، والرجل الذي كان يجاور الراوي، إلى أن يقرر الراوي إحالتنا إلى زمن سابق، إذ حاول الإحسان إلى هذا الأعمى ولكنه استفزه من خلال أخذ الأعمى للدينار الوحيد الذي يملكه الرجل فيقرر تلقينه درساً، فيتبعه ويسرق ماله الذي يخزنه وهو يحاول في الفقرة الأخيرة ومن خلال تفسير الأعمى لمعرفته لماله استخدام المرارة، الشعور بها كدلالة على كون هذه الفئة فئة سارقة لما لا حق لها به.

---

* شاعر أردني

مقالات

«رواية ليست للنشر» لجلال الخوالدة

تَبْني عالمها السردي كلوحة خلابة للقرى النائمة عند أطراف التلال

راجعها: محمد جميل خضر*

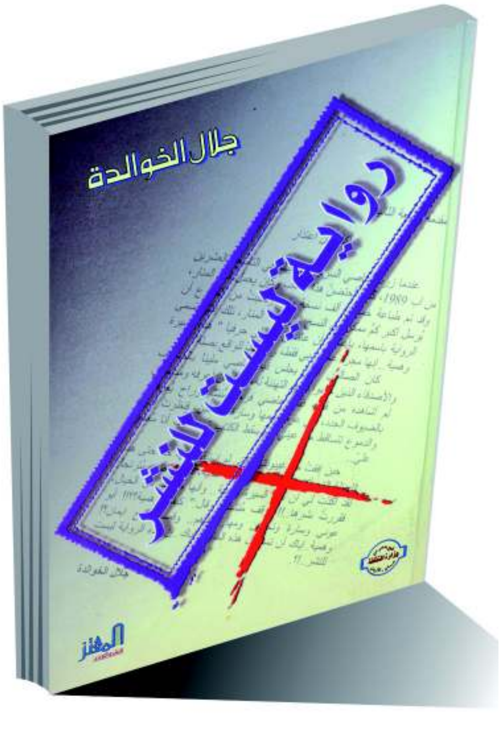

في «رواية ليست للنشر»، يؤسس الروائي والإعلامي جلال الخوالدة عالمه الحكائي والسردي عبر تداخل شائك ومتعدد الوجوه والمستويات بين الواقع والخيال.

ويفتح في الرواية الصادرة في عمّان عام ٢٠٠٤ عن دار المعتز للنشر والتوزيع بدعم من وزارة الثقافة، ومنذ صفحاتها الأولى، باب أسئلة واسع، مفتوح على الاحتمالات جميعها، بدءا من السؤال البسيط عن هوية القاتل في رواية ترتدي لبوسا بوليسيا مخادعا لتقول أشياء في الفكر والسياسة الداخلية والخارجية وأحوال الناس (خصوصا في مناطق الجنوب) وفي الثقافة الشعبية والجادة والفن وعلم النفس وتفرعات أخرى كثيرة، وليس انتهاء بسؤال الوجود نفسه وجدواه ومداه وجنة أحلامه وجحيم واقعه.

تقوم الرواية الواقعة في ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير على بعدين رئيسيين: البعد الإيهامي (الافتراضي) المبني على لعبة أن الرواية هي بالأساس مخطوطة وجدها الكاتب (الراوي الأول) جلال الخوالدة في بيت (الراوي الثاني) عاصي السرجي، الشخصية الرئيسية في الرواية التي تدور أحداثها في مدينة «المنار» الساحلية الجنوبية والمدن والقرى والبلدات المتاخمة والمحاذية لها والقريبة منها: (بتّوم، الشُعب، الرمّام، حوصة، فلّينة، السنسل وعاقر وغيرها) وهي بمجموعها تتعالق بشكل أو بآخر بنهر الملفوف الذي يندب أيام عز مضت ويحاول جاهدا استعادة مجد كان.

والمنارة، بناء على أحداث الرواية وتداعيات السرد والتوصيف فيها، مدينة حجرية ساحلية قديمة، بنيت قبل ٢٠٠٠عام وهي معبر بحري مهم أغرى المحتلين على بسط نفوذهم عليها، فتعاقبت على منفذها البري الوحيد حضارات وخنق مداخلها مستعمرون من أصول وأمم كثيرة، حتى تراكمت على بواباتها الصخور الترابية وحاصرها البحر بأمواجه واستباحها «وأصبحت خردة الأيام وملاذ أشباحها ومهجعهم» (ص ١٠٥).

وتشكل الحبكة البوليسية في الرواية بعدا ثانيا، يسعى الراوي (الأول) من خلاله إلى الغوص في شخصيات تجمعها أقدارها في بقعة جغرافية واحدة، فيعمل على معاينة تلك الشخصيات وكشف أعماقها ورسم حدود علاقتها بالزمان والمكان والآخرين من حولها.

وبعيدا عن رغبة الراوي (الأول) في توريط المتلقي بقصة قتل شاكر عبد الصمد سيد الميناء وزعيم الملاحة والشحن، فإن الخط الدرامي البوليسي في الرواية هو خط إسناد، وجد الخوالدة فيه متسعا عموديا وأفقيا للإبحار في عوالم الشخصيات (أبو عوني، عمران، ماجد، وصفي وبشير شقيقيّ القتيل شاكر، ابنته إيمان الحب الأول والأكثر براءة في سياق حياة عاصي السرجي، عدنان القزم الشيوعي، تحسين وزوجته مها شقيقة السرجي، هلا الشوبي وشخصيات أخرى كثيرة)، وفي رصد تحولاتها وبناء نسيج روائي متنام حول شكل علاقتها بالمكان، وقدرتها على التأقلم مع تطور الأحداث وتغير القيم وتسارع الإيقاع وتغير شروط اللعبة.

ولأن شاكر بحسب ما تقترحه الرواية لم يكن شخصا عاديا، فهو «الذي أبدى نبوغا متفوقا في العمل، كانت المهنة في دمه كأنه الوحيد الذي ورثها عن جذوره لأمه، ولأنه عمل بحارا في إحدى السفن الغربية لسنتين وتاجرا للأسماك، فقد ظهر قاسيا وصارما» (ص ١٠٦)، فإن موته مقتولا شكّل حجر رحى دارت معظم أحداث الرواية حوله، ولم ينافسه على احتلال المركز سوى عاصي نفسه بما فرضته عليه معطيات الحال من التورط المباشر بالأحداث بما يملكه من نبوغ ورغبة شرهة للمعرفة وكشف كنه الأشياء من حوله وسبر غور عالم متلاطم الأمواج.

وفي مسعى حثيث من الراوي (الأول) بعدم التورط بخلق شخصيات نمطية، فإن معظم شخصيات العمل الذي أطل على عالم المهربين وعاين هوس الأطفال بخوض غمار التجارب، ورسم لوحة خلابة للقرى النائمة عند أطراف التلال، حملت في تفاصيلها طرافة طازجة، وكشفت في لحظة فاصلة

عن مغايرة لما هو متوقع منها، وعكست سعة خيال الكاتب، وأشارت بلغة رشيقة إلى المخزون الخصب الذي نهل منه الخوالدة وأسس سلاسله مستحضرا صوره وشيّد أبنيته السردية مطمئنا إلى عدم نضوب هذا المخزون وتوالده المتناسل على الدوام.

وعلاوة على قيم ومعان وجماليات كثيرة تزخر بها الرواية بأحداثها المتصاعدة مثل جبال الجنوب، فإن صفحاتها تموج باحتفاء بالكتابة نفسها «هل يمكن أن أكون كاتبا في يوم من الأيام؟! إنه الحلم الذي يتعاكس مع الوجدان والذاكرة، ويسيطر عليهما. الحلم الكبير المتشعب الغريب العنيف المتعثر المتجدد الساحر المثير الخطير الساخط الناعم الكاذب الهائم الضائع بين ثنايا النفس المتشوقة للخلق والتشكيل» (ص ١١١)، وتشف عن أفق واسع الطيف، يفسح مجالا واسعا لأنواع أدبية وإبداعية عديدة، فيحضر الشعر «وأنا الذي اغتسلت بماء الفنادق وحولي يضطجع الزهو» (ص ٣٥)، والموروث الشعبي من أمثال «واختلط عليّ المثل الشعبي تطلع وتفضح ولا تظل وتسطح» (ص ٣٨) ونكت (نكتة الحاسة السادسة وغيرها) وألعاب (الكومستير والسبع حجار والتركس)، ويبرز التشكيل وشقوق الضوء كتقنيات أساسية في العمل الشيّق والمشتمل بمهارة فذة على عنصر التشويق دون مبالغة، ويطلع التحليل والغمز والإشارات التي يستفيد فيها الخوالدة من عمله لأعوام في مهنة المتاعب (الصحافة) (صفحة ٣٧ نموذجا).

ويسهب الراوي في الوصف خالقا، في سبيل تجنب التكرار والملل، صورا شعرية ترافق معظم فصول الرواية.

ويمتزج في العمل السرد مع اللغة التأملية النابشة في فحوى اللحظة «فأحسست أنه يستحيل أن تمد يدك خارج الحلم لتمس الواقع، نحن أعجز من أن نلمس الحقيقة في لحظة تجلي الحلم» (ص ٦٩).

ويشع في أحداث الرواية وخطابها الدلالي، إيمان مشفوع بالأسئلة حول سلطة القدر، وإقرار متمرد بضعف الإنسان، وعدم امتلاكه ناصية اليقين، واستحالة وصوله إلى القوة المطلقة.

يرصد الخوالدة في «رواية ليست للنشر» عالما متلاطماً من الأحداث، ويشد القارئ إلى لعبة الإقبال والإحجام في عمل يعلن منذ بدايته وعنوانه أنه ليس للتواصل ولا للتبادل الثقافي، في مفارقة يتبين في نهايات الرواية إنها مجرد حيلة خبيثة، كما صاحب الحاسة السادسة المتضمنة نكتته في الصفحات الأخيرة. لعبة ربما أراد من ورائها أن يخلع القارئ قبعته احتراما لنجاح الكاتب بتوريطه فيها.

---

* قاص وصحفي أردني

كتاب إشكالي يُعيد النظر في المقولات التاريخية الراسخة:

هل غزا العربُ الأَندلسَ عسكرياً؟

جعفر العقيلي *

هذا الكتاب (العرب لم يغزوا الأندلس) ملخّص لكتاب ضخم صدر في برشلونة في العام ١٩٧٤ وضعه المؤرّخ الإسباني «أغناسيو أولاغي» بعنوان «الثورة الإسلامية في الغرب». وهو كتاب يتّضح لمن يتصفّحه أنه على درجة عالية من المنهجية العلمية والتوثيق والمعرفية (يكفي أن نشير هنا إلى أن المراجع وملحقاتها في الكتاب الأصلي بالإسبانية بلغت مائة وخمس صفحات من القطع المتوسط مطبوعة بحرف صغير جداً) ومُسَلَّحٌ بببليوغرافية ونصوص نقدية واسعة، ومتنوّعة، جلّها من النصوص القديمة التي أعاد المؤرخ تحقيقها والتدقيق فيها قبل مناقشتها، ثم الاستناد إليها، أو عدم الثقة بمحمولها التاريخي، كما يشير إلى ذلك المترجمُ إسماعيل الأمين، الذي عمد إلى تبسيط كتاب «أولاغي» وتهذيبه ليصبح في متناول القرّاء العرب غير المتخصصين، بالإضافة إلى استخدامه معلومات خلص من خلالها إلى نتائج مختلفة عن تلك التي خلص إليها «أولاغي»، خصوصاً ما قام به من تعديلات على استنتاجات «أولاغي» التي اعتمدت على مفاهيم الاستشراق في تفسيرها لما جرى في تلك الحقبة من التاريخ الإسلامي.

الفكرة الرئيسة التي يطرحها «أولاغي» في كتابه تتلخّص في أن العرب والمسلمين لم يفتحوا إسبانيا عسكرياً، وأن التحوّل إلى الإسلام في الأندلس لم يتمّ إلا عبر حركة الأفكار وتصارُعها، ثم هيمنة (الفكرة / القوة) التي شكّلت عصب الحضارة العربية-الإسلامية في ثلاثة أرباع عالم تلك الأيام. وهو يشير في هذا السياق إلى أن المسيحية في إيبيريا كانت، في نهاية القرن السابع الهجري، في حالة انحلال كامل، خصوصاً

بعد قرنٍ سيطرت فيه (الآريوسية) كديانة رسميةٍ في هذه الدولة المزدهرة، ثم تابع (الآريوسيّون) تطوّرهم في سياق منطقي واضح، وأصبحوا مسلمين.

ويتابع المؤرخ أنّ المناطق الإيبيرية تمكّنت -بفضل الوضع المميّز الذي تمتّعت به- بعد تجنّب الإعصار الذي دمّر الإمبراطورية الرومانية، من المحافظة على تماسكها، وتماسك البنية الثقافية التي انعدمت في بقية مناطق الغرب. وهذا الامتياز أحدَثَ تقارباً بين إيبيريا وبين الشرق الأدنى، في الوقت الذي هيّأ استمرارُ التقليد الوثني لدى الطبقات العليا، كما لدى الشعب، والارتقاءُ نحو اعتناق اليهودية، خصوصاً لدى المثقّفين النشطين المناخَ للمعتقدات التوحيدية الأحاديّة، على حساب الأرثوذكسية الثالوثية. وعندما وطّد الملك (إيريك) سلطته قرّر إلغاء وحدته مع بيزنطة، وأصبحت الآيروسية الدين الرسمي في إيبيريا وفرنسا الجنوبية التي كانت تحت سيطرته، وانتشرت هذه الديانة بسهولة وبسرعة نظراً لحالة الرأي العام الملائمة، وهيمنت مدّة قرن ونصف القرن تقريباً، يعزّزها دعم العرش ومقدّرات الحكم.

ويرى «أولاغي» أن التعصّب وسوء الفهم المتعاظِمَين مع الزمن، والناجِمَين أحياناً من انعدام الوعي، وأحياناً من الإرادة الواعية، أخْفَيَا تحت جملةٍ من الخرافات والمبالغات قسماً هامّاً من تاريخ انتشار الإسلام على طول السواحل الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط. وانسجاماً مع مفهوم بدائي للتاريخ فُسِّرَت التحوّلات الروحيةً والاجتماعية والثقافية العملاقة في القرنين السابع والثامن في عالَمي الشرق، والبحر المتوسط على أنها نتيجة لغزواتٍ عسكرية فَرَضت اللغةَ والحضارة والدّين بالسيف.

ويضيف في هذا الصدد أن الإكراه لا يفسّر كلّ شيء، فالإنسانية تتطوّر ولكن ببطء، ولا تسود المفاهيم الجديدة حتّى ولو كانت أرقى، إلاّ بعد أجيال عدّة، مدلّلاً على ذلك مواصلة الحضارة العربية-الإسلامية انتشارها في آسيا الوسطى والجنوبية الشرقية، رغم تضاؤل الهيمنة العربية على تلك المناطق، وانتشار الإسلام بصورة مسالِمَة، في أندونيسيا والفلبين، وجزر المحيط الهادئ، رغم التفوّق العسكري البحري البرتغالي الهولندي.

ويُشكّك «أولاغي» في الأرقام المتعلّقة بدخول العرب إلى الأندلس التي أوردتها المراجع والدراسات التاريخية. إذْ تُشير كتب التاريخ إلى أنه في ثلاث سنوات ونصف السنة (٧١١ - ٧١٤ هجري) استطاع المسلمون الذين جاءوا من أعماق الصحراء الغربية (سبعة آلاف رجل بقيادة طارق بن زياد، وثمانية عشر ألف رجل بقيادة موسى بن نصير بعد ذلك) فرض لُغتهم وقوانينهم ودينهم على خمسة عشر مليون نسمة من الآريسيين والمسيحيين يعيشون على مساحة ستمائة كيلو متر مربع من شبه جزيرة إيبيريا.

وفي تتبع هذه الأرقام يقول المؤرّخ إنه إذا تجاوزنا مسألة أعداد الفاتحين القليلة (على اعتبار أن الحملات تقوم بأعداد صغيرة من الجنود) فكيف نفسّر أن تتمّ عملية تحويل شعوب إيبيريا المحصّنة جغرافياً وطبيعياً

بهذه السرعة، خصوصاً أن الإيبيريين والغزاة لم يكونوا من أصل مشترك، فبحسب الروايات العربية (والحديث لـ «أولاغي») وجدت القياداتُ العربية نفسها أقلّيةً مقارنة بالمغامرين من شاميين وأقباط وبربر، وحتى بيزنطيين، فكيف أسلم الإيبيريّون على أيدي فاتحين في أكثريّتهم غير مسلمين ولا يتكلمون العربية؟!

ويحاول «أولاغي» تفنيدَ ما يسمّيه (أسطورة عبور جبل طارق) بتأكيده أن الجَمَلَ لا يَصلُح لاجتياز المضيق البحري، وأن البربر لم يكن لديهم سفنٌ بحرية، وبالتالي فقد استخدم العرب الزوارق، ما يعني أنّ طارق بن زياد احتاج إلى خمس وثلاثين رحلة في مدّةٍ تتجاوز ثلاثة أشهر، كي ينقل جنوده إلى البرّ الآخر وفق ما يمكن استنتاجه منطقياً (ويذكر هنا إحدى الروايات التي تقول إن المدعو أوليان أعار العرب أربعة زوارق، لا يزيد الحدّ الأقصى لحمولة الزورق الواحد على خمسين رجلاً، إضافة إلى البحّارة)، ويلفت «أولاغي» إلى أن المنطق يفرض استبعاد استخدام العرب للخيول في عبور الماء لخاصّية الجُفُول لديها.

ثم يمضي في «إعادة» قراءته للتاريخ، مؤكّداً أن عبد الرحمن الداخل لم يكن من ذريّة خلفاء دمشق، ولكنه نموذج جرماني أشقر اللون فاقِعُهُ، وأنّ ذرّيته حافظت على هذه الخصائص خلال قرنين من الزمن؛ بشرة فاتحة اللون، وعيون زرقاء، وشعر شديد الشقرة. وقد لفت استمرارُ هذه الخصائص أنظارَ المؤرّخين الأندلسيين المسلمين. أمّا نسبة عبد الرحمن إلى (بني أُمَيّة) فيرى (أولاغي) أن الهدف منه تدعيمُ هيبته ونفوذه، ومداهنة ذرّيته التي درج الناس على مدحها ومصانعتها، انسجاماً مع ما كان منتشراً آنذاك من إصباغ أوصاف وإطلاق ألقاب على القادة والمسؤولين، وإن كانوا لا يستحقّونها، أو تُخالِفُ ما هو فيهم أصلاً.

ويتابع المؤرخ أن السياق التاريخي يؤكد أن عبد الرحمن لم يكن أمويّاً ولا سامياً ولا بربرياً، ولكنه كان يحمل نزعة آيروسية أكثر منها إسلامية (كان محاطاً بمسيحيين لا يقلون عنه ريبة في أمور الدين، وكان يشرب الخمر ولا يستتر، كما يذكر «أولاغي»)، بينما يُعد ابنه عبد الرحمن الثاني أميراً إيبيرياً مسلماً، فكان أوّل حاكم إيبيري يشجّع آداب العربية وعلومها، وقرّب الفقهاء المسلمين من بلاطه.

ويستمر المؤرخ في «تشكيكه» بما تناقلته كتب التاريخ العربية واللاتينية على حد سواء، ومراجعته لها، ليخلص إلى أن انتشار الإسلام كان نتيجة الفكرة / القوة، وليس نتيجةً للقدرة على الهجوم العسكري المسلّح، وأنه يجب أن يتقلّص الجانب العسكري من الأحداث إلى دور ثانوي، فلم يكن هناك عدوانٌ عسكري، بل أزمةٌ ثورية، ودعوةٌ حملها الفقهاء وليس الجنرالات. ويضيف أن الحضارة العربية الإسلامية انتشرت عن طريق التبشير التجاري والعلاقات بين المثقفين، ونشر الكتب ونشاط الفقهاء، وقوّة المفاهيم الجديدة ونفوذها، لكنّه يستدرك أن جميع هذه العناصر، لم تنجز أهدافها كاملة، رغم تعاضُدها، إلاّ بعد مرور زمن طويل.

أمّا النصوص المتعلّقة بفتح إيبيريا، فإنها -كما يرى «أولاغي»- لا تثير سوى

الاشــتباه والشـــك، لأنّها في مطلق الأحوال (وخصوصــاً العربيــة منها) لا تفسّــر كيف تمّ تحقيــق هــذه العملية، وقــد تعارضت مع أبســط قواعــد الجغرافيــا، ونقلــت الأحداث بـ«ســذاجة مذهلة». فبالإضافة إلى التحيّز العقائدي لدى المســلمين والمســيحيين على حدّ سواء، اســتند المؤرخون من الطرفين إلى بضعة نصوص لم يُعاصِر أيٌّ منها أصلاً فترة تحوّل الإيبيريين إلى الإســلام. أما الكنيســة الإســبانية فقد حكمَ رؤيتَها للتاريخ هاجسُ إيجــاد موضوعة تناســب موقفها، خصوصاً في القرن السادس عشر الميلادي. فإذا قيل إن إيبيريا تمّ غزوها من قبل قوّة عسكرية هائلة، ســتتفادى الكنيســة الخجل من أنها ظلّت خاضعة لهذا الغزو مدّة ثمانية قرون.

---

* كاتب وصحافي أردني

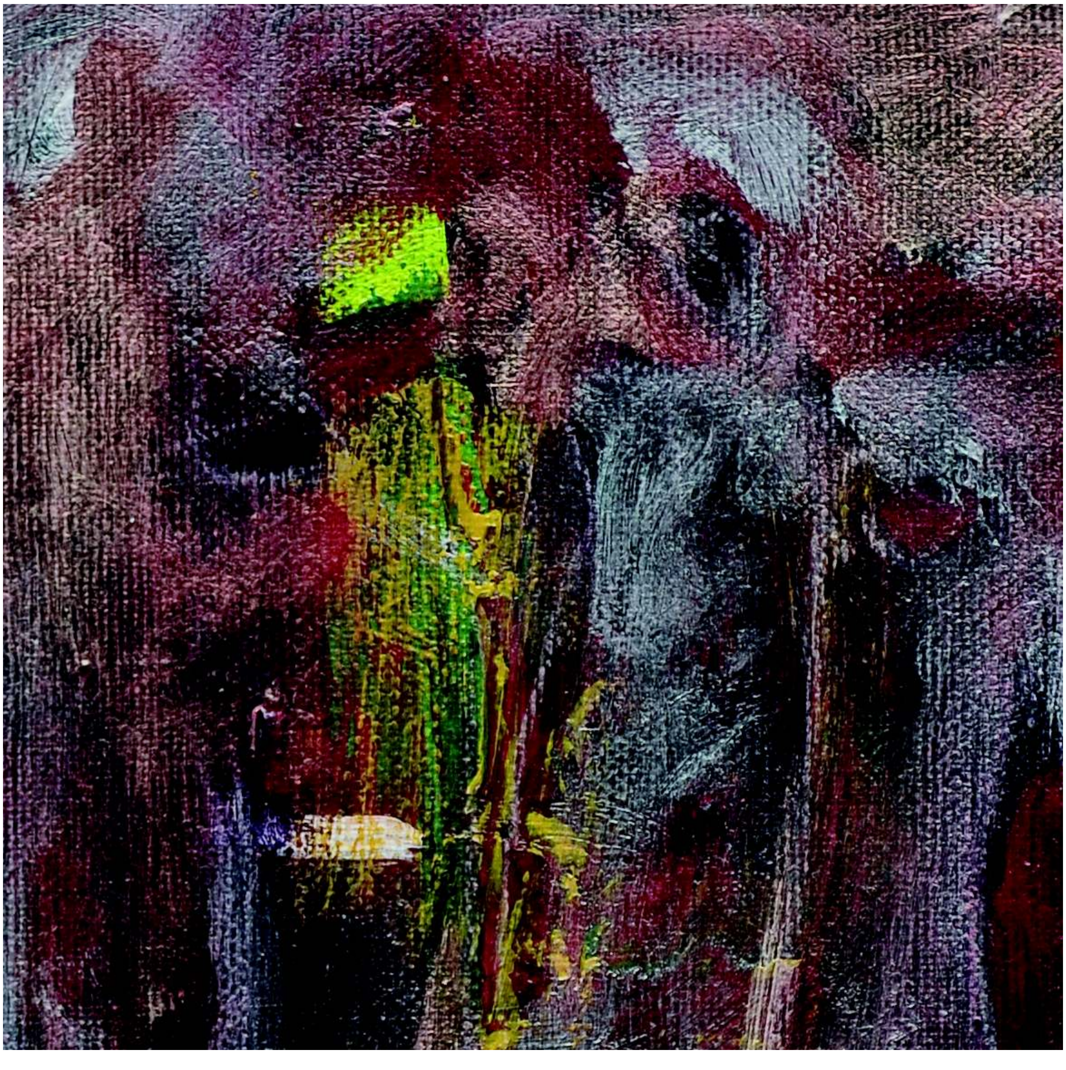

مقالات

النقد في الساحة العربية..

القطيعة مع التراث كالقطيعة مع الغرب.. كلتاهما خطأ

هيا صالح*

لا ينفصل واقع النقد في الساحة الأردنية عن واقع النقد في الوطن العربي من حيث طبيعة التعاطي مع مناهج الغرب النقدية عموماً، وإن كان ثمة فروقات فقليلة ويمكن رصدها بين التجربتين المغاربية والمشرقية العربيتين على هذا الصعيد. إذ اختطّ المشتغلون بالنقد عربياً في غالبيتهم طريقَ المناهج التي أنتجها الغرب، وحفظَ بعضهم ما جاءت به هذه المناهج عن ظهر قلب، ليستعينَ بها في كتاباته التنظيرية والتطبيقية، بدل تأمُّلها والتفكُّر فيها بتروٍّ لأخذ ما هو مناسب منها أو إعادة تكييفها بما يتلاءم مع النص الأدبي العربي ومتطلّباته، بل يمكن القول دون تعسّف إن المشهد النقدي عربياً يذهب باتجاه حالة من التحنيط والمومياثية، وكأن خصومةً لا فكاكَ منها تتكرّس بينه وبين الخلق والابتكار اللذين يُعدّان شرطاً أساسياً للإبداع، إذ النقدُ إبداعٌ أيضاً.

هذه الحال التي يمكن رصدها بوضوح في كثير من الكتب الصادرة هنا وهناك موشّحة باسم «نقد»، وفي «الدراسات» التي تنبري لنشرها مجلاتٌ محكمة وغير محكمة، وفي المقالات ذات الصبغة الانطباعية التي تستشري في الملاحق الثقافية للصحف.. تؤشر إلى حقيقة يصرّ بعضهم على دفن رأسه بغيةَ عدم مواجهتها، تتمثل في عدم قدرة المدونة النقدية، (أو الموصوفة بـ«النقدية») العربية المعاصرة على تأسيسَ نظرية خاصة بها، ولا هي تجسّر الفجوة مع تراثٍ نقديّ مشهود له بالغنى والثراء، أو تذهب باتجاهه بجرأةٍ أو تتشاكل معه

وتستلهمه في تحديث أساليبها ومناهجها لمجاراة المتحصّل من إبداع أدبي حقق إضافة نوعية إلى المشهد الثقافيّ العربي برمّته.

ومن «النَّقَدة» العرب، هناك من ينبري إلى تطبيق منهج غربي بعينه -وقسرياً- على النص الإبداعي المنتَج في سياقه العربي، ويستعرض هذا «الناقد» «عضلاته» في استخدام تعابير ومصطلحات غربية أثناء تناوله نصاً أدبياً ذا هوية «شرقية»، غافلاً عن أن هذه التعابير والمصطلحات هي ابنة بيئتها أولاً، وأنها تمخضت بتأثير من النصّ المنتَج في بلادها في الأساس. وفي هذا ما فيه من استقدام لمقولات جاهزة يجري لَيّ عنق النص و«تقليمه» بما يتوافق مع إطارها، ناهيك عن التغافل الذي يجري حول حقيقة أن النص الإبداعي سابق للنقد وعليه، وأن النقد تابعٌ -وهذا ليس حكماً قيمياً، وإنما توصيف موضوعي- يجترح مساره وفقاً لمتطلّبات النص الذي يتناوله وعوالمه الداخلية، ذلك النص المتمرد الذي يتطلع دائماً إلى فضاء من الحرية والتجديد والتغيير، وينفر من القوالب النقدية الجاهزة والمعدّة سلفاً.

ومن الباعث على الضيق عند تمعّن ما يُنتَج في إطار المدونة النقدية على الساحة العربية، ذلك الانتحال الذي يجري دون أن يوقفه أحد، حين يتهافت كل من أنهى متطلبات الماجستير أو الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها على لقب «ناقد»، وكأن دراسة الأدب أو دراسة ظواهره بالمطلق، أو تتبّع تاريخه تعني «النقد». وليس القصد هنا التقليل من شأن التخصصات سالفة الذكر، ولكن المراد وضع الأمور في نصابها، ودون ذلك سنبقى نعاني حالة «العَرَج» و«التعمية» التي تقود إلى اختلاط في الأوراق، وارتباكٍ نصنعه بأيدينا وبقرارنا، وهو ما يُنتج أحياناً نصاً نقدياً ضعيفاً ومهزوزاً أقل ما يقال عنه إنه ليس جديراً بأن يكون نصاً على نص كما يريد له صاحبه. وأكثر ما يُقال عنه إنه تدليس واستغفال لا يليقان بمن يدّعي أنه «يشرّح» النصوص ليكتنه مجاهيلها، ويستلهم الغنى في مضامينها وفنياتها. وما يزيد طينَ المشهد النقدي في بلادنا بلّةً ذلك الاتجاه غير المحمود نحو «الطلاسم» عبر التنطّع لاستخدام رموز وإشارات ورسومات تجعل القارئ في حيص بيص، وكأنه في معركةٍ لفكّ أحجية عصيّة على الفهم، لا قارئَ نصٍّ يُفترَض به -هذا النص- أن يجاري النص الأدبي الذي يقوم عليه أو يتفوق عليه.

وإذا كنّا نقرّ بأن ثمةَ جذوراً أو علائمَ لممارسة نقدية ناضجة ومدركة عرفها أجدادُنا في عصور ازدهار الأدب، فلماذا لا يجري التأسيس لما يمكن أن يُدعى «نظرية نقدية عربية معاصرة» استلهاماً من التراث وبالإفادة منه وبالركون إليه، ثم تأتي لاحقاً مرحلة التفاعل مع مناهج النقد الغربية والأخذ منها ومنحها أيضاً ما لدينا دون إخلال بالجوهر، وبذلك يصبح بالإمكان أن يتقدمَ النقد في العالم العربي، بل ويصبح نقداً عربياً له ملامحه وضوابطه واستقلاليته التي تمنع من تبعيته.

كفى تقطيعاً لأوصال النظرية النقدية الغربية وإلصاق أجزاء منها بما يُكتب حول النصوص الأدبية العربية، ولنوقف التداول بمقولة «كل إفرنجي إبرنجي» دون أن يعني هذا قطيعة مع الغرب، فكلٌّ منهما: القطع مع الغرب أو التراث، خطأ علينا أن نتجنب

ارتكابه، فلِمَ لا تكــون نوافذنا مفتوحة على كل الاتجاهات؟ وهذه دعوةٌ هنا لِما كان تأسسَ قبل ســنوات قليلة باســم «جمعية النقاد الأردنيين» لتؤدي دوراً في هذا السياق ولتسهم في وضع هــذه القضية على طاولة النقاش، ولتمارس نقــداً ذاتياً قبل ذلــك كله، فإقامة محاضرة أو نــدوة حول كتــاب أو تجربة أدبية يمكــن أن يقوم بها منتــدى ثقافي صغير، أما البحث في شؤون النقد على الساحة العربية وغربلة المشــهد من زوانٍ لا ينكر أحدٌ وجوده، فمهمّة تتطلب جهــداً من ذوي الاختصاص، فقد اختلــط الحابل بالنابــل وأصبح كل من يورد رأيــاً انطباعياً عابراً، ناقداً بقدرة قادر، بل يصبح تمامــاً كذلك الجنرال الــذي لم يخض حرباً حقيقية واحدة،ولــم يقدم منجزاً لافتاً يمكــث في الأرض، ورغم ذلك فإن صدره مليء بالنياشين.

---

* كاتبة أردنية

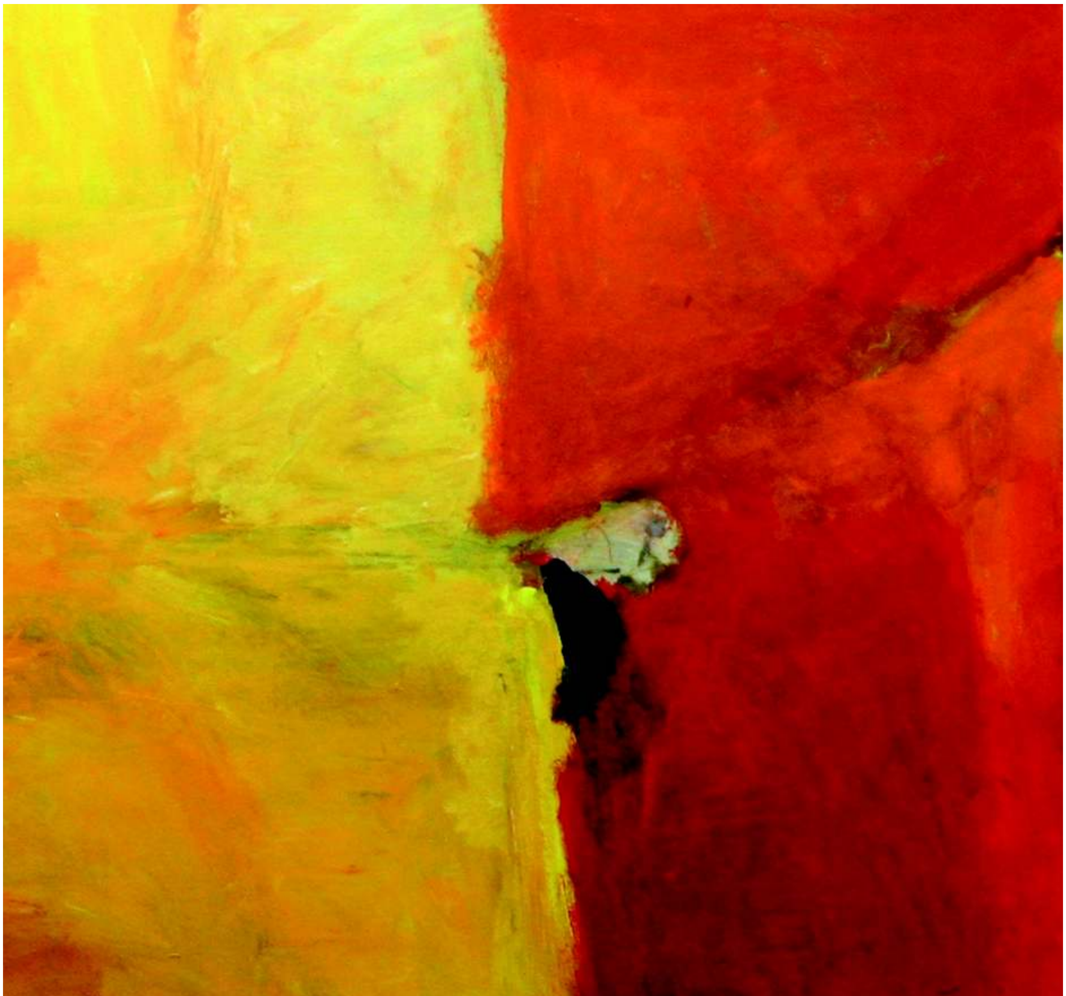

إسقاط المتغيرات في الساحة الفلسطينية على أدب غسان كنفاني:
رواية «رجال في الشمس» نموذجا

معاوية البشتاوي*

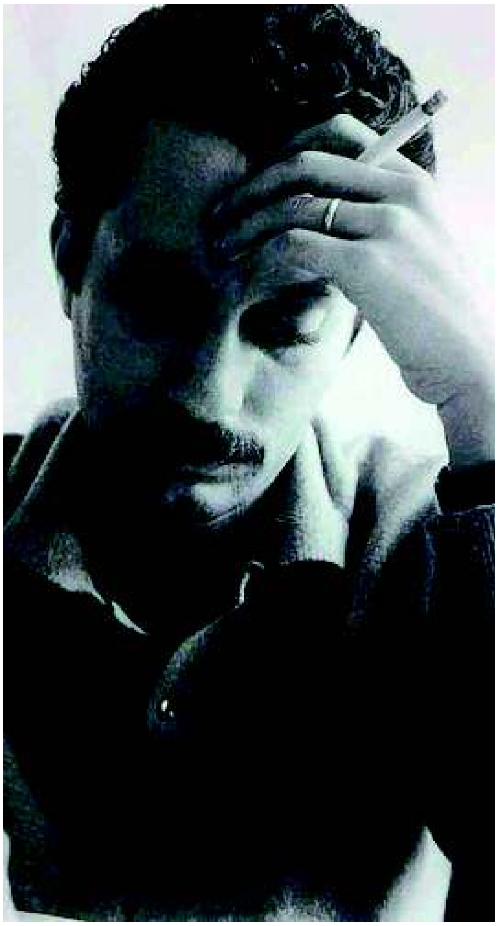

إن القارئ المتأمل في أدب الراحل غسان كنفاني يستطيع أن يكتشف أن هناك متسعا لمزيد من الحديث، والقراءات التأويلية التي تضمرها نصوصه لا سيما إذا ما حاولنا إسقاط المتغيرات التي آلت إليها القضية الفلسطينية اليوم على أدبه مع ضرورة التمسك بالثوابت التي التقط غسان جوهرها ورصد مساراتها وأعاد إنتاجها إبداعيا. الأمر الذي أتاح لنصوصه الحياة والتجدد. وإذا ما حاولنا أيضا إعادة قراءة نصوص غسان سوف نكتشف أن تلك الثوابت التي أشرنا إليها أنها بمعانيها ودلالاتها العميقة التي قاربها فنيا مازالت بالفعل هي هي، وراهنة حتى يومنا هذا، على الرغم من كل المتغيرات التي طرأت على المشهد السياسي والاجتماعي والأخلاقي الفلسطيني. وللبرهنة على ما أشرنا إليه سنتناول نصا من أهم نصوص غسان وأكثرها شهرة على الإطلاق وهو «رجال في الشمس».

في رواية «رجال في الشمس» نجد وجدان العار ممزوجا بوجدان الفجيعة «وبالتالي نجد غسان في هذه الرواية يرصد حقبة اللجوء، حيث نرى شخصيات الرواية مسربلة بالعار الذي يسوقها نحو الموت الفاجع على تخوم الصحراء وبدلا من أن تتوجه إلى الرملة كما يقول الدكتور الناقد إحسان عباس ها هي تتوه في الرمل يداعبها الأمل وتخايلها أحلام الاستقرار في الظل في بلد ليس فيه شجرة واحدة. إنه إذا نوع من الفرار أو الهرب نحو السراب بقيادة السائق المخصي «أبو الخيزران»، الذي باعها بأبخس الأثمان فكانت النتيجة اختناقها الفاجع في جوف الصهريج المظلم دون أن تدق دقة احتجاج واحدة. السؤال الآن: ما الذي تغير على صعيد الثوابت، على الرغم من المتغيرات الكثيرة العاصفة التي عاشها الشعب الفلسطيني وقضيته التي مازالت معلقة منذ أكثر من أربعة عقود مرت على كتابة نص غسان؟ دعونا ننظر إلى الواقع بتجرد وحيادية، ولكن بصدق: ألم يزل الفلسطيني اللاجئ يشعر بالعار ممزوجا بوجدان الفجيعة «سواء كان يعيش في مخيمات اللجوء أم في سهول أوروبا أم في الأميركيتين. ألم يجد ما يقارب مليوني فلسطيني» اليوم أنفسهم محاصرين في «خزان غزة» الجحيمي، يعانون كل أنواع الجوع والفقر والبطالة والقهر والموت المجاني. دون أي أمل بالخلاص لأن العالم كلّه لايريد أن يسمع صوت الاستغاثة أو الاحتجاج؟

أليست الشخصية الفلسطينية (مثل أبطال رواية غسان) ما زالت تسير نحو حتفها المحتوم؟ هذه الشخصية التي تسلم مصيرها إلى قيادة تشترك معها في اختيار الوجهة الخاطئة، بل تبلغ من السذاجة حدا مخيفا حين ترضى أن تسير في تلك الوجهة وهي مغمضة العينين. إذن على الرغم من كل المتغيرات التي حدثت، والتي باتت أكثر تركيبا وتعقيدا إلا أن الجوهر ظل ثابتا وهذا ما أشار إليه غسان مبكرا. أرى أن رواية رجال في الشمس ما زالت صالحة بشكل أو بآخر للتعبير عن الموضوع الفلسطيني ومأساويته، وهي قابلة لاحتواء المزيد من العناصر التي يمكن أن تغني شكلها بجملة متجددة من الصور المتماهية، بشكل أو بآخر مع المناخات الراهنة التي تتقاطع إلى حد كبير مع جذر المناخات التي صاغ غسان روايته على ضوئها.

---

* كاتب أردني

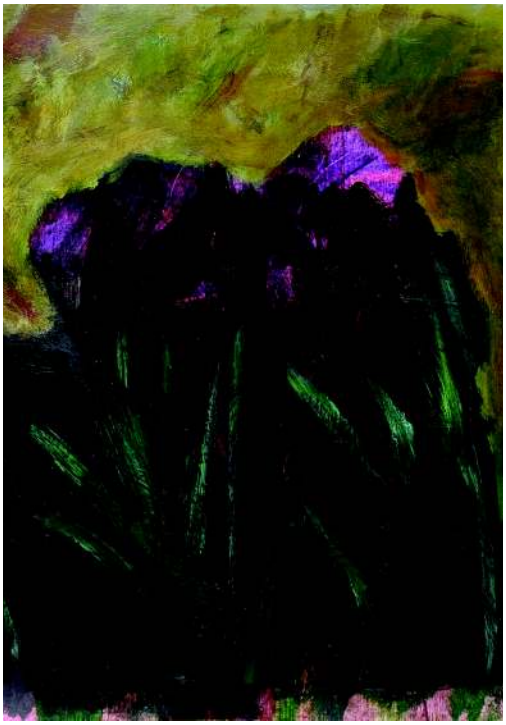

حوار مع الأديبة السورية ماجدولين الرفاعي

حاورها بسام الطعان*

ماجدولين الرفاعي، صاحبة (قبلات على الجانب الآخر)، تلك المجموعة القصصية الأكثر إثارة، والأكثر حضورا إبداعيا ... اهتم بها النقاد مبكرا، وقالوا فيها ما عُدّ استشرافا ذكيا لآفاق إبداعها النظيف المؤثر.

في ماجدولين، من وطنها سوريا، ذلك الدفء الذي يهمي برمته على عوالم شاسعة الأبعاد من دنيانا المثقلة بالضوء والنور والصلوات. وفي ماجدولين أيضا من الجرأة ما جعل النقاد يقفون طويلا أمام رقة مفرداتها التي تستعير أحيانا صلابة حجر الصوان، وجرأة ماجدولين تهدم وتبني في آن معا.

المهم جدا في ماجدولين الرفاعي أنها ترفض عن سابق تصميم وترصد أن يلحق إبداعها بما درج بعض النقاد على تسميته بـ (الأدب النسائي)، وذلك لأن ماجدولين المبدعة والإنسانة تعتبر الأدب كلا لا يتجزأ، قدره قدر الوردة التي تغدو جميلة بالساق والتّويج والأوراق...ماجدولين، تبدو هادئة أحيانا، لكنها تعبر باللمحة الكوميدية عن عنف دواخل رافضة لواقع مرير أفقد الإنسان روعة حضوره الإنساني، عندما أحبط الطارئون على الحياة كل تلك الفرص التي أتاحها الخالق أمام مثاله المقدس على الأرض، فانتشر القهر والجوع والقمع، حينما وجدت صرخة إنسانية لاحدود لمديتها!

لقد عبرت ماجدولين الرفاعي عن دواخل الإنسان، الرجل والمرأة معا، بكل عمق، غير مكترثة بما قيل ويقال عن صوتها الإبداعي المكتنز بالجرأة والصخب، فاستحقت أن تكون في مقدمة الكاتبات العربيات على امتداد وطن غرائبي التحدي، وهي تنحت معهن وبأظافر تطاولت على قسوة زمن رمادي!

لابد من أن نقدم محاورتنا ماجدولين الرفاعي، القاصة التي أبدعت في عالم القص ومضت تمارس مهنتها المحببة، صحفية لتتبوأ عن جدارة، موقع رئيسة التحرير التنفيذية لجريدة الصوت ذائعة الصيت، نقول لابد من أن نقدمها بكل العمق الذي درجت عليه مفرداتها المبللة بالمطر، والمتشحة بكل ألوان الزهر، والمفعمة بأريج العطر الذي يملأ آفاق الإبداع.

*** تمارسين كتابة القصة القصيرة والقصة القصيرة جدا والشعر والمقالات الأدبية. وكتابة أي جنس أدبي استلهام وعقيدة، همة وتجربة، يؤدي مجموعها إلى الاحتراف.. من هنا سأبدأ معك. في أي جنس أدبي تجدين نفسك أكثر، هل احترفت الكتابة، أم أنك تعتبرين نفسك هاوية؟**

- كل أدب من الآداب له مكانته في نفسي ولا أقوم بفعل الكتابة إلا عندما أجد الرغبة في ذلك فللقصة طقوسها وللمقالة وقتها وللقصة القصيرة جدا حالتها، وعندما تلتمع فكرة في ذهن المبدع فإنه لا يفكر في نوعها بل يسجلها مباشرة على الورق، وإنما وبكل صراحة أميل إلى كتابة القصة القصيرة جدا التي تحمل في مضمونها فكرة واخزة بشكل عام من باب أن الأدب عليه أن يحمل فكرة وإلا تحول إلى ثرثرة لاطائل منها. وعن سؤالك عن الاحتراف أجيبك بأنني مازلت هاوية حتى يثبت احترافي بشهادة القراء والمبدعين.

*** لكل كاتب أسلوبه ولغته الخاصة به، قارني مثلا بين أسلوب أميل حبيبي والطيب صالح، وبين زكريا تامر وغائب طعمة فرمان، ستجدين فروقا شاسعة.. هل لك أسلوب معين تتبعينه في كتاباتك، وما اللغة التي تفضلينها، لغة السرد البسيطة دون تعقيدات، أم اللغة الشعرية المكثفة ولماذا؟ هل تجعلين من اللغة بطلا في أعمالك كما يفعل بعض الكتاب السوريين والعرب؟**

- نعم لكل كاتب لغته وهويته بدليل أنني عندما أقرأ مادة مغفلة الاسم لأحد الأصدقاء أعرف فورا من الكاتب وأعتبر هذه الأشياء هوية خاصة كبصمة الإبهام أو بصمة العين. ولم لا؟ ألا يحق للمبدع أن يحمل هوية تميّزه عن أقرانه؟

وبالنسبة لي أعتمد أسلوب الكتابة المبسطة الصريحة التي تحمل مضامين كثيرة ضمن فكرة مبسطة وأميل جدا للكتابة النقدية مع سخرية مبطنة، فالنقد يفتح عيون الآخرين على الأخطاء ومن ثم يجعلهم يفكرون بالتصحيح. البطل في كتابتي الفكرة، لا اللغة التي تضلل القارئ في أحيان كثيرة وهو يلاحق الكلمات ويغوص بين المعاني والمفردات كي يعرف منها ماذا يريد كاتبها وماهي رسالته.

*** ما أهم العناصر التي يتوقف عليها نجاح الكاتب، على فلسفته ونظرته إلى الحياة، أم على أسلوبه وأدواته التي تخصه وحده، أم على موهبته؟ وأين تكمن روعة القصة القصيرة الناجحة بكل المقاييس؟**

- سأبدأ من حيث انتهيت أنت وأجيبك أن روعة القصة القصيرة جدا في استحواذها

على القارئ كلية وحثه على متابعتها إلى مالانهاية فتباغته نهاية القصة. بالإضافة لتوفر العناصر الأساسية للقصة التي تغيرت كثيرا في الآونة الأخيرة ولم تعد تعتمد على مقاييس محددة. لا ينجح الكاتب إلا إذا كان مبدعا والإبداع من وجهة نظري تكامل إذ لا نستطيع اجتزاء الأشياء. فالكاتب الناجح هو الذي يجمع الموهبة والثقافة والإلمام بمعظم مجالات الحياة.

*** في حوار مع الأديب الراحل عبد السلام العجيلي قال: إن القصة القصيرة عندنا مراهقة وعلل ذلك بأن الكتابة في بلادنا لا تطعم خبزا. مع العلم أن هذا الحوار كان في عام ١٩٨٩، وأيضا قال الكاتب الراحل جميل حتمل: لولا زكريا تامر الذي وصل القصة السورية من موقع آخر لبدت القصة السورية في أسوأ حالاتها. ما رأيك في ذلك؟ وبعد كل هذه السنوات كيف تجدين القصة السورية، هل من تطورات طرأت عليها؟**

- رحم الله الأديب عبد السلام العجيلي كنت من أشد المعجبين بكتاباته ومعه كل الحق في مقولته التي لم تتغير منذ أن قالها في عام ١٩٨٩ إذ مازالت الكتابة في بلادنا لاتطعم خبزا ومازالت الحكومات غير مهتمة بمبدعيها وكتابها إلا فيما ندر؛ فهنالك الكثير من المبدعين لا تزال إبداعاتهم حبيسة أدراجهم لأنهم لم يستطيعوا طباعتها لقصر ذات اليد وبذلك فإن أهمية تلك الكتب تنتفي طالما لم تصبح في أيادي القراء. ومن النعم التي منّ الله بها على المبدعين الإنترنت إذ أضحى وسيلة مناسبة لنشر النتاجات والاستفادة منها. أما بالنسبة للقصة السورية فأرى أنها لم تتقدم كثيرا بدليل عدم ظهور أسماء مهمة كما في السابق ومازال حنا مينا والماغوط وناديا خوست وزكريا تامر يحتلون الساحة الأدبية دون منازع.

*** أنت قاصة وشاعرة متميزة ولابد من أن أسألك عن الشعر. الشعر العربي المعاصر بأنواعه العمودي والتفعيلة والنثر، هل هو قادر على التعبير عن تشابكات الحياة السياسية والاجتماعية وتعقيداتها؟**

- دعني أجيبك بمقاطع شعرية لشعراء الشعر العربي المعاصر وانظر جيدا هل عبرت تلك القصائد عن تشابكات الحياة السياسية والاجتماعية. من قصيدة متى يعلنون وفاة العرب للشاعر الكبير الراحل نزار قباني، اقتطع هذه الكلمات:

أحاول أن أتبرّأَ من مُفْرداتي
ومن لعْنةِ المبتدأ والخبرْ...
وأنفُضَ عني غُباري.
وأغسِلَ وجهي بماء المطرْ...
أحاول من سلطة الرمْلِ أن أستقيلْ...
وداعا قريشٌ...
وداعا كليبٌ...
وداعا مُضَرْ...

وأيضا هذا المقطع للشاعر أدونيس:

دليل السفر في غابات المعنى
ما الغيب؟
بيت نحب أن نراه،
ونكره أن نقيم فيه.

ما السر؟

باب مغلق إذا فتحته انكسر.

ما الحلم؟

جائع لا يكف عن قرع باب الواقع.

ما اليقين؟

قرار بعدم الحاجة إلى المعرفة.

إذا كان الشعر ديوان العرب فهو اليوم صرختهم كما هو معروف وأي شعر لا يحقق أهدافه يتحول إلى عبث. الشعر مرآة المجتمع وبالتالي فهو يسجل أدق التفاصيل والملاحظات ويعايش حالة المجتمع ويحاول بكل حرف فيه وبكل تفعيلة منه أن يصرخ في وجه العالم الأصم.

*** وقصيدة النثر كيف تنظرين إليها؟ هل هي جلطة أصابت قلب القصيدة العربية، أم أنها أعادت شيئا من الشباب إلى جسد هذه القصيدة وجعلته أكثر جمالا، أم ماذا؟**

- بداية تبقى القصيدة العمودية هاجسي وهاجس أجيال ماضية ولاحقة وحاضرة وهذا لا يسقط عن جسد قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر ثوبيهما الجميلين فأينما احتدم الإحساس كان التلقي عنيفا وقويا.

*** في الماضي كانت الرواية هي التي تعرض وتصف وتحكي وتمتع وتنمي القدرة اللغوية عند الناس.. الآن كيف تنظرين إلى حضورها بين الناس، هل ستبقى مهما كانت قيمتها قادرة على مواجهة التحدي، التلفاز والحاسوب مثلا، والاحتفاظ بالقارئ المثابر على القراءة التي قد تمتد لأيام؟**

- كنت سابقا وقبل عصر الإنترنت والفضائيات أمضي بالفعل أياما متتالية ليلا ونهارا وأنا اقرأ رواية، أتابع كلماتها وأحداثها وألهث خلف السطور أعيش بين الشخصيات أتعاطف معهم أفرح وأحزن معهم وأفتقدهم عندما أنفصل عنهم بعد الانتهاء من قراءة الرواية أما الآن فإننا ابتعدنا تماما عن قراءة الكتب المطبوعة إلا فيما ندر وصارت معلوماتنا مستقاة من جهاز الكومبيوتر والإنترنت، صرنا نتابع الروايات على شاشات الفضائيات عندما تمثل كأفلام ومسلسلات تلفزيونية، ولا أرى بصراحة من ضير في ذلك. ما يهمنا أن تصل المعلومات وأن يتابع الجميع القراءة على الشاشة أو في كتاب وعلى العكس فإن الإنترنت قد أعطى للجميع فرصة الاطلاع على روايات لم يكن من الممكن الاطلاع عليها بسبب الحدود والحواجز بين الدول بالإضافة إلى الرقابة المفروضة على الكتب، وما يمكنه أن يغيب هنا هو السرد الممتع الذي يميز الكتاب عن جميع الوسائل الأخرى.

*** القصة القصيرة هي ابنة العصر، وبالقدر نفسه ابنة المستقبل، ومع أنها منشورة على صفحات أي جريدة أو مجلة سواء كانت أدبية أم غير أدبية، مع كل هذا، هناك من يقول إن القصة القصيرة تعيش أيامها الأخيرة، وهناك من يقول إن فن القصة بات مهددا بالانقراض، ما رأيك؟**

- قد يكون مستوى القصة القصيرة قد انحدر قليلا لكن هذا الواقع لايعني بأي حال من الأحوال أن مصيرها إلى الزوال، فقد مرت القصة القصيرة بكبوات عدة ولكنها انتفضت من جديد وتابعت مسيرتها من خلال كتاب فهموا ماذا يريد القارئ، علما بأن

القصة أكثر ملاءمة للقراء من الرواية لأنها تلازم الإيقاع السريع للعصر وحركة الحياة. وعلى كتاب القصة الآن الاجتهاد في تطوير قدراتهم وتنمية قدراتهم الكتابية بما يحفظ للقصة القصيرة حضورها ورونقها.

*** القصة السورية الساخرة كان لها في الماضي روادها مثل سعيد حورانية وعلي خلقي وحسيب ومواهب كيالي وغيرهم. في الوقت الحاضر هل لدينا في سورية قصة قصيرة ساخرة حقيقية؟**

- حسب معلوماتي فإنني لم ألحظ أبدا وجود قصة ساخرة سورية وعندما قررت الرد على سؤالك فكرت كثيرا وبحثت عن شاهد فلم أجد أي قصة ساخرة سورية أتحدث عنها. يوجد بعض كتاب الأدب الساخر كخطيب بدلة ووليد معماري ولكنها كتابات لاترقى لمستوى تسميته بالأدب الساخر.

*** بيئة الكاتب التي يعيش فيها دائما تشكل له منهلا وينابيع للكتابة. من أين تأتين بمواضيع وشخصيات وأبطال أعمالك الأدبية، من البيئة المحيطة بك أم من الخيال؟**

- أكذب إن قلت إنني أكتب من الخيال فقط؛ فنحن أبناء مجتمع تتزاحم فيه الأحداث وهنا يكون دور الكاتب كي يضيف على حدث بسيط تشعبات ومنمنمات من الخيال.

*** الحركة الثقافية العربية، كيف تقيمينها في الوقت الحاضر، هل تسير إلى الأمام، هل هي في تطور، أم العكس هو الصحيح؟**

- الكارثة تقع على رأس المبدع؛ عندما يشعل السياسي النار يركض المثقف لإطفاء الحرائق ولهذا فإن الثقافة مرتبطة بشكل طردي بالأحوال السياسية ومدى استقرار الدول.

*** ماذا أعطاك الأدب، وماذا أخذ منك، وهل ندمت على اختيارك للأدب والسير في دروبه المتشعبة؟**

- أعطاني الأدب قدرة جديدة على فهم الحياة من منظار جديد منظار أكثر دقة، أعطاني الأدب فرصة لتغيير خريطة الحياة بقدر استطاعتي، أدواتي القلم والورقة والفكرة الجادة، وأعترف لك أنني أشعر بالندم أحيانا وربما العتب على القدر الذي سيّرني كي أسير في تلك الدروب بخاصة عندما اصطدم ببعض المحسوبين على الثقافة ممن كرسهم الإعلام الرخيص وأصبحوا بتأثير مراكزهم السياسية أو المالية في صدارة المشهد الثقافي، وقد أحزنني مشهدٌ رأيته بأمِ عيني حيث تملق أحد كبار الفنانين شاعراً تافهاً فقط لأنه مسؤول عن أحد المهرجانات التي يسعى ذلك الفنان للمشاركة فيها، دعني أصمت ياصديقي كي لا تتدفق الأحزان.

*** أخيرا لك حرية الكلام، قولي ما شئت ولمن شئت؟**

- أقول لك أنت أولا: شكرا لك من القلب لإتاحة هذه الفرصة لي كي أعبر عما في دواخلي ودعني أوجه رسالة عبر هذا الحوار للمرأة العربية المثقفة وأقول لها: أثبتي دوما يا عزيزتي أنك كطائر الفينيق وأن باستطاعتك النهوض دوما مهما كثرت الحواجز والسدود في طريقك، افتخري دوما بأنك امرأة، أما، وشقيقةً، وزوجة.

---

* كاتب سوري

(مجددا بعد انقطاع)

الأدب الفرنسي على مائدة نوبل

عمر العطيات*

هذه المرة أيضا نوبل للآداب بعيدا عن أيدي العرب،لكن لا بأس علّنا نعرف أنفسنا أكثر مما يعرفنا الغرب الناقد،والباعث على التفاؤل في الأمر أن الجائزة لهذ العام حلقت ثم حطّت على كتف أديب عالمي متعاطف مع قضايانا العادلة ويكنُّ احتراما لحضارتنا وثقافتنا إضافة إلى أنه يواجه امتعاضا من اللوبي اليهودي في فرنسا وهذا مما يقوي القواسم المشتركة بيننا .

فقد منحت الأكاديمية الملكية السويدية قبل أيام جائزة نوبل للآداب 2008 للكاتب الفرنسي جان ماري غوستاف لوكليزيو.

وتسويغاً لهذا الاختيار الذي قوبل بالاستغراب أعلن هوريس انغدال من مقر الأكاديمية السويدية في الجزء القديم من العاصمة ستوكهولم، أن الأكاديمية الملكية السويدية قررت منح الجائزة للأديب الفرنسي لوكليزيو على مجموعة كتاباته الإبداعية في أدب المغامرات، والأطفال وما كتب من مقالات. وأضاف: إن اللجنة اختارت "كاتب الانطلاقات الجديدة والمغامرة الشعرية والنشوة الحسية ومستكشف الروح الإنسانية ما وراء الحضارة السائدة"، وبمنحها الجائزة إلى لوكليزيو، تكون الأكاديمية السويدية كرّمت واحداً من أكبر أسماء الأدب الفرنسي المعاصر وصاحب نتاج غزير ينتقد فيه الحضارة المدنية العدوانية والغرب المادي.

يروي لوكليزيو بأسلوبه الصافي والبسيط أحوال الوحدة والتجوال، هو الذي لم يحط رحاله بل بقي كالبدوي هائماً على وجه الأرض.

ولد لوكليزيو في 13 نيسان (ابريل) في مدينة نيس جنوب فرنسا في عائلة هاجرت الى جزيرة موريس في القرن الثامن عشر، من

أب بريطاني يعمل طبيباً في غابات أفريقيا وأم فرنسية انتقل وهو طفل إلى نيجيريا وعاد بعد سنتين إلى فرنسا وهو في سن العاشرة. وترعرع بين لغتين الإنكليزية والفرنسية. غير أن طموحه الأول كان أن يكتب بالإنكليزية. ويُعد لوكليزيو أول فرنسي يفوز بالجائزة العالمية منذ عام 2000 وكان الكاتب الصيني الذي يحمل الجنسية الفرنسية، جاو كسينغجيان، قد حاز جائزة نوبل العام 2000، بعد 15 عاماً من فوز روائي فرنسي آخر، وهو كلود سيمون، بالجائزة العالمية عام 1985، وكان الروائي كلود سيمون هو آخر كاتب من أصل فرنسي فاز بجائزة نوبل للآداب قبل 23 عاماً.

يحتل لوكليزيو منذ سنوات موقعاً فريداً في فرنسا ويحظى باحترام وإعجاب شديدين وهو من الأدباء القلائل الذين تَلْقى كتبهم إقبالاً كبيراً مع حفاظها على معايير أدبية عالية. وقد نُقل عنه في شبابه أنه شعر دائما بمسافة بينه وبين اللغة الفرنسية حتى إنه عندما بدأ «الكتابة للآخرين» كان يعيش في بريطانيا، معتقدا أنه سيبدأ النشر بالإنكليزية. غير أن قضية سياسية دفعت به نحو <الفرنسية> حين اعترض على احتلال البريطانيين لجزر موريس التي هاجر إليها أجداده، لكنه عبّر عن رفضه باللغة الفرنسية. غير أنه لم يشعر بالالتحام مع فرنسا والفرنسية، وبقي مصرّاً على أنه <متوسطي> (من البحر الأبيض المتوسط).

نشر لوكليزيو حتى الآن 40 كتابا، بينها كتب للأطفال "لولابي" 1980 و "بالابيلو" 1985 لكنه اشتهر عام 1980 في أعقاب نشره رواية <الصحراء> التي عدتها الأكاديمية السويدية أنها تقدم <صورا رائعة لثقافة ضائعة في صحراء شمال إفريقيا>. وتنجذب أعماله المترجمة إلى لغات كثيرة بشوق إلى العوالم الأولى البدائية، وكان حتى الثمانينات كاتباً مبدعاً طليعياً وثائراً عالج في كتاباته أحوال الجنون واللغة والكتابة قبل أن ينتقل بعدها إلى أسلوب أكثر هدوءاً وصفاء تصدرته موضوعات الطفولة والتوق إلى الترحال والاهتمام بالأقليات. نشر لوكليزيو عام 1963 روايته الأولى <المحضر الرسمي> التي حصلت على جائزة رنودو. وحصل عام 1964 على دبلوم الدراسات العليا، بعد أن أنجز بحثاً حول <العزلة في أعمال هنري ميشو>. ثم أصدر عام 1965 كتابه الثاني <الحمى> الذي كان عبارة عن تسع قصص عن الجنون.

وكان عام 1967 عاماً حاسماً في حياته الشخصية والأدبية، إذ أدى خدمته العسكرية في بانكوك من خلال نظام مهام التعاون، غير أنه -أُرسل فيما بعد إلى المكسيك بعد أن تمّ طرده من بانكوك بسبب إدلائه بأقوال لصحيفة الفيغارو عن دعارة الأطفال في تايلند. غير أن اكتشافه للمكسيك كان صدمة حقيقية، حيث بدأ بالعمل على تراث الهنود الحمر. فقد شارك لوكليزيو ما بين 1970 و1974، الشعوب الهندية في مقاطعة دارين البنمية حياتها، وكتب عن هذه التجربة قائلا:>إنها صدمة حسية كبيرة، صعبة، كان الجو حاراً، وكان عليّ أن أمشي مسافات طويلة على الأقدام. كان عليّ أن أصبح خشناً، صلباً. منذ تلك اللحظة، اللحظة التي لامست فيها هذا العالم لم أعد كائناً عقلياً. أثرت

هذه اللاعقلية فيما بعد في كلّ كتبي>..وما بين عام 1978 و1979، أصدر لوكليزيو <المجهول على الأرض>، و>موندو وقصص أخرى> الذي حقق نجاحاً كبيراً في المكتبات، وفي ذات الفترة أصبح عضواً في لجنة قراءة منشورات غاليمار. وفي عام 1980 منح جائزة بول موران من قبل الأكاديمية الفرنسية، ونشر < ثلاث مدن مقدسة> و>الصحراء> وصولاً إلى روايته الأخيرة الصادرة عام 2008 بعنوان «لازمة الجوع».

ويعدّ عمله السردي "سمكة من ذهب" المكرس للعلاقة الشاقة بين ثقافتين وعالمين من خلال الفتاة المغربية (ليلى) أكثر أعماله معرفة في العالم العربي. حبه للأمكنة ذات الطابع الخاص قاده أيضاً لكتابة نص عن مدينة البتراء النبطية الأردنية في إطار بعثة لكتاب عرب وأجانب أشرف عليها المركز الثقافي الفرنسي في عمان وصدرت في كتاب ترجمه إلى العربية الشاعر اللبناني يحيى مخلوف بعنوان <كلام الحجر>. وقد وصف البعض أسلوبه بـ «الخيال الميتافيزيقي» حيث إن كتابته الكلاسيكية والبسيطة تهز في الواقع أسس الأدب التقليدي وتعيد النظر فيها من دون التوقف عند القشور بل ساعية دوماً إلى الغوص عميقاً مستكشفة لب ما هو مأساوي وحقيقي بحثاً عن اللغة المؤثرة التي تحرك المشاعر وربما تحول الليل إلى ظل.

وللوكليزيو علاقة جيدة مع العالم العربي خصوصاً، شمال إفريقيا. وقد شارك في لجنة تحكيم جائزة الأطلس الكبير الفرانكوفونية المغربية، يذكر أن أزمة حدثت بين لوكليزيو واللوبي اليهودي في فرنسا بعد نشره جزءاً من عمل سري له بعنوان «نجمة تائهة» حاول من خلاله تناول جذر المأساة الفلسطينية بتركيزه على المخيمات.

ويُشار إلى أن لوكليزيو المعروف بروحه الشابة رغم بلوغه الثامنة والستين من العمر سيتسلم الجائزة وقيمتها المالية عشرة ملايين «كرونا» سويدي، أي ما يعادل حوالي مليون و420 ألف دولار أميريكي، في احتفال بالعاصمة السويدية ستوكهولم في العاشر من كانون الأول (ديسمبر) المقبل الذي يصادف ذكرى رحيل مؤسس الجائزة العالم ألفريد نوبل عام 1896.

ومن الأسماء التي تردد أنها كانت مرشحة لنيل الجائزة: الروائية الجزائرية آسيا جبار، والهولندي سيس نوتبوم، والكندية مارغريت أتوود، والتشيكي أرنوست لوستيغ، والمكسيكي كارلوس فوينتس، إضافة إلى الروائية الألمانية ذات الأصول الرومانية هيرتا مولر، والشاعر الكوري كو أون.

---

* عضو هيئة التحرير

نضال حمارنة تسترد ذاكرتها الدمشقية في ديوانها "مُفاعل حسّي"

تشكّل الذاكرة، ذاكرة المكان وشخوصه تحديداً، المادة الأساس التي تبني عليها الشاعرة الأردنية المقيمة في دمشق «نضال حمارنة» قصيدتها في مجموعتها الشعرية الأخيرة «مُفاعل حسّي» الصادرة حديثاً عن دار عشتروت في بيروت. وتحتشد في ثنايا قصائدها الثمانية والعشرين التي احتوتها المجموعة، المختزلة والمكثفة بشكل كبير، تفاصيل أماكن دمشقية، ووجوه أناس عبروا أو كانوا أو مروا بها، فمن مقهى الصحافيين، وما حملته معها من ذاكرة كبيرة، من خلال هذا المكان الذي شكّل لديها نقطة التقاء في القصيدة والواقع مع العديد من الأصدقاء الذين رسمت ملامحهم شعراً، مثل: الصحافي السوري منار ذيب، والباحث الموريتاني محمد البخاري، والكاتبة السورية رجاء طايع التي توفيت إثر نوبة قلبية في المقهى، والفنان التشكيلي لؤي درويش ولوحاته، والروائي السوري خالد خليفة، وغيرهم.

في حين شكّل المكان لديها بصورته المنفصلة، جمالية مستقلة بعيدة عن ارتباطها بالشخوص، فكان هنالك حضور لأماكن مثل: وادي رم في الأردن، أو كما نعتته بوصفه الشعبي بوادي القمر، وجبل قاسيون، وأماكن أخرى حضرت لديها في

القصائد، ســواء بالشكل الرمزي أو الفعلي. فبدت حمارنة مختلفة بسيطة، وفي الوقت ذاتــه، مكثفة وعميقة، تســير أحيانــاً باتجاه الحكمــة بعيداً عن الحدث، كما في قصيدتها وجع خافت جداً، حيث تقول في أحد مقاطع القصيــدة: «فحم فــي الــروح / احتضارٌ في الجــدران/ قنّاص على أوراقي/ وأنــا... أتأبط ورد الحياة».

أمــا الصــورة فــي القصيدة لــدى حمارنة فقــد جــاءت فــي بنائهــا عفويــة وفنتازيــة إلــى حد ما، كــون القصيدة ذاتهــا لا تحتمل، بسبب الاشتغال بها بعناية وتحريرها من أية شــوائب قد تعلق، بالتوصيــف الطويل وبناء الصور الكبيرة، فقد نسجت معظم صورها الشــعرية العفوية، بخفة جملة شــعرية لا تحكمها فقــط معادلة اللفــظ والمعنى وإنما بنية موسيقية متسقة مع البنية الشعرية للنص، لتبــدو القصيدة صوتــاً وكتابة، كما في قصيدتها القصيــرة جداً «مفارقة» التي جاء فيها «نارنج شفتي ينثر وجع السكر على رعشة شفتيك».

ورغــم تكثيفهــا الكبيــر، تمتلــئ قصيدة حمارنــة بالتفاصيل التي تمســك باللحظة في الذاكــرة، وتؤثث المكان الحــي بوجوه حية نابضة بمــن فيها من الشــخوص وخيالاتهم وذاكرتهم، لتخرج في تلك الصور الشــعرية المكتملة مكانياً، وخارجة عن مألوف الذاكرة، ولكنها تصبح جــزءاً أصيلاً من تكوين النص وتفيض عنه جمالياً.

وبذلــك تحقــق حمارنــة قصيــدة مكتملة ليس بمســتوييها الفني والجمالي فقط، وإنما فــي قدرتها على اختــزال هذا الكــم الهائل مــن الذاكــرة وتأملاتها المتعــددة إضافة إلى التجريــدات الجماليــة المتوالــدة، وإلى ذلك لا تفقــد قصيدتهــا تلك الشــحنة العاطفية المؤثرة وترنو نحو أثر تراجيدي متفرد.

كما كان للشــاعرة ذاتها، مــن خلال المائة والســت عشــرة صفحة التي هي صفحات الكتاب الذي جاء من القطع المتوسط، حضوراً كبيرا في القصائد، كونها لا تزال ترتبط بحبل ســري مع تلــك الأماكن، وهؤلاء الشــخوص، الذيــن كانوا المحــور الرئيــس فــي قصائدها، فعرجت أحيانا على الحديث الشــعري الذاتي، باســترجاع ذاكرتهــا، بما فيها من شــحنات ايجابية وسلبية، وما تحتويه تلك الذاكرة من ماضٍ لا يــزال يداعبها بخصوصياتها كامرأة، مثلَ قصيدة «مسبحة بلا خيط» التي تقول فــي أحــد مقاطعهــا: «بوجهي أصفــق باب الهدوء/ وأنا أخفي بدمعي وجه شاهر/ وعلى مــرأى من الجميع/ أحرق ملامحي/ بضحكة لا تحتمل».

عفــاف خلــف تــدون التــاريخ الفلسطيني الحديث بـ "لغة الماء"

تســعى الروائية الفلســطينية عفاف خلف، فــي روايتها «لغة المــاء» الصــادرة بطبعتها الأولى عن منشــورات مركز أوغاريت الثقافي بــرام الله ٢٠٠٧ فــي ١٧١ صفحة من القطع المتوســط، إلى تدويــن مرحلــة متقدمة من التاريخ الفلســطيني الحديث، وبخاصة الفترة التي تقع ما بين نيسان ٢٠٠٢ وما بعدها وهي التي وُصِفت بمرحلة الاجتياحات الإسرائيلية الأولى والأكثر وحشية للمدن الفلسطينية.

جــاءت الروايــة بلغة شــعرية دافئــة، رغم نقدها اللاذع لحالة التراخي التي أصابت مرحلة النضال الشــعبي، والمؤسســات الرســمية، مازجة بــين رقة الكلمــات، وقســوة الرمزية والدلالة، ما بين الحنين للماضي، والغزل الجميل في المدن القابعة على صدر البحر المتوسط،

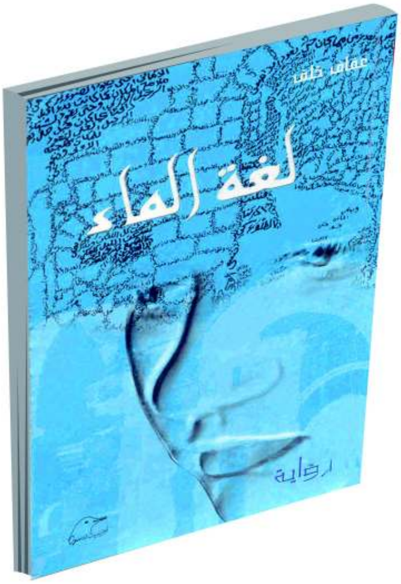

وصولاً لمشاهد الدمار والمعارك، التي يصفها صوتان يرويان الحدث في داخل الرواية، ولتنهي كل جزء من الرواية بحاشية توضح فيها معنى المرحلة، أو تضيف إليها جملة تختزل ما أرادت قوله، وهو ما أوقع الرواية بسبب هذه الحواشي في بعض الأحيان في المباشرة غير المحبذة في الأدب الروائي.

بدأت خلف روايتها بحديث (محمد العربي) أحد المقاومين الفلسطينيين في مدينة نابلس الذي عاصر الانتفاضة الفلسطينية الأولى، واعتقل في سجون السلطة الفلسطينية بسبب مواقفه السياسية المعارضة للاتفاقات السياسية، وصولاً إلى انتفاضة الأقصى الأخيرة، حيث يعيش الحدث مع حبيبته (فاطمة)، بمزج الظرف السياسي، والحضور المكثف للمعاناة اليومية، بقصص الحب، التي تنمو وسط الدمار والحصار، لتتغلب على حالة الانكسار، ويكبر فيها الشعور الإنساني، مقدمةً صورة قد تبدو درامية لمن لم يعش الحدث، بأن الفلسطيني رغم الموت والدمار، ظلّ قادراً على الحب والعطاء.

ولم تنسَ خلف الجانب الأهم أدبياً وفكرياً في توظيف الحكاية الشعبية ضمن نسيج الرواية، فهي الذاكرة التي تحاول حفظها وتدوينها، وإبقاءها حية خوفاً من ضياعها وتلاشيها.

ورغم كل ذلك الحنين، والشاعرية في الوصف، إلا أنها لم تكن لتخرج برواية رومانسية في استعراض الواقع، بل كانت أكثر قسوة على واقعها من حدثه.

تقول بطلة الرواية (فاطمة) في إحدى حواشي الرواية: «ماتت شجرة الياسمين، أحرقها القصف فلفظت آخر أنفاس الزهر رماداً أبيض، حمدت الله، خفت أن تتسرب إليها حمرة الشوارع، فينز من أغصانها الدم بدل البياض، وكأنما إجلالاً لسطوة الموت، ارتدت السواد. ذكرتني به، بموتنا الأبيض».

وكأن الروائية بهذه الحاشية أرادت اختزال فكرة الرواية كلها، في نقد حالة الفوضى والفلتان، وحالة النضال العبثي في المرحلة الأخيرة من الانتفاضة في عبارة «موتنا الأبيض» أي الموت دون ثمن، ودون تحقيق مكاسب من هذا الدم المنسكب، وحالة الضياع التي يعيشها الإنسان الذي عبرت عنه بشجرة ياسمين بيضاء احترقت، في حين جسّد (محمد العربي) لديها حالة التناقض والاختلاف الفلسطيني، فهو المواطن الفلسطيني الذي حاولت أيضاً كسر القدسية التي وضعها الإعلام العربي حوله.

ولأن هذه الرواية كتبت لتوثيق مرحلة من مراحل تاريخ الشعب الفلسطيني، فلم تنس الروائية كذلك أن تُسقط الماضي وتعيد استحضاره بين السطور التي تمثل الواقع الافتراضي، فهي ترسم صورة نكبة عام ١٩٤٨ ذاتها، في مقاربة لمشهد اجتياح المدنية

الحالي ذاته، ليبدو أنها أرادت أن تقول بأنه رغم التشاؤم الواضح في الروايةٍ إثر الحدث الذي لا يدعو للتفاؤل، إلا أن آمالاً بقيت معلقة على شيء جميل يلوح في الأفق، وأبقت هذا التفاؤل ملكاً لمستقبلٍ قد يجيء.

"تاريخ الظلم الأميركي": استبشار بانهيار القطب الأوحد

ينطلق المفكر الفلسطيني عادل سعيد البشتاوي في كتابه «تاريخ الظلم الأميركي وبداية زمن الأفول الإمبراطوري المديد» الصادر بطبعته الأولى حديثاً عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، في ٣٠٠ صفحة، بتحليل الواقع السياسي العربي والعالمي، منذ احتلال العراق عام ٢٠٠٣، ودخول القوات الأميركية وإسقاط حكم نظام صدام حسين. إذ يعود بعد قراءة سريعة في احتلال العراق لإعادة قراءة تاريخ المنطقة العربية المعاصر، وتحديداً المفاصل التاريخية المهمة فيه ابتداء من القضية الفلسطينية وما آلت إليه إلى الآن، حتى ما يسميه محاصرة منابع النفط العالمي في الخليج والعراق.

وفي هذا الكتاب يوضح الكاتب الأسباب الرئيسية التي وقفت خلف الحرب الأخيرة على العراق، إذ يعزو أحد أهم هذه الأسباب إلى قرار الرئيس العراقي الراحل صدام حسين بالتحول في أواخر العام ٢٠٠٢ إلى اليورو بدل الدولار في تعاملاته التجارية، بينما يقف سبب أقوى خلفه، الذي اعتبر واجهة للحرب، وهو نفوذ الشركات الأميركية العابرة للقارات في سياسة بلدها، والتي تعد مرتكزات المنظومة الأميركية الحالية الثلاثية بحسب البشتاوي وهي: القوة العسكرية، والدولار المحمول علي بحر من النفط، وشركات التسويق العابرة للقارات.

ومن خلال تحليل عميق يتوصل البشتاوي لنتائج عدة، أهمها بداية أفول هذه الإمبراطورية الأميركية، ولكأنه يود -رغم عدم التقائه فكرياً- أن يعيد إحياء نبوءة المفكر الألماني كارل ماركس بأن الإمبريالية تحفر قبرها بيديها، أو المفكر الروسي

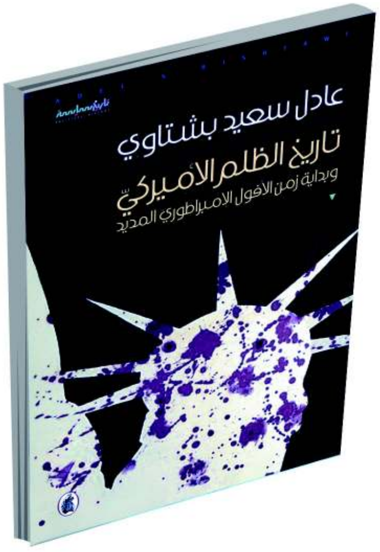

لينين في كتابه «الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية»، ليتفق البشتاوي (إلى حد ما) وهذه الرؤى الاشتراكية، بأن أميركا تسير للأفول بسبب تشتيت نفسها في أنحاء العالم، وتشتيت جيوشها، وارتكازها على حلفاء ضعفاء كأرئيل شارون الذي كان -كما يقول البشتاوي- لتدهور حالته الصحية دور رئيسيٌّ في تأجيل الضربة الأميركية لإيران عام ٢٠٠٥.

ويعد الكتاب المتنوع في مصادره ما بين ملفات ووثائق وكتب ومواقع إنترنت متعددة، وثيقة تحليلية مهمة في مجرى الصراع العربي العالمي اليوم، ومصير المنطقة العربية، ومجموعة من التوقعات لما سيؤول

إليه الواقع غداً، مع عدد من الالتفاتات الذكية والمميزة بين الصفحات التي لا يمكن أن يلتفت لها بمثل هذه الدقة إلا روائي سابق وصحافي ذكي كعادل البشتاوي، التي كان أبرزها قصة مجندة أميركية قُتلت في العراق وكُشف عن أصلها الهندي الأحمر، في تدليل واضح للمآل الذي وصل إليه أصحاب الأرض الأصليين الذين بدأوا يندمجون في الجيش الأميركي العدواني، وتحولوا لأكبر أقلية عرقية فيه.

ولعل البشتاوي لم يستطع الخروج عن فكرة كونه روائياً، فقد ظلّ متمسكاً بهذه الرؤية في الكتابة التي بدت واضحة في طريقته في رواياته بتقسيم الفصول وإفضاء الأول للتالي، وكذلك في المفاجآت التي تحملها صفحات الكتاب التي تتشابه في ذلك مع أسلوب الكتابة الروائية وصولاً إلى عناوين الفصول التي تخلق بين طرافتها وجدّية المواضيع مفارقات، لكونها أسماء أقرب للقصة أو الرواية كما في: عنق زجاجة النفط، حروب البترودولار، ديون العم خام، إعصار أندونيسيا تحت غبار فيتنام، حجر داوود، سيوف الجعجعة وسيوف الطعن، بلاد ما بين النفطين، خام العم سام، الهولوكوست الأحمر وغيرها من العناوين.

وتبدو بشارات البشتاوي واضحة ومباشرة في بداية انهيار الولايات المتحدة الأميركية، وبخاصة بعد غرقها في المستنقع العراقي الذي لم يكن بحسب التوقعات المرسومة قبل الحرب، إذ يتحدث بشكل واضح عن نظريات وخطط وضعها الأميركان قبل الحرب لصورة ما بعد الحرب، بينما جاءت الرياح بما لا تشتهي سفن الحكومة الأميركية والشركات التي جاءت مساندة للجيش، وباحثة عن حصتها من النفط العراقي.

"النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار" للخطيب: الأثر والسمات

يطرح الدكتور عبد الله عمر الخطيب في كتابه النقدي «النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار» الصادر حديثاً عن دار فضاءات للنشر والتوزيع في الأردن في ٣٠٤ صفحات من القطع الكبير، عدة تساؤلات عن أثر اللغة في النسيج الروائي في أعمال وطار الروائية، بالإضافة إلى تساؤلات أكثر غوصاً وعمقاً حول كيفية توظيف وطار لغة النص الموازي في أعماله الروائية، والسمات الشعرية للغته وتجلياتها البنائية.

وتناول الكتاب إلى ذلك الظواهر اللغوية والأسلوبية التي تبدت في أعمال الطاهر وطار الروائية، وعن ماهية المستويات اللغوية التي اتكأ وطار عليها في بناء النسيج الروائي، ومعالم اللغة الروائية في التقنيات السردية في أعمالة، كما طرح الكتاب كثيرا من الأسئلة المهمة، عاملا على التنقيب في جسد النصوص للإجابة عنها من خلال هذه الدراسة الجادة.

ويوضح الخطيب في ثنايا كتابه سبب تناوله التجربة الروائية للطاهر وطار كونها تعد من أنضج التجارب الروائية الجزائرية العربية، التي ظهرت بعد الاستقلال الجزائري، فهي سابقة في المضامين المدروسة، ومتضمنة لكثير من المنجزات الفنية التي تجعل منها رائدة الإبداع الروائي في تلك المرحلة وما تلاها، وذلك بما تشمله من رؤية عميقة، وقدرة فنية متميزة على إبداع فن روائي متطور يوالف بين المضمون والشكل، ويمزج بينهما في إطار لغوي رشيق.

كما أنه في هذا الكتاب البحثي والنقدي يقدم دراسة تقوم على استكناه الأبنية اللغوية في أعمال الطاهر وطار الروائية وتجلياتها، من خلال بيان كيفية بنائها السردي، وملاءمتها للشكل الفني ومضمون المتخيل السردي.

معتبراً في الوقت ذاته، أن دراسة اللغة الروائية صارت منهجاً متداولاً في كثير من الأبحاث التي تدرس بنية الرواية، لكن الملاحظ أن بعض هذه الأبحاث على المستوى النظري والمفهومي، لا تقدم للقارئ قراءة دقيقة للنص الروائي بدراسة اللغة الروائية دراسة تفي بتطور الدرس اللغوي واللساني في الأدب، فهي تنطلق في دراسة اللغة الروائية من استثمار هذا المفهوم، دون تفكيكه، وتعرف حدوده الدلالية، وكأنه واضح بذاته، أو مسلمة بدهية لا يحتاج إلى سبر أغواره واستقصاء تخومه الدلالية.

كما شكلت اللغة لذلك شاغلاً من شواغل حقول المعرفة المتعددة، واحتلت في المنظومة الفكرية الحديثة أسمى الأمكنة في مستويات الظاهرة الفكرية، بل أصبح متعذراً البحث في أصول المنهجيات الفكرية، دون وصف الأصول اللغوية لها، أو كشف الجذور المتواشجة بين طروحاتها، والأسس المرجعية المستندة إليها.

ويرى الخطيب أن أغلب الدراسات اللغوية قد تبنت الأطروحة القائلة بأن أي منظومة لغوية تؤثر في رؤية أهلها للعالم، وخرجت بخلاصات مفادها أن اللغة التي تحدد قدرتنا على الكلام هي نفسها التي تحدد قدرتنا على التفكير.

وتندرج هذه الدراسة الموسومة بعنوان «النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار» ضمن منهج «تحليل البناء اللغوي»، القائم على الربط بين النظر اللغوي والنقد الأدبي الحديثين في تحليل النص الأدبي عامة والروائي خاصة، مما جعله منهجا قابلا للتأويل ومنضبطا تحت أسس لا تحد من تعدد قراءاته واختلاف رؤاه.

وعن الكتاب يقول الأستاذ الدكتور شكري عزيز الماضي أستاذ نظرية الأدب والنقد المعاصر في الجامعة الأردنية «إنّ الدراسات والبحوث التي تتناول لغة الشعر ولغة الرواية قليلة ونادرة، ولهذا فإن كتاب الدكتور عبد الله الخطيب يسد فراغا ملحوظا في المكتبة العربية، إذ يدرس «النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار».

وهو موضوع صعب وشائك، لكن الباحث نجح في رصد كثير من الظواهر وتحليلها وتعليلها، كما نجح في التصدي لكثير من

الأسـئلة وإثارة أسـئلة أخرى من شـأنها أن تفتح آفاقا جديدة أمام الباحثين والمهتمين.

أما أستاذ فقه اللغة أ . د. إسماعيل عمايرة في الجامعة الأردنية فيقول «هذا السفر النفيس، لهذا الباحث الواحد، عمل قيّم أحترمه، فإذا كانت الأعمال الجادة تكتسب قيمتها من النظرة المنهجية التي تسير عليها، فإن عبد اللّه الخطيب خير من يؤهل نفسه للتناول المنهجي للنصوص، فهو صاحب وجهة نظر، وإطار فكري واضح».

وقد انعكس هذا على كتابه هذا الذي تناول فيه شخصية أدبية ذاع صيتها، إذ عكف على دراسة نصوص مستفيضه للطاهر وطار، تحدوه النظرة المنهجية التي تطالعك، وتحس أن الدكتور الخطيب، يملك موازينها من بداية دراسته حتى نهايتها.

صدور عدد جديد من "المجلة الأردنية للتاريخ والآثار"

عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والجامعة الأردنية، صدر العدد الثاني من المجلد الثاني من «المجلة الأردنية للتاريخ والآثار». وهي مجلة علمية عالمية فصلية متخصصة ومحكمة يرأس هيئة تحريرها الدكتور محمد عدنان البخيت، ولها هيئة استشارية من بعض الدول العربية والأجنبية.

تنشر المجلة التي صدرت بـ ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير، بحوثها باللغتين العربية والإنجليزية وتتوافر فيها شرائط البحث العلمي وتشكل إضافة جديدة للمعرفة.

ويتضمن العدد تسعة بحوث، تتناول الحياة السياسية في الأندلس في عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وقائمة علي بن عيسى ابن الجراح المالية، والسفارات المتبادلة بين السلاجقة والبيزنطيين في عهد طغرلبك، والضرائب في مصر في العصر الأيوبي، وطائفة اليهود في مدينة القدس من بدايات الحكم العثماني إلى قبيل قيام الحركة الصهيونية والسلطة العثمانية في الحجاز في أواسط القرن الحادي عشر هجري كما يعكسها عهد شريف مكة زيد بن محسن.

والدور البريطاني في عملية التحكيم بتصفية حوادث الحدود الأردنية - النجدية، والحياة الاقتصادية في مدينة السلط.

والساحات الخارجية وأهميتها في التخطيط المعماري لمدن العصر البرونزي المبكر الثاني والثالث في جنوبي بلاد الشام: «حالة دراسية من خربة الزيرقون».

«صانع النجوم» يطلق مشروعه السينمائي التلفزيوني

دعيبس: أسعى للكشف عن «الهاوي الذي يتلبسه شيطان المحترف»

إبراهيم السواعير*

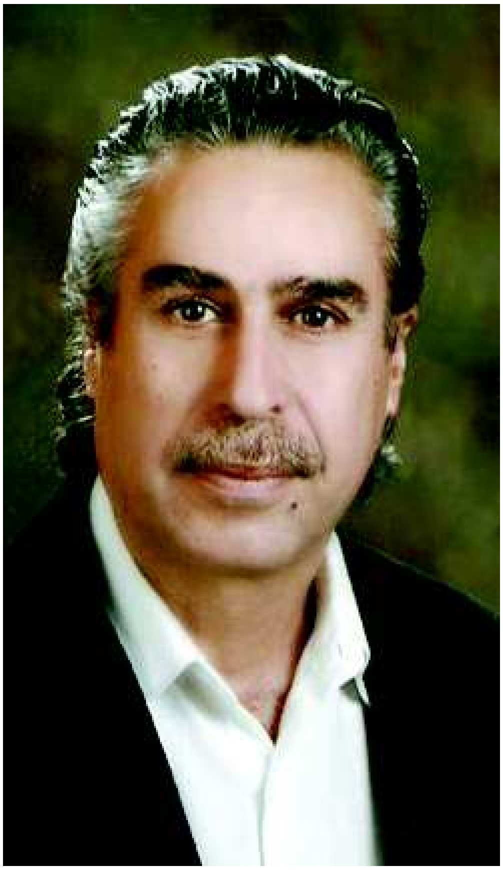

يُقلّبُ المخرجُ الأردنيُّ حسين دعيبس أمرَ «الهواة» بين يديه؛ قلقاً على الهاوي، الذي يتلبّسُهُ شيطان المحترفِ؛ آسفاً لافتقادنا، أردنيينَ وعرباً، برامجَ تهتمُّ بهؤلاء، وهم بين ظهرانينا؛ ينتظرون من يفكّ عنهم أصفادهم، وينزع عنهم» الجلاتينَ» الذي طال أمده.

ويحزن دعيبس؛ مصارحاً، لحال مسابقات الغناء والتمثيل وفنون الإبداع كافّة، واصفاً إياها بـ«الفاشلة»، التي تلعب بها رياح المزاجيّة، وتذروها عواصف التحيّز، وتفضحها ضآلة الخبرة الداعمة.

ويبشّر دعيبس؛ انطلاقاً من كلّ ذلك، بوصف مشروعه الكبير المرتقب: الأردنيّ العربيّ، الذي ينأى به عن «استعادة النجم المكرّس»، و«تكرار الأسطورة الخارقة»، التي لم ولن يجود الزمان بمثلها، ساخراً: إذا لم نسعَ إلى الناس في مواقعهم، ونفتش عن كوامن إبداعاتهم، فلن نبارح محلّنا، وسنخسر موهوبين بالفطرة

ينتظرون من يكشف عنهم صدأ الإحباطات المتوالية، وينفض عنهم غبار «الوساطة» الماحقة.

ويزيد: عندي اثنتا عشرة قصة، أسّسَتْ لاثني عشر فيلماً، وسأطلقُ قريباً المشروع، وأنا متفائلٌ جداً بالتجربة، وسيكون المشروعُ نواةً لأوّل فيلم تلفزيونيٍّ عربيٍّ أردنيٍّ، يستخدم تقنيات السِينما، عينها، وكاميرات ال«إتش دي»، أما القصص العالميّة المختارة، التي عرّبناها، فجاء السيناريو الخاص بها ناقلاً لما يهتمّ به المشاهد العربيّ، واعتمدنا لذلك واقعيّةً ظاهرةً؛ لا تكلّف فيها ولا اصطناع.

ويوضّح دعيبس بأن مصداقية الاتصال مع المتلقي «المشاهد» هي أساس المشروع، وأنه بعد تصوير الفيلم تتم عمليات تركيب الصوت بالاستوديو، والاستعانة ببعض المؤثرات والموسيقا التصويرية الخاصة الملائمة لكلّ ذلك.

ويسأل دعيبس: أنّى للنجم أن يظهر إذا لم يلتقِ بصانعه! مضيفاً أنّ كثيراً من المشهورين كانوا محلّ تساؤلٍ يوماً، وأن"أحدهما -النجم وصانعه- لا بدّ من أنه يبحث عن مُكمّلِهِ منذ زمن! وفي السياق يقول: كثير من المخرجين أفضل مني؛ ولكن لم تُتح لهم فرصتي.

ويطمئن دعيبس بأن نجوماً يُستصفونَ من كثير؛ وأنّ برنامجه المقبل سيكون له شأنٌ في الكشف عن الاستعدادات الفطرية، والآمال المكبوتة، في ظلّ ما أسماه «صراع البقاء»؛ يوم لا «يتصبّح» الناس إلا بالنجم الذين افتتحوا مساءهم به؛ ويُحذّر بقوله: جميعهم سيكونون أردنيين، وقد آن الأوان للتمحيص الحقيقي، والأخذ بيد اليائس المُحبط البعيد!

ويفرح دعيبس بـ«النجم الجديد»، الذي يبذل أضعافَ أضعاف ما كان مُتوقّعاً منه؛ خصوصاً والفرصة قد جاءته منقادةً، بعد صبرٍ طويل؛ واصفاً كثيرين ركنوا عند الشُّهرة، ولم يضيفوا جديداً، وضيّعوا الفرصة على غيرهم، بانتمائهم إلى فئة«النجم الهادئ»؛ الذي لا يستفزّ.

وإذ يفرح دعيبس بهذا؛ فإننا نفرح معه، ونشدّ على يديه بالاثنتي عشرة قصة(الاثني عشر فيلماً)، ونتفهّم نُبلَ هدفه، وطيبَ مسعاه، وهو يفتّش عن الفكرة المبدعة، التي يصفها بـ«لمعة اللحظة»، وقد سار بها على طريق تطبيقها، شارحاً: ستكون «التنافسات» غير عاديّة، ولن نهادن أو نجامل في الفنّ، لأن المسابقة إن مرّرت مُقحَماً، أو تهاونتْ في شروطها الموضوعيّة، ستكون حينها كمن يغافل عقله، ويداجي اللامنطق، وهو يعلم أنّ مراحل مقبلة تنتظر هذا الذي

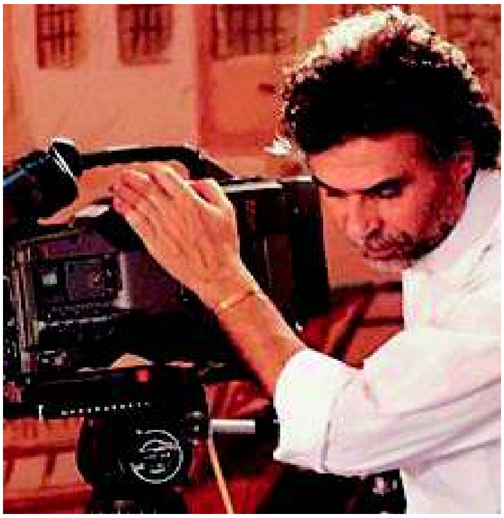

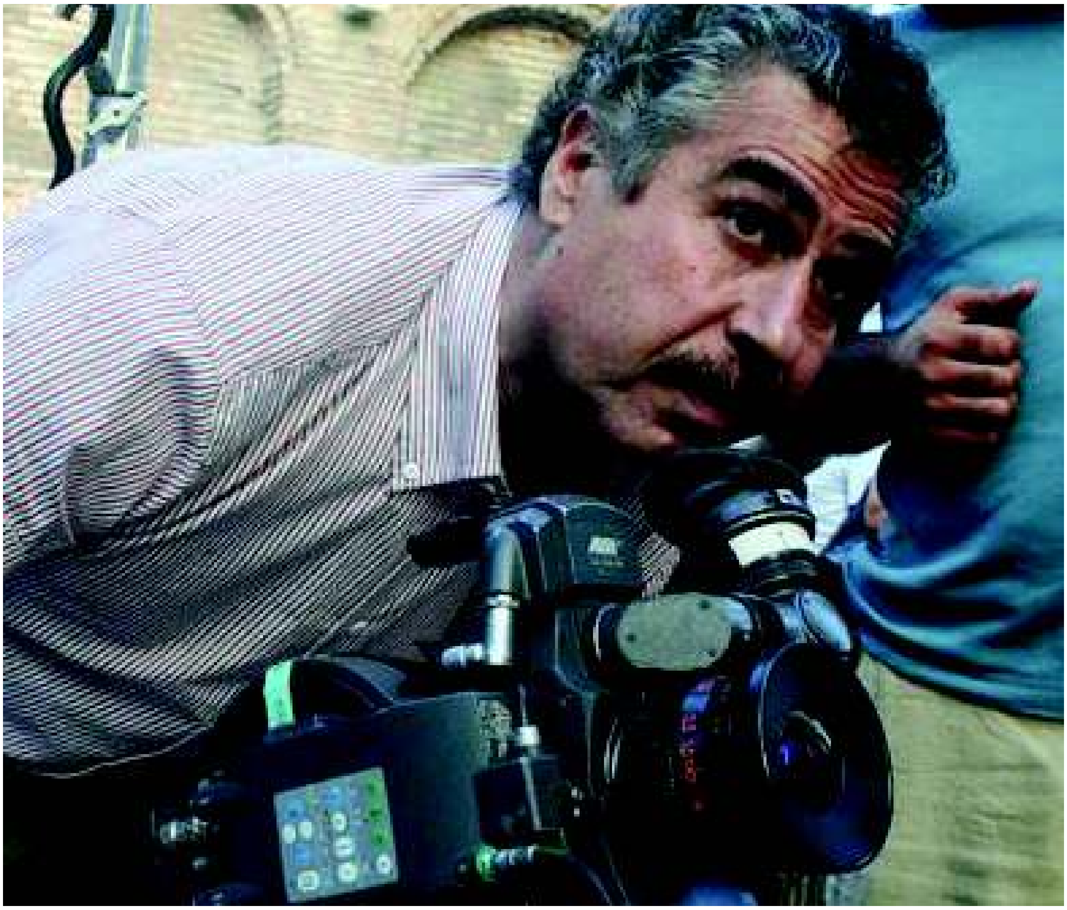

مرّره، أو ذاك الذي تهاون في التحقق من أدواته، أو طاقاته الكامنة غير المستغلة.

دعيبس الذي يشتغل على مشروعه، بصمتٍ، يظلّ كعادته في كثيرٍ من لقاءاتٍ معه، صريحاً جداً، لا تأخذه لومة لائم في الفن، وهو في القريب جداً- على حدّ تعبيره- سيفاجئ الوسط الفني عندنا، في جعله التلفزيون سينما مُصغّرة في كلّ بيت، وإذ يعضّ دعيبس على النواجذ مما هو حاصلٌ، ويأسف له، فإنّ مما يُعزّيه أنه يُعوّل على مشروعه آمالاً جساماً، وحظوظاً قويّة في صناعة الممثّل البارع، الواثق، الذي يمكن أن «يتعملق» في فيلمه المقبل، الذي هو تجربةٌ فريدةٌ، لافتة.

وحين يضجّ دعيبس من الفيديو الهابط، المستعجلِ النجاحَ؛ فإنّ أول ما ينصح به «واقعيته»، ودائمُ بحثِه، وطويل عنايته بخطته المرسومة، وتأسيساً عليه وانطلاقاً منه؛ فإنه أبعد ما يكون عن«الفنتازيات المضحكة»، ولعلّ صهره إبداعه في«كليباتٍ دراميّة»، جعله يراكم كثيراً مما يزيد من ثقة المهتمّ، والمتخصص، ويمنحهما المباهاةَ به: أردنيّاً، مأدباويّاً، جادّاً في روائعِهِ.

ولن نقف عند«مدينة الحب»، العمل الذي

طبّـق به مخرجنـا الآفاقَ، وحـاز على احترام الإنســان العربــيّ لما أبدعت عينــه الثاقبة، ورؤيتــه الممتــدة، ولــن نبحث فــي جمالياتِ التصويــر و»حكّ الأدمغــة» والربط بين كثير من المتغيراتٍ؛ بل سنتخذ من إخلاص الفنان وحــذره مثــالاً لـ»ابن البلد»، الــذي لم يبخل على المدينة»مأدبا»، وســعى لأن يفيها جزءاً مــن حنوّها عليــه، وقد طلع من بســاتينها، وتشــرّب بســحرها، واكتوى بعذابات هواها، وهــو إذ يقــوم بهذا غير متنكّرٍ لهــا، فإنّ في نفسه الكثير الكثير.

ولعلّ ما يريح أنّ حسيناً في ارتباطه بأردنّه وترويجه، والتعريف بقيمة مبدعه، ليس أول نجاحاتــه ما فرض به بصمتــه الإخراجيّة مع كاظم، والرباعي، وكريم العراقي، كما أنّ أفلامه التلفزيونية المنتظرة ليســت آخــر نجاحاته، وما زال مخرجنا يوماً تراه في»ماعين» البلدة القديمة، ويومــاً في مأدبا، وحينــاً هنا، وحيناً هناك، وهو كما أســرّ لا يقلقــه غير»الفورة» غيــر المبــررة لأعمال لا تمكث فــي النفوس إلا قليلاً، ولا تســتقرّ على الألســنة إلا يســيراً، وهو لا يؤمــن بـ»كليبــات البوشــار»، ويدرك أن المحافظةَ على النجاحِ ليســت بأيســر من النجاح نفســه، مكرراً: كثيرٌ ممن يُشار إليهم بالبنان اليوم نجاحُهم يحمل بذور فشلهم.

وإذ نقــدّر لدعيبــس إخلاصــه، وصدقــه، وإبداعه، فإننا نتمنى أن يكون الرجلُ وأمثالُه دلائــلَ نجاحاتنــا الأردنيّــة، وأســبابَ تعاملنا الحضاريّ مع الفنّ، ونختم بتأكيد صاحبنا أن كثيرين مثلــه بيننا؛ لا نعلمهم، وأنّ الفرصةَ لــو واتتهم لفاقــوه نجاحاً؛ ولعلّ هذا ســبب المشروع المرتقب، ونتيجته التي يسعى إليها دعيبس!

* صحافي أردني

ناجي العلي: ريشة فلسطين المغموسة بدماء الثورة

رشا عبد الله سلامة*

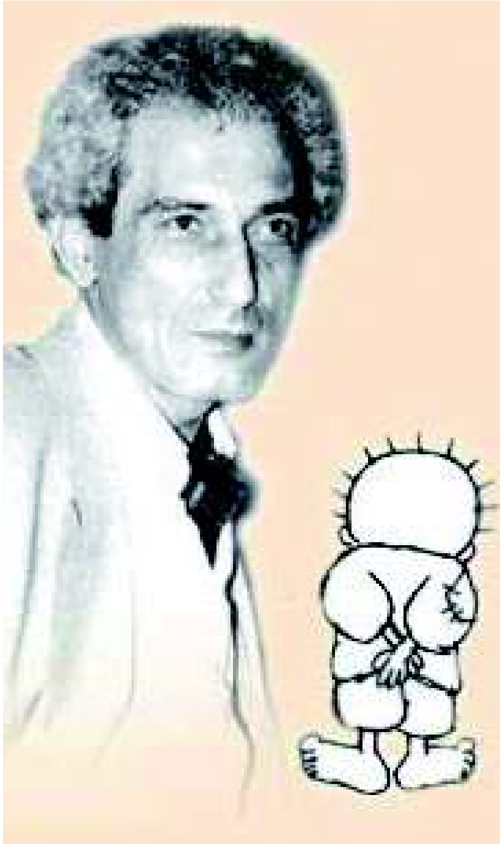

من قرية الشجرة التي تقع بين الناصرة وطبريا، إلى شوارع عاصمة الضباب، مشى فنان الكاريكاتير الفلسطيني ناجي العلي خطوات مليئة بالإثارة تارة، وبالخطورة أحيانا أخرى، ليلقى حتفه برصاصة أردته شهيدا.

حلت عليه نكبة عام ١٩٤٨ ولم يكن يتجاوز العاشرة من عمره، غير أنه استطاع بومضاته الإبداعية نفخ الروح في تفاصيل الرسم، ليخلد مأساة عاشها الفلسطينيون، ولا يزالون يعيشون تبعاتها حتى اليوم.

واحد وعشرون عاماً مرت على الرصاصة القاتلة، غير أن الأصدقاء لا يزالون يستذكرونه ويشعرون بالفقد لرحيله.

بتنهيدة ألم غائر في العمق، تستذكره المناضلة ليلى خالد بصفته «الصديق والرفيق». وتضيف «ناجي من الناس الذين لا يتكررون»، مبينة أنه استطاع التنبؤ بمستقبل القضية الفلسطينية منذ بدايتها، وأنه هو

من بشّـر بالانتفاضة الأولـى، وهو من واكب اجتياح لبنان العام ١٩٨٢ بكاريكاتيراته.

وتضيف: «رغم أنه رسم رسوماته تلك قبل أن يحـدث الاجتيـاح، إلا أنـه كان كمن يدله قلبه على مسـار القضية لشـدة التصاقه بها. وهو من عرّى ولخّص الأحداث السياسية من خلال ريشته»..

تصمت خالد للحظات قبل أن تكمل بنبرة أسى «لم يتسـع العالم العربي لشخصية مبدعة كناجي، لذا ذهب إلى لندن، وهناك لم يتخذ احتياطاتـه الأمنية فباغتته رصاصة». وتزيد «إنه خسارة لا تعوض».

وكانـت أزقة المخيـم في لبنـان هي الحضن اللاهب الذي أشعل فتيل إبداع ناجي، فهو من ترجم تنهيدات اللاجئين المفجوعين باغتصاب وطنهم وتهجيرهم منه وبكاءهم وعويلهم، فـكان أن اختـزن قلبه ووعيـه الطفولي كل ذلـك حتـى بات يسـجل كل مـا يعتمل في صدره علـى جدران المخيم. وظـل كذلك حتى أمسك الشـهيد الروائي غسان كنفاني بيده عندما زار المخيم، ليدخله بعدما رأى رسوماته إلى عالم الصحافة.

يقول صديقه الشـاعر رسـمي أبـو علي، مسـتذكراً تلـك الحقبة وما تلاهـا من حياة اللاجئين الفلسـطينيين «كانـت بيروت هي مكان تعارفنـا.. لقد كان مميزاً بصدق، إبداعياً وإنسانياً.. كنت أتابع رسوماته باهتمام».

يردف أبـو علي، بينمـا يسـتذكر آخر لقاء له مع ناجي في أحـد أيام اجتياح بيروت «لم يكن هنالك مقهى مشرع الأبواب غير مقهى (مودكا) في شـارع الحمـرا. وكنت أجلس في المقهى عندما أقبل ناجـي صدفة بينما كان يحمـل معـه صندوق الرسـم ليرسـم أحد كاريكاتيراته.. جلسنا وتحدثنا طويلاً، بيد أني لم أعلم بأن ذلك هو اللقاء الأخير لنا».

ولطالما أكد ناجي فـي مقابلاته وفي كتبه الثلاثة، التي نشرت قبل استشـهاده، أنه «مع المقاومة، التي هي ليسـت بالضرورة مقاومة فلسـطينية»، لأنه يؤمن بأن «أي بندقية تُوجه نحو العدو الإسـرائيلي تمثلنـي»، وكذلك أن «فلسطين ليست الضفة الغربية أو غزة، بل هي بنظري تمتد من المحيط إلى الخليج».

وكان العلـي دائـم الانتقـاد للسـلطة الفلسـطينية، إذ يقول أحد أصدقائه، «لقد أسـهمت السـلطة كثيراً في حشر ناجي في الزاوية، لأنـه كان صريحاً في موقفه الوطني ولا يقبل ذرّة تنازل».

وكان ناجي يرفض أية تسـوية من شـأنها التفريط في الحقوق الفلسطينية، بل لطالما كان يقول «هكذا أفهم الصراع وشروطه: أن

نصلب قاماتنا كالرماح وألاّ نتعب».

ويعود حمودة في لحظات إلى ذكريات ناجي، قائلاً «كان شديد الإنسانية.. كان يعيش حياة المخيم أينما حل، وكان يحمل معه بؤس المخيم وتفاصيله أينما سافر».

نبرة شجن تطل من صوت حمودة بينما يردف «من شدة وداعته وإنسانيته كان يكتب دوماً في بطاقات حفلات توقيع كتبه: الرجاء إحضار الأطفال.. وكان كلما أهدى أحد كتبه يُدرج العبارة التالية: الهدية لم تصل بعد.. وكان يقصد أن الهدية هي تحرير فلسطين».

يكمل حمودة مستحضراً قوة ناجي في الحق، «لقد كان صارماً وحاسماً في رفضه أي سلطة تهادن وتساوم على فلسطين، فقد كانت فلسطين هي بوصلته الوحيدة».

يضيف حمودة «كان لديه إلى جانب ذلك، استشراف ثاقب للمستقبل وهو ما تجلى في رسوماته، فقد تنبأ بإقامة الجدار العنصري قبل خمسة وعشرين عاماً من بنائه، كما حذر من الاستيطان منذ العام ١٩٧٨».

وكانت شخصية «حنظلة» هي الرئيسية في كاريكاتيرات العلي، والتي ما تزال حتى اليوم تجوب أصقاع العالم كرمز للنضال من أجل الحرية، وعنها كان يقول «وُلِدَ حنظلة في العاشرة من عمره وسيظل في العاشرة لأن ذلك هو العمر الذي غادرتُ فيه الوطن.. ولن يأخذ حنظلة في الكبر إلا عند عودته للوطن، فقوانين الطبيعة لا تنطبق عليه لأنه استثناء، كما هو فقدان الوطن استثناء».

ورسم ناجي إلى جانب «حنظلة» شخصيات أخرى كفاطمة التي رمزت للمرأة الفلسطينية والتي أولاها ناجي أهمية كبيرة من خلال تسليط الضوء على نضالها، وكذلك شخصيات السلطة التي كان يرمز

إليها بذوي الكروش والذين يشبهون الفقمة.

ولطالما وصف ناجي الكاريكاتير بأنه «صديق مشاكس لا يُؤمَن جانبه»، مصرحاً بأنه لم يكن يوماً ما راضياً عن عمله، بل إنه يشعر بـ «العجز»، لأن رسوماته لا تستطيع احتمال همه الذي وصفه بـ «الكبير». بيد أنه اعتبر ذاته مراراً «محظوظاً»، لأن الفرصة أتيحت له للتنفيس عن همومه بعكس آخرين «قد يموتون كمداً من ذلك الهم الذي يختم على قلوبهم وينفث سمه اليومي فيهم».

«سؤالي الدائم هو: لو كان ناجي ما يزال حيا يرى كل هذه الأوضاع الصعبة عربيا وفلسطينيا، ماذا كان سيرسم؟»، يتساءل الزميل عماد حجاج صاحب شخصية «أبو محجوب» الكاريكاتيرية.

بأسى يكمل «ولكن وبرغم حسرتي على مآل الكاريكاتير العربي بعد ناجي العلي، إلا أنني أحمد الله أنه غادر الحياة في زمن كانت لا تزال فيه بقايا للنقاء والمشاعر الوطنية الصافية.. المعركة السياسية كانت أوضح أيام ناجي، أما اليوم فالخطوط متشابكة والصورة غير واضحة».

يردف حجاج -بينما نبرة الأسف تملأ صوته- «كان ناجي سيُصدم من حال الكاريكاتير حاليا، والذي لم يعد يملك التأثير السابق على الشارع العربي، فالكاريكاتير السياسي آيل للاندثار وبات متأثرا بشدة بالانقسامات

العربية والطائفية، بل لقد تحول رسام الكاريكاتير إلى أداة سياسية في أيدي البعض».

ويرى حجاج أن العصر الحالي هو «عصر العلاقات العامة، إذ بات رسامو الكاريكاتير يصلون إلى أية جريدة عربية مهمة بغض النظر عن مدى مقدرتهم وخبرتهم، بل عن طريق علاقاتهم وأجنداتهم السياسية»، كما باتوا «يقدمون لوحة فنية مشوهة تعج بالألوان وبصور الكمبيوتر بدلا من التفنن في الرسم.. كما أن معظم القائمين على الصحف العربية حاليا لا يولون القيمة الفنية للكاريكاتير اهتماما، إذ لا يعدو دورهم أن يكون رقابيا على حرية الرسم والتعبير».

غير أن من أكثر ما يؤلم حجاج هو «تسخير البعض لرمز حنظلة لتعزيز الانقسامات الفلسطينية، إذ صار هنالك حنظلة فتحاوي وآخر حمساوي». ما يراه حجاج «تشويها سافرا لإرث ناجي الوحدوي النقي».

ويختم حجاج بقوله «ذكرى استشهاد ناجي أليمة على كافة الأصعدة، فهو

شخصية فذة لن تتكرر وإن كثر المقلدون، كما أن ذكراه تفتح جرح الكاريكاتير العربي الذي لم يصن إرث ناجي الإبداعي ولم يستطع حمل لوائه بجدارة، إذ إن مطربة إغراء واحدة باتت تملأ المدرجات بالجماهير أكثر من كل رسامي الكاريكاتير العرب الحاليين».

وكان ناجي قال عن حنظلة في أحد كتبه «ماذا لو خالجني الإحساس بالهزيمة والتراجع وأغراني مجتمع الاستهلاك؟ حتى لو أردت فإنني لن أستطيع لأن ولدي حنظلة موجود في كل لوحة من لوحاتي يراقب ما أرسم. إنه رقيب لا تتصور مدى قسوته، إنه يعلم ما بداخلي ويراقبني كحد السكين، فإذا أردت أن أستريح لكزني وإذا فكرت في الرفاهية وحسابات البنوك ذكرني بنفسي وأصلي وناسي وشعبي».

كما وعد العلي بأن لا يُصاب بـ «الحول السياسي» والذي فسره بالتسويق أو الدفاع عن فلان أو آخر، وبأن لا يكون كـ «رسامي نبات الظل» الذين لا بد من توافر عناصر لهم حتى ينموا وينتجوا، معتبرا أن الفنان الحقيقي هو الذي «ينمو وسط الحجارة وتحت الشمس التي تحرق رؤوس أمهاتنا المنتظرات على أبواب المخيم».

وتتساءل المهندسة هناء الرملي مصممة موقع ناجي العلي «لا أذكر متى وكيف تعرفت على ناجي! فكيف يتذكر الواحد منا متى وكيف كان لقاؤه بأمه أو أبيه؟».

تجيب بنبرة حزن دفين «في مراحل الطفولة والصبا حين يتشكل وعي الفلسطيني عن ملامح وطنه المفقود والذي كان من المفترض أن يكون له وبه، حينها يطلق أشرعة الخيال. وهنا كانت رسومات ناجي التي أعُدّها وشما لا يُمحى على مر السنوات».

وعن إنشائها الموقع الذي بات مشهورا للباحثين عن إرث ناجي، تقول «مع دخول الإنترنت لعالمنا العربي لم أجد سوى محتوى بسيط ومتفرق من رسومات ناجي في بعض من المواقع المجانية فقررت أن آخذ هذا الدور على عاتقي وبمجهود فردي».

تكمل الرملي «حققت في مدة قصيرة من تاريخ تأسيس الموقع العام ٢٠٠٢ أكثر مما كنت أتوقع وأحلم، إذ أصبح مرجعاً لكثير من الباحثين والكتّاب والصحافيين ومخرجي الأفلام الوثائقية وطلبة الدراسات العليا المعنيين بشخص ناجي وفنه».

وفي ذكرى ناجي العلي العشرين العام الماضي، قررت الرملي أن تعد فيلما وثائقيا

عنـه بعنـوان «الأيقونـة». تقـول عنـه «من خلال الفيلم سيدرك المشاهد عبقرية ناجي بأيقونتـه حنظلة، التي غدت بعـد أكثر من عشـرين عاماً على وفاته أيقونـة لكثير من الشباب الذين لم يعاصروا ناجي وإنما عاصروا حنظلته التي ستبقى شاهدة على اغتصاب وطنهم».

وتزوج ناجي، الذي عمـل في صحف عربية عدة منهـا: السياسـة الكويتية والسـفير اللبنانية والقبس الكويتية والدولية، من وداد نصر التي لـه منها أربعة أبناء هم: أسـامة وليال وجودي وخالد الـذي اكتفى بتذكر يوم استشهاد والده عندما هرع إلى المستشفى في لندن ليعلم أن رصاصة غدر أصابته، دخل علـى إثرها فـي غيبوبة لم تـدم طويلا حتى فارق الحياة يوم ١٩٨٧/٨/٢٩.

ويردف خالد «سيُنشـر قريبـا كتاب يضم رسـومات والدي مـن العـام ١٩٨٥ إلى العام ١٩٨٧، وسـنعمل بعدها على نشر كتب أخرى وتدشين موقع إلكتروني لضم إرثه الكامل».

وكان خالد ووالدته تسلما بعد استشهاد ناجي جائـزة «قلم الحرية الذهبـي» العالمية التي كان ناجي العربي الأول الذي يحوزها، إلى جانب وصف الاتحاد الدولي لناشري الصحف لـه بأنه مـن «أعظـم رسـامي الكاريكاتير منذ نهايـة القرن الثامن عشـر»، وواحد من أشـهر عشرة رسـامي كاريكاتير في العالم وفقا لاسـتطلاع أجرته مطبوعة «أسـاهي» اليابانية.

---

* صحافية أردنية

فلسفة مجلة أقـلام جديدة

* أدبية ثقافية شهرية، تعنى بالإبداع الشبابي والأدب الجـديـد.
* نافذة للمبدعين من شباب الأمـة يطلون منها على العالم.
* منبر حـر يعبر فيه عن الأفكار والتطلعات والمشاعر والـرؤى.
* حاضنة للإبـداع الأدبي شعـراً وقصـة، ومسرحية، ومقـالـة....

على هامش معرض الفنان عماد حجاج في قاعة المدينة

«أبو محجوب» شخصية كاريكاتورية ساخرة برعت في التقاط مفارقات الواقع

غسان مفاضلة*

عمان- شهد معرض الفنان عماد حجاج «المحجوب ٢» الذي أقيم أخيراً في قاعة المدينة، إقبالا جماهيرياً واسعاً من مختلف الشرائح والفئات الاجتماعية التي توافدت على مدار أسبوعين إلى المعرض الذي توزع على جناحي قاعة العرض في مبنى أمانة عمان الكبرى بمنطقة رأس العين.

واشتمل المعرض الذي رعته أمانة عمان الكبرى على مائة لوحة كاريكاتورية، وترافق معه إصدار كتاب جديد للفنان حجاج قدّم له الصحافي والناقد الأردني موسى برهومة، اشتمل على رسومات نشرت في الصحافة المحلية والعربية بالإضافة إلى الرسومات التي تجاوزت حدود الرقابة ووجدت طريقها للنشر في هذا الكتاب، وأيضاً على عرض للرسومات المتحركة التي أنتجتها مؤسسة «أبو محجوب» للإنتاج الإبداعي في السنوات الأخيرة.

وتنوعت أعمال حجاج الذي أقام ستة معارض فردية وأصدر أربعة كتب كاريكاتورية آخرها كتاب مشترك مع الكاتب الساخر الراحل محمد طمليه بعنوان «يحدث لي دون سائر الناس»، في موضوعاتها بين الاجتماعي والسياسي، وتباينت في أسلوبها التعبيري بين المباشر الذي يحمل الخفة وسلاسة النفاذ إلى مفارقات الواقع، والتعبير الذي يتسم بالتكثيف والاختزال وإعادة الإنتاج المفتوح على التأويل والابتكار.

وشخصية «أبو محجوب» التي حققت انتشاراً جماهيراً واسعاً بين مختلف شرائح المجتمع الأردني. فتعرّف الناس على يوميات «أبو محجوب» وأجوائه من خلال العديد من الصحف ومختلف المطبوعات وشبكة الإنترنت وغيرها من وسائط الاتصال والتعبير. أصبحت شخصية لصيقة بنبض الناس ووجدانهم من خلال التقاطاتها الساخرة للمفارقات الناقدة التي برع حجاج في تحميلها لـ «أبو محجوب» وللشخصيات الأخرى المرافقة لها في حراكها مع العديد من قضايا الواقع المعيش وظواهره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. فألّفت فيما بينها مشهداً نقدياً مفتوحاً على حراك الشارع مستهدفة بالنقد اللاذع استشراء الفساد وارتفاع الأسعار وتفشي البطالة وانتقاد نهج الحكومات المتعاقبة.

ويتطرق برهومة في مقدمة كتاب «المحجوب ٢» إلى الحالة الجدلية التي يؤلفها حجاج في رسوماته قائلاً «ربما يساء فهم ما يرسمه

حجاج، وبخاصة إذا مسّ المحظور في الحياة العربية، وما أكثره، لكنّ الفنان هنا لا يروم إنتاج مرافعة منطقية عن الواقعة أو الحدث. إنه يذهب إلى المفارقة في تجلياتها المتشعبة بغية القبض على اللحظة الساخرة، المضحكة، البلهاء، المضرجة بالدمع والبكاء. عبر هذا الخليط المدهش والمزعج تتحرك عجلة الرؤية لدى حجاج البسيط والخجول ورفيق الفقراء والمعذبين ونصير المظلومين وعدو الفاسدين والمفسدين، وخصم السماسرة والأدعياء والمزيفين».

ويزيد برهومة في السياق ذاته «لئن كان حجاج يرضى من السيجارة بنصفها، فتجد منفضته ملأى بأنصاف لفافات التبغ، إلا أنه حينما يمسك ريشته لا يرضى بأنصاف الحلول، فتراه متطرفا لاذعا يغرس سكينه، بلا هوادة، في لحم الواقع، متطلعا إلى أقصى درجات الفجيعة» .

فيما يذهب رسام الكاريكاتير المصري المعروف محي الدين اللباد إلى القول بأن شخصيتي «أبو محجوب» و «أبو محمد» «علمان معروفان لكل مواطن أردني يقرأ الصحف الأردنية وينتظر كل صباح منها التعليق على ما يشغل باله من أمور السياسة المتعلقة بالوطن الصغير والكبير، ومن أشكال الصراع بيننا وبين أمريكا وإسرائيل وهموم الحياة المحلية في الأردن والممارسات الحكومية، وأزمات المعيشة والغلاء والفساد وغيرها»

ويضيف اللباد في مادته المنشورة بمجلة الهلال العريقة» غالبا ما تختلط القفشات

التـــي تبــدو صغيــرة بالموضوعــات المحليــة وبالعربيــة ثــم بالكونية، ولعل هــذا ما فتن قــراء عماد حجــاج حتى صاروا يعرفون لغة رسمه وإشارته ورموزه وخريطة تفكيره ونوع مقالبه الفكاهية، وصار الرســام أيضاً يعرف أهــل كاريكاتوره جيداً ويجيد اللغة البصرية واللفظية التي يوصل بها رســالته اليومية بامتياز».

«عمــاد حجــاج أدرى بمشــاكل الشــارع السياســية والاجتماعية، وهــو أعرف بخبايا الــرأي العام وبتوجهات النــاس وتطلعاتهم» يقول حســن أبو علي صاحب كشك الثقافة العربية الشــهير، ويضيف لـ «أقلام جديدة» «إبــداع حجــاج الكاريكاتــوري لا يحيــط به الوصف، فهو مبــدع موهوب وليس له مثيل فــي الســاحة العربية، وليــس أدل على ذلك مــن هــذا الزخــم الجماهيري علــى معرضه من المعجبين برســوماته، ولــو توافرت لحجاج الحرية من دون رقابة مسبقة علامة بارزة على المستوى العالمي».

مــن جهتــه يرى الكاتــب الســاخر الزميل يوسف غيشان بأن حجاج في حالة اشتباك دائــم ويومــي مع الواقــع المعيــش، وقد تحول إلى جــزء من النســيج الاجتماعي والضمير الجمعي للإنسان الأردني. لافتاً إلى أن المعارض التــي يقيمها حجــاج تتحول إلــى مهرجان جماهيري واحتفال كبير.

بــدوره يرى صاحــب موقع عمــون الإخباري ورئيس تحريــره الصحفي ســمير الحياري بأن «أبــو محجــوب تراجــع تراجعاً كبيــراً خلال الســنوات الماضية من عمــره الفني في إطار الحريات والسقف الذي يرسم من خلاله».

ويزيد الحياري «بأن عماد الذي عرفنا يرســم بجــرأة فيســقط وزيــراً وحكومــةً، وتقــص رســوماته وتعلق علــى الجدران فــي المكاتب والمؤسســات ما عاد يمتلك هذه الخاصية وما عادت رسوماته كالســابق، فـ (أبو محجوب) تغير بعد أن تأثر بسقف الوسيلة التي يعمل في إطارها، والمســألة الثانية تجارية، فعندما تحول أبــو محجوب إلى تاجــر تغيرت صورته، وأقصد شخصية أبو محجوب وليس عمادا».

وحول إبداعية حجاج يؤكــد الحياري أن عماد حجاج فنان مبدع «ولا أعتقد أن له مثيلاً في العالم العربي، ولديه من الموهبة التي تمكنه من التفوق على كبار رسامي الكاريكاتير في العالم». ويلفت الحياري في الســياق ذاته بأن عماد حجاج قدم في السنوات الماضية رسوما «لامست مشاعر الناس بشكل لا يستطيع أحــد مجاراتهــا، وحقق تقديــراً واحتراما من محبيه ومبغضيه على السواء».

ويشــير الحياري بــأن ما يــؤذي عمل حجاج «تلــك الوســائل التي يعمل بهــا، ونحن نرى دائما حين يكون سقف التعبير مرتفعاً يتألق عماد وتكون رسوماته عالمية بامتياز».

ويأمــل حجاج المولود في رام الله عام ١٩٦٧ بأن تصبح حريّة التعبيــر المطلقة حقاً على كل رســام ناضــل فــي ســبيل هــذا المجتمع وعمل لأجله، وأن تنشر كل رسوماته من دون مراقبتها مسبقاً.

* فنان وناقد تشكيلي أردني

هونريه دومييه فنان الكاركاتير الفقير

إدريس سعد السعد*

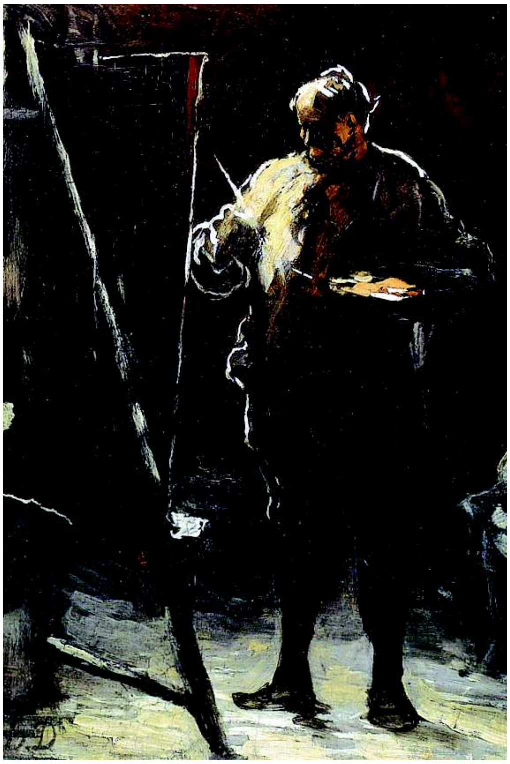

كاريكاتير كلمة إيطالية من أصل لاتيني وهي مصطلح يشير إلى التصوير الساخر لطباع وصفات وتصرفات وأوضاع بشرية معينة. أو رسم تخطيطي يبالغ في رسم ملامح إحدى الشخصيات أو الأشياء أو الأفكار. ويتميز بأنه ظريف طريف، يقابل الهزل في الأدب، والهجاء في الشعر، والنكتة في الحياة الشعبية، يقدم لنا مفارقة في الشكل. أحياناً يضحكنا وأخرى يبكينا. وهو نقطة سوداء على صفحة بيضاء تمتد لتصبح بها الورقة بكاملها سوداء.

يعد الفنان الفرنسي هونريه دومييه (١٨٠٨-١٨٩٧) الذي عاش في القرن الماضي في باريس الأب الروحي لهذا الفن، وإليه يرجع الفضل الكبير للفت الأنظار إلى هذا الفن الذي أصبح لغة عالمية لا تحتاج إلى

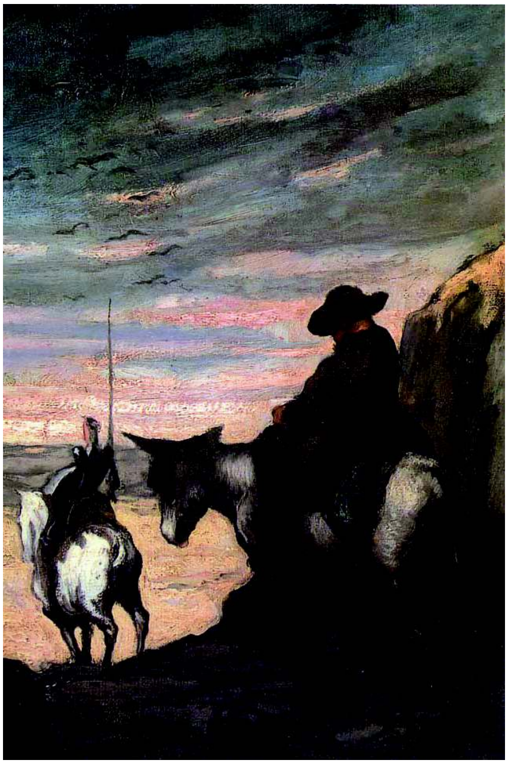

تعليق أو ترجمة. والحقيقة أن دوميه -وهو المصوّر والمثّال الواقعيّ- كان يسعى طول حياته إلى كشف عيوب المجتمع الذي يعيش فيه بصورة ساخرة؛ فلقد جاء دوميه من مرسيليا إلى باريس راغباً في تعلم الرسم في أكاديمية (لينوار) للفنون الجميلة ولكنه اصطدم بتعاليم الرسم الحرفي الكلاسيكي التي لا تعطي مجالاً للرسم وسط مجموعة من الهواة. لقد عاش عيشة قاسية، فقد بصره لغزارة إنتاجه في الرسم والحفر، وطرد من الصحف لقسوة نقده. وحاول بعض المعجبين بفنه دعمه وفي مقدمتهم الشاعر «فيكتور هيجو» وأفلح في إقامة معرض له قبل وفاته بعام وباعت أرملته الفقيرة لوحاته بأبخس الأثمان لتباع على يد التجار بأبهظ الأسعار. إلا أنه استطاع أن ينشر

بعض رسومه في صحيفة «السلويت» وغيرها من المجلات وأصبحت لوحاته تهكماً ساخراً تصور الغطرسة بين المثقفين وهواة المتاحف ومقتني اللوحات ومتفرجي المعارض وجهل الأطباء وأصحاب المزادات ورجال البنوك والبورصة والقضاة ...

فصوّر فرنسا ومظاهرها المضحكة والمزيفة من الخداع والحسرة والضياع واليأس ثم الأمل والبهجة المؤقتة. ثم عبّر عن بطولات الإنسان العادي بأسلوب بسيط؛ إذ كان يحيل ما هو مجرد نكتة إلى مأساة هائلة وبذا كشف حقيقة عصره.

تعرف على الفنان العبقري «رمبراندت» وتعلم من صديقه «راجلين» أساليب الحفر الحجري-الليتوجراف- وكانت وسيلته للعيش إذ وجدت أعماله طريقها إلى الجرائد وصفحات الروايات حتى بائعي العطور والأدوية استخدموا أعماله للدعاية.

إن الكاريكاتير عنده لم يقلل من قيمة لوحاته الزيتية ولكنه أخضعها للمعايير التشكيلية فأصبحت لها ملامح خاصة به. كما أن خطوطه في الكاريكاتير تحمل ملامح فنان درامي كبير، حيث تمتزج عنده الظلال المأساوية بالخطوط الضاحكة فتعانق في لوحاته سحر الحياة وسخطها؛ وكل ذلك يخلق هذا المزيج العجيب من الأسى والسخرية؛ من البكاء والضحك. ولم يقف دوميه عند هذا الحد ولكنه اتجه

إلـى الكـاريكـاتير البارز وهو النحت الضاحك؛ ومجموعتـه النحتية الشـهيرة التي تضم أكثر من ثلاثين شـخصية معروفـة من أروع مـا سـجلته أصابعه فـي فن النحـت وفن الكـاريكـاتير على السواء.

ومن أشـهر لوحاته «عربة الدرجة الثالثة» وفيها عطف كبير على الفقراء. ولوحة « دون كيشـوت» عالجها بخطـوط تجريدية وأخرى «مشـهد من المسرح» و «ذواقة الفن» و«الفنان أمام لوحته» ... وغيرها. وغالبا ما اتهم بعدم اكتمال لوحاته فرفضه الجمهور والتجار وطرد من الصحيفة التي يعمل بها. وهكذا قضى حياته من تعاسـة إلى أخـرى نتيجة التزامه بمبادئـه وتصلبه في مواقفه ولم ير السـعد في حياته؛ حتى إنه عندما قلد وساماً تقديرياً من الدولة في أواخر حياته قال: «ما الجدوى من التكـريم والتبجيل، إن كل مـا أحتاج إليه في الأيام القليلة الباقية هو الراحة وهدوء البال، ماذا أفعل بهذا الوسـام؟ عيناي الذابلتان ما عادتا تلمحان بريقه، وصدري المتهدم لم يعد يقوى على حمله».

في الثالث عشر من فبراير عام ١٨٩٧ حمل أربعة رجال على كواهلهم نعشاً من الخشب الرخيص وفي هدوء عبر الموكب شوارع فالمونروا ونقل جثمان دوميه إلى مثواه الأخير.

---

* فنان تشكيلي أردني

قاسم وغرايبة يتقاسمان جائزة نزال العرموطي للإبداع والدراسات العمّانية

عمان- أقلام جديدة- تقاسم الروائيان زياد قاسم وهاشم غرايبة مناصفة جائزة نزّال العرموطي للإبداع والدراسات العمانية في دورتها الأولى التي تخصصت في حقل الإبداع الروائي.

ونال قاسم الجائزة عن مجمل أعماله الروائية، خصوصا الجاعلة من عمان بيئة جغرافية واجتماعية وجمالية تتحرك في إطارها وتتنفس هواءها مثل «أبناء القلعة» و«العرين» و«الخاسرون». فيما نال غرايبة الجائزة عن روايته «الشهبندر».

وأعلن عن الفائزين بالجائزة في حفل أقيم في شهر آب (أغسطس) الماضي في مركز الحسين الثقافي رعاه مندوبا عن أمين عمان الكبرى نائبه المهندس عامر البشير.

وتشكلت لجنة تحكيم الدورة الأولى للجائزة من الكاتب والأكاديمي د. نبيل حداد، الكاتب والأكاديمي د. شكري عزيز الماضي والناقد والصحافي الزميل فخري صالح.

وتضمن حفل إعلان الجائزة الذي رعاه مدير بيت الشعر الأردني الشاعر حبيب الزيودي (عضو مجلس أمناء الجائزة)، كلمات لراعي الحفل ومجلس أمناء الجائزة ألقاها د. زياد الزعبي عضو المجلس وآل العرموطي ألقاها الشاعر علاء الدين العرموطي ممثل آل العرموطي في مجلس أمناء الجائزة، وأغنية «أردن» قُدِمتٌ مسجلة بوجود مغنيها الفنان د. أيمن تيسير الذي ردد بصوت هامس مع التسجيل مقاطع الأغنية.

وسلم راعي الحفل الجوائز للفائزيْن، وتضمنت الجائزة رصيعتين وشهادتين إضافة للقيمة المالية للجائزة (عشرة آلاف دينار تقاسمها الفائزان).

ونزال العرموطي واحد من الذين استقبلوا مؤسس الأردن الملك عبد الله الأول بن الحسين عند قدومه إلى الأردن عام ١٩٢٠، وكان العرموطي عضوا منتخبا في مجلس عمّان البلدي، وأسهم في تطوير عمان عمرانيا وحضاريا. أنشأ المدرسة العباسية في

منطقة جبل نزال. وكان فارسا مولعا باقتناء الخيل العربية الأصيلة والإبل، محبا للزراعة، امتلك كثيرا من الأراضي وباسمه سمي جبل نزال وشارع نزال (الدستور حاليا). وبرز اسمه إلى جانب عدد من وجهاء عمان وجوارها كقاض عشائري.

وانبثقت فكرة جائزة نزّال العرموطي للإبداع والدراسات العمانية، من خلال أمسية شعرية أقامها بيت الشعر الأردني في ربيع عام ٢٠٠٧. عندما تحمس آل العرموطي الكرام «وفاء منهم لعمان وللأردن» لمقترح بهذا الخصوص عرضته عليهم أمانة عمان وهيئاتها الثقافية خصوصا بيت الشعر الأردني.

وتعد الجائزة مبادرة ريادية غير مسبوقة، وهي بحسب القائمين عليها «نموذج رائع للعلاقة التكاملية بين الأفراد والمؤسسات في الإطار المحلي، وتتعدى في أهدافها ودوافع إطلاقها البعد الشخصي لصاحب الجائزة إلى مدينة عمان والأردن».

وتستمد الجائزة أهميتها من كونها مبادرة أهلية فريدة تختص بالإبداع والدراسات العمانية، وتسعى إلى تكريم المبدعين في شتى صنوف الإبداع الثقافي والفني، وتحفيزهم للاهتمام بعمان حاضرة الإبداع من قبل ومن بعد، وهي علاوة على كل ما تقدم، جائزة دورية تتناول في كل عام حقلا من حقول الدراسات والإبداع.

ويتكون مجلس أمناء الجائزة من أمين عمان الكبرى والكاتبة د. هند أبو الشعر والناقد د. زياد الزعبي ود. زيد المحيسن والشاعر حبيب الزيودي والشاعر علاء الدين العرموطي ممثلا عن آل العرموطي.

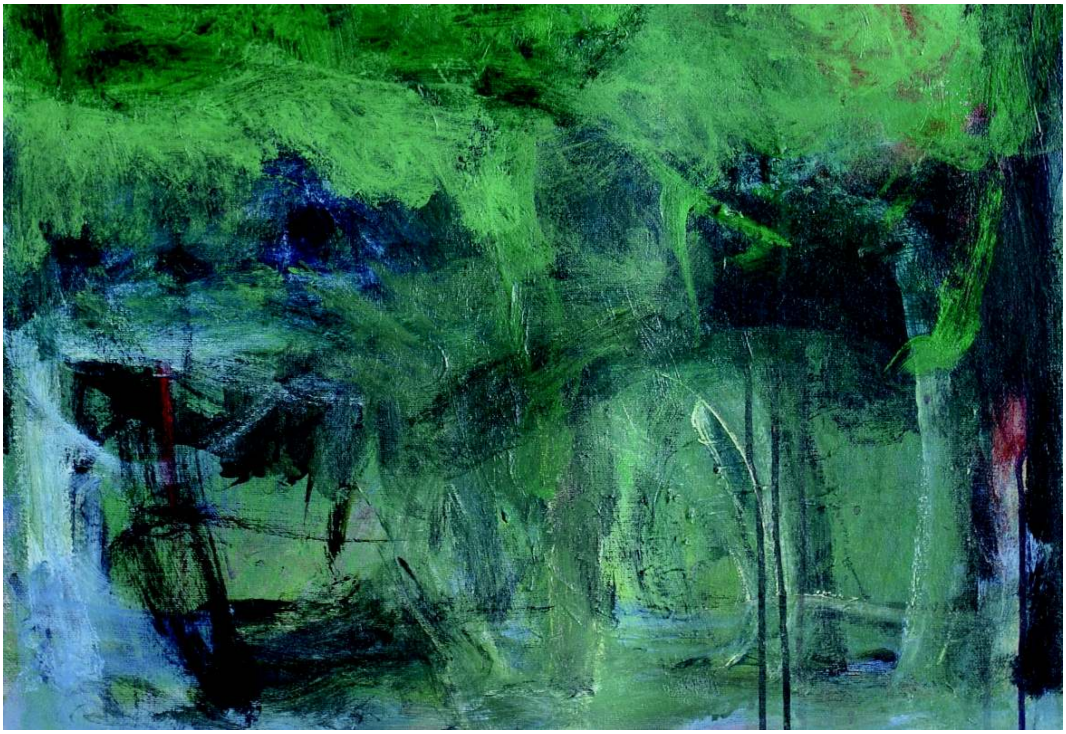

إعلان الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية لعام ٢٠٠٨

عمان- أقلام جديدة- تناصف جائزة الدولة التقديرية في حقل الآداب في مجال النقد الأدبي د. محمود السمرة، ود. هاشم ياغي، وتناصف الجائزة في حقل الفنون، مجال التمثيل : محمد عواد العبادي، وقمر الصفدي.

جاء ذلك في مؤتمر صحفي عقد قبل أيام في المركز الثقافي الملكي، أعلنت فيه وزيرة الثقافة نانسي باكير أسماء الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية لعام ٢٠٠٨، التي يتسلمها الفائزون من قبل جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين في منتصف الشهرالمقبل.

وأشارت الوزيرة الى أن الإرادة الملكية السامية صدرت بالموافقة على منح جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية.

ومنحت جائزة الدولة التقديرية في حقل العلوم الاجتماعية في مجال القانون الدولي لـ د غسان الجندي، فيما تناصف الجائزة في حقل العلوم، مجال الصيدلة د. عدنان بدوان، ود. فراس علعالي.

أما جوائز الدولة التشجيعية ففاز بها في حقل الآداب - مجال السيناريو هزاع ضامن البراري، وفي حقل العلوم - مجال المشاريع الزراعية والمائية الريادية الراحل محمود عبد الرحمن عبد الله بني فواز.

وفي حقل العلوم الاجتماعية - مجال المشاريع الاجتماعية، فقد تناصفت الجائزة جمعية الحسين لتأهيل ذوي التحديات الحركية، عمان وجمعية الجنوب للتربية الخاصة، معان.

وقالت الوزيرة: إن حجب جائزة الدولة التشجيعية في حقل الفنون، مجال الأفلام الروائية القصيرة جاء لضعف الأعمال المتقدمة.

وأضافت الوزيرة أن هذه الجوائز أرست من

التقاليد الثقافية والحضارية، التي رسخت أهمية تكريم العمل الإبداعي في المملكة من آداب وفنون وعلوم ودراسات اجتماعية.

وأكدت أن الجائزة تميزت عبر الجهود الممتازة والمشهودة لنخبة من الأدباء والكتاب والفنانين والعلماء أفرادا أو في إطار مؤسساتهم المختلفة، ممن حققت منجزاتهم نقلة إبداعية وثقافية وفنية نوعية في جوهر الثقافة الأردنية وأصالتها الممتدة ضمن إطار الثقافة العربية والإسلامية والإنسانية المعاصرة .

كما أكدت باكير أن منح الجوائز لهذا العام يتزامن مع تطورات وإنجازات كبيرة في قطاع الثقافة في المملكة، ويمهد لتنمية ثقافية تشمل أقاليم ومحافظات المملكة كافة، خصوصا بعد أن بدأت تتحقق على أرض الواقع مشاريع وبرامج خطة التنمية الثقافية في الأردن للأعوام ٢٠٠٦-٢٠٠٨ ومنها صندوق دعم الثقافة، ومكتبة الأسرة الأردنية.

وعدّت الوزيرة أيضا التفرغ الإبداعي الثقافي، والإصدارات والنشر، ومدن الثقافة الأردنية، والذخيرة العربية، ومكنز التراث، والمهرجانات، ومكتبة الطفل المتنقلة، ومهرجان المسرح وغيرها.

وكان حضر المؤتمر أمين عام وزارة الثقافة جريس سماوي ومدير المركز الثقافي الملكي.

وفي نهاية المؤتمر أجابت الوزيرة عن أسئلة الصحافيين مؤكدة أن الوزارة لم تتدخل في عمل اللجان التي قامت باختيار الفائزين وفق أسس علمية بحتة، وبعد دراسات تمحيصية مستفيضة.

وفي تصريح نشرته بعض الصحف اليومية المحلية، رفض د. محمود السمرة الجائزة الممنوحة له، معلناً تحفظه على مبدأ المناصفة في منح الجوائز.

وأعرب عدد من الفائزين بجائزة الدولة التقديرية عن سعادتهم بالفوز؛ بوصفه حصيلة تراكم سنوات طويلة، وأن الجائزة هي لفتة طيبة، وتكريم للإبداع والمبدعين.

الفنان محمد عواد العبادي فرح لمسمّى الجائزة؛ كونها من الدولة، وهو ما يخفف عتبه الدائم على أنّ الفنان الأردنيّ كثيراً ما يُنسى؛ وفي حالته فإن مراكمته خمسةً وأربعين عاماً من العطاء، وتوافره على ما لا يُعدّ من الدراما الأردنية، ووقوفه على البواكير الأولى للمسرح وإسهامه فيه؛ بل وتأسيسه لحركته، ومباركته سنيّ نقابة الفنانين في أيّامها الأول؛ كلُّ ذلك يجعله يشعر بالرضا النسبيّ بعد كلّ هذا العناء الطويل، والتأسيس لأن يقف الفنان الأردنيُّ على قدميه فيثبت ما لديه، وينافس.

ويضيف العبادي أنّ لفتة الدولة بجائزتها التقديرية، واحترامها لأبناء الوطن الذين تشابكت رؤاهم برؤاه، وصبروا على مخاض الفنّ فيه، إنما هي مُفرحة بما تحمله الكلمة من معنى؛ متمنياً أن تزول حالة الشكوى التي يجأر بها الفنان الأردني، وأن يدوم ما نقدّمه من أعمال؛ واصفاً رمضان بسوق عكاظ الفنيّ، الذي يعرض الفنان الأردني فيه ما لديه.

ورأى د. هاشم ياغي أن الجائزة حضارية؛ تعكس اهتمام الدولة بأبنائها، وتعزز لدى مواطنيها المبدعين ما ينتجونه كلٌ في مجاله، واعترف ياغي بأنّ جائزة الدولة حافزةٌ على عطاءٍ يتجدد، وعزم يتوقّد؛ مشيراً إلى أنه يشتغل على كتاب أبو علي القالي،

اللغوي والأديب، الذي ضمنه كثيراً من رسالته في الماجستير مطلع خمسينيات القرن المنقضي.

وتنظر الفنانة قمر الصفدي للجائزة باحترام؛ شاكرةً الحكومة، معتبرة أن خمسةً وأربعين عاماً من العمل في الفنّ والإعلام، قد تناهبا وقتها، وجاء اليوم الذي ينتظره أيّ فنان: أن يكرّم، ويشعر أنه أبعد ما يكون عن النسيان. وتقوم الفنانة الصفدي على برنامجها الإذاعي قمر ونجوم، وبين يديها نصٌّ تلفازي يرى النور قريباً، يهتمّ باللغة والأدب والدراما وفيه من الأمثال نصيب. ولديها ما تشتغله في برامج الطفل والإعلام أيضا والتوثيق. وتردُّ بداياتها إلى هاني صنوبر، وأديب الحافظ؛ معترفةً بما أسبغاه عليها من توجيهٍ وتدريب.

وأقرّ الأديب الروائي والمسرحي وكاتب السيناريو هزاع البراري أن لجوائز الدولة في نفسه أثراً، وأنّ المبدع الأردنيّ والمثقف أيضاً يفرح بأعلى الجوائز المحليّة وأعرقها تاريخاً، وفيما يخصّه، يعدّ فوزه تتويجاً لأعماله الدراميّة في السيناريو وفي المسرح؛ مع ما في ذلك من حافز يرقى به المنجز الإبداعيّ المحليّ؛ وهي انطلاقةٌ تتجدد في عالم الكتابة، تتزامن مع عودة الدراما الأردنيّة إلى الشاشات المحليّة ودول الجوار. ومن جانب شبيه، ينصح البراري بأن يتم الالتفات إلى الفعل الثقافي الأردني في أعماله التي فازت أم التي لم تفز؛ فالساحة وافرة بمن هم أهلٌ لكلّ ذلك. وعن عمله الفائز قال إنه سيناريو دفن المرحوم ، التمثيلية التي أنتجها التلفاز الأردني وإذاعته، خاتماً بأن نهجه في الكتابة هو أنه يعدّها جسداً واحداً ذا شمول أدبي، يضعه منسجماً

مع ما يكتب أثناء لحظة الكتابة: قصةً، روايةً، وسيناريو، وما يغزو قلبه وفكره من أجناس الأدب. ويتمنى البراري، مديرُ مديرية الدراسات والنشر في وزارة الثقافة، أن يركّز بالفوز على هذا النوع من الكتابة؛ وقد سبق وفاز فيه- السيناريو- د. وليد سيف وجمال أبو حمدان.

وتابع البراري مؤكدا أن فوزه يجعل من الأجيال الشابّة تتوثب بتقديم ما لديها.

يذكر أن البراري صدر له من قبل: روايات الجبل الخالد، وحواء مرة أخرى، والغربان، وتراب الغريب، وصدر له في القصة: الممسوس، وفي المسرح العصاة وهانيبال، وهو حائزٌ على جائزة أحمد عويدات اللبنانية لأفضل رواية في الوطن العربي، في حينها، وجائزة محمود تيمور المصرية لأفضل نص «مسرحيٍّ عربي».

حكايات الجِدّة

للعيد نكهته، فرح الصغير ببدلته الجديدة، بهجة اللهو البريء فوق أرجوحة الزمن القديم، للعيد معنى معنى التجدد المنتِج، الشبيه بآمال زهو مقبل.

ننتظر (نحن أبناء حارة عمانية ضائعة في الوسط بين جبل الحسين ومخيمه)، بفرح وزهو قدوم العيد، نصنع لحظتنا المتحررة من القيود جميعها، بالقليل من النقود، والبسيط من الملابس، ومراجيح خشبية متحفزة لأن تسقطنا عنها في كل لحظة وحين. وكنّا (أشقياء ذلك الحي المختلط من شتى المنابت والأصول) نختلس نظرة جسورة، لما تتفتق عنه عبقرية الريح، بفساتين الصبايا (الصغيرات عمرا والناضجات جسدا) وتنانيرهن، أثناء غدوهن ورواحهن فوق مرجيحة عمر الحجاج، أو أحمد الحارس، أو مرجيحة أكرم سليم الذي كان (ينصبها) عنوة وهو بالكاد خرج من السجن مستفيدا من عفو خص به الملك الراحل شعبه كهدية وبادرة يفرح لها الأهالي في العيد.

وقبل أيام (وتحديدا أول أيام عيد الفطر السعيد)، فاجأني مخيم الحسين وامتداده الفسيح باتجاه الجبل بما انتشر فيه من مراجيح وألعاب شعبية للصغار (دويخة، سيسو وألعاب اخرى)، وكأن ٤٠ عاما لم تنسل من بين أزرار قمصاني، وكأن الطفولة هي الطفولة ذاتها، بزهوها، وانعتاقها من حسابات الساسة وتقلبات الزمان.

ولاحظتُ الألعاب نفسها، منثورة في المنطقة الفاصلة بين مخيم الحسين وجبله، وبين جبل النزهة عند حدود شارع الأردن، وتَنَقّلَ بين تلك الألعاب صغار من الجنسين، يعانقون جموح المراجيح، والرابط المطاطي نفسه حول تنانير الصبايا الصغيرات وفساتيهن ليمنع الريح من شقاوتها والعيون المتلصصة من هوايتها.

زيارة دار خالي وعمتي في العيد، اختزلت عمري كله، وأعادتني إلى الحارة العمانية نفسها، التي مارست فيها شقاوتي القصوى، وتركت البلالين المملوءة في المياه في شوارعها وعند زوايا بيوتها، تفعل الأعاجيب فوق أثواب صبايا الحي.

ودعوات الجدات نفسها، وفي طرفة عين بارقة، حضرت جدتي سارة وحكاياتها عند أبواب عيد جديد. حكاياتها عن القرية التي كانت، والجد الذي كان يذرع الأرض، ويزرع الحقول، ويرعى شؤون التينة العجوز في حاكورة البيت الريفي البهي.

يذهب عيد، وقريبا سيهل آخر، وفي البال دائما سؤال المتنبي الأزلي «عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد».

سكرتير التحرير

رياض الكلم

الطريق إلى الإبداع

الطريق إلى الإبداع طريق طويل صعب المسالك، يبدأ بالإعداد الشاقّ والتدريب المتواصل. وقد تستغرق هذه المرحلة زمناً طويلاً يقضيه «طالب الإبداع» بالقراءات الواعية لما صدر قَبْلَه من «إبداع حقيقي» ويحاول أن يعيش فيه ليسبر أغواره. ثم ينتقل إلى «محاولة» الكتابة ثم الكتابة ثم الكتابة. وتمزيق ما كتب ثم العودة إلى الكتابة والتمزيق، وهكذا حتى يصل إلى ما يرضيه أو يرضي «مبدعاً» حقيقياً يكون بمثابة معلّم ومرشد له. بعد ذلك يدخل في مرحلة «الإنتاج» وهي المرحلة التي قد يقضي عمره كلّه فيها. ويمثّل هذه المرحلة الكثرة الكاثرة من الكُتّاب والمؤلفين والشعراء والقصاص والروائيين والمسرحيين. ونسمّي صاحب هذه المرحلة: كاتباً أو أديباً أو شاعراً أو قاصاً أو روائياً... وإن ما يملأ خزائننا ورفوفنا من الكتب هو من نتاج هذه المرحلة يتفاوت في قيمته ولكنه يظل «نتاجاً» أدبياً: شعرياً أو قصصياً أو روائياً أو مسرحياً.

وقد يبرز من بين «منتجي» هذه المرحلة: قلّة قليلة جدّاً، هم أفراد معدودون من بين أولئك الآلاف، يجتازون هذه المرحلة من الإنتاج ويحلّقون في المرحلة الثالثة وهي مرحلة «الإبداع» وأصحابها هم «المبدعون». وهم الذين يسمو بهم أسلوبهم إلى طبقات عليا تجعلهم يتميزون به وينفردون، ويصبح هذا الأسلوب من سماتهم الخاصة بهم التي يُعْرفون بها، ويشير القارئ إلى صاحب هذا الأسلوب فور قراءته له. وهكذا يصبح «الأسلوب هو الشخص». ومع الأسلوب الفريد المتميز لا بدّ من «مضمون» متميز من «فكر» نام متطوّر غير مسبوق في جملته أو في بعض أجزائه وفروعه، ومن «حياة» نابضة تَشِعّ في أرجائه وتملأ «روحُها» هذا «الإبداع» «عاطفة» تنتقل إلى القارئ فتلامس فكره ونفسَه.

ومن هنا لا يجوز لنا أن نقلب هذه المراحل فنجعل عاليَها سافلَها، ونسمي مرحلة «الإعداد والتدريب» الأولى ولا المرحلة الثانية بمرحلة «الإبداع». فذلك وضعٌ للأمور في غيرِ موضعها وتسميتها بغير اسمها. ولست أدري هل ينتقص من قدر «الشاعر» أن يُدْعى «شاعراً» ومن قدر نتاجه أن يدعى «شعراً» ومن قدر «الروائي» أن يُدْعى «روائياً» ومن قدر نتاجه أن يدعى «رواية». وهل يرفع من قدر هؤلاء أن ندعوهم «مبدعين» وأن ندعو ما يكتبونه «إبداعاً»؟ أو لعل كل ذلك هو من صفة بعض الشعوب في قياسها للأمور بأكبر من مقاسها!!

ناصر الدين الأسد